الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه

مشروع: الأدب العربي في ضوء الدراسات الاستشراقية

الموسومة

الدّراسات الاستشراقيّة واللغة العربيّة

صراع بين الفصحى والعامية

إعداد الطالبة: بوسطلة فتيحة

لجنة المناقشة:

أ.د/ فرعون بخالد	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ الأحمر الحاج	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د/ مولاي حورية	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د/ الزين فتيحة	المركز الجامعي عين تموشنت	عضوا مناقشا
د/ بن معمر بوخضرة	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د/فريحي مليكة	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1437هـ /1438هـ – 2016م/2017م

شكر

أحمد الله تعالى على توفيقه الإتمام هذا العمل و أسأله الإخلاص والقبول، ويشرفني أن أتقدم بوافر الشكر وأخلصه إلى كل أسهم في إخراج هذا البحث المتواضع بدءا برئيس المشروع أ.د باني – حفظه الله-

كما أوجه شكري وامتناني إلى الأستاذ المشرف أ.د الأخضر الحاج وأشكره على ما تفضل به من نصح وتوجيه وتصحيح وتنبيه.

إلى د. ح. شدري الذي لم يبخل علي بالوقت والجهد فله خالص التقدير والعرفان

إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها عامة، الذين أكن لهم كل الود والاحترام.

وجزى الله خير الجزاء كل من ساهم في بدر العون والمساعدة في قليل أو كثير، من قريب أو بعيد.

-حفظ الله الجميع و رعاهم-

-الحمد لله أولا و آخرا-

إهداء

إلهي لا يطيبُ اللّيلُ إلّا بشكرك، ولا يطيبُ النّهارُ إلّا بطاعتك ولا تطيبُ اللّحظاتُ إلّا بذكرك، ولا تطيبُ الآخرةُ إلّا بعفوك

ولا تطيبُ الجنّة إلّا برؤيتك.

إلى روح والدي الكريم طيبَ اللهُ ثراه وأسكنه الفردوس الأعلى.

إلى والدتي رمزُ الحبّ وينبوعُ العطاء أمدّ اللهُ في عمرها ورزقني برّها.

إلى أخواتي وإخوتي، إلى أهل القرآن وأهل العربيّة.

مقدمة

الاستشراق ظاهرة فكرية أدت دورا خطيرا في ساحة اللّغة العربيّة، وتركت آثارا سلبية كثيرة، ظهرت بصماتها واضحة في المجتمعات العربية الإسلامية، فهو المسؤول الأوّل عن الغزو الفكري المتواصل للثّقافة الإسلامية.

والموضوع كما يتضّح من عنوانه يتناول نواح عدّة، بدءا بأهمية اللّغة العربية والتي تكمن في ارتباطها الوثيق بالدّين الإسلامي وبالقرآن الكريم، حيث اصطفى المولى العزيز هذه اللّغة من بين جميع اللّغات لتكون لغة كتابه العظيم ورسوله الكريم، فكانت الرّكن الثّابت الأصيل للشخصية العربية الإسلامية، ووصولا إلى حركة التغلغل الاستشراقيّ في اللّغة العربية، وتتبّع أثره فيها وأهلها، حيث اتّضح أنّ جل المشاكل التّي ظهرت في هذا الميدان لم تكن إلاّ نتيجة لأثر الفكر الاستشراقي فيها.

وحاولت ما أمكنني أن أُ لِمَ بجوانب البحث منذ بداياته الأولى، وأن أقف على كثير من الحقائق المتعلّقة به، كما سيتبيّن ذلك من خلال هذه الدّراسة.

فالمشكلة قديمة متجدّدة لا نزال نعاني من تبعاتها وأمّا البواعث التّي حد ت بي إلى اختيار هذا الموضوع للبحث فعديدة، ذاتية وموضوعية:

فاللّغة العربية هي الرّحم الواصلة بين المسلمين لأنّها لغة القرآن الكريم نميل إليها وبكلّ ما يتصّل بها، إيمانا بجزيل عطائها وعظيم فضائلها. وهي تواجه الآن مشكلات عميقة عمق وجودنا العربيّ بسبب ارتباطها بالدّين الإسلاميّ، فتكالبت عليها الأعداء، وتعاقبت عليها النّكبات، حتّى أنّ الدّاء أصاب أهلها، من جاهل بها، ومتربّص بها، وآخر يحاول جاهدا أن يصلح ما يمكن

إصلاحه، والواجب يحتّم علينا فعل شيء لمواجهة هذا القلق العميق الذّي ينتاب العربي الغيور على دينه ولغته، والمشغول بصناعة فكره وثقافته.

وتتمحور المشكلة البحثية لهذا البحث حول التّوصيف الدّقيق لطبيعة العلاقة القائمة بين اللغة العربية الفصحى، واللغة العامية، وكيف تمكن المستشرقون من جعلها بؤرة توتر وصراع شديدين وزرعوا الفتنة بين أهلها حتى يدبّ في فيها الوهن .

فقد بدأ الهجوم على اللّغة العربية الفصحى من طرف الفكر الاستشراقيّ الذّي لا يخدم إلاّ أغراضه وغاياته، وغالبا ما يخضع للحركات التّنصيريّة والاستعماريّة، فرأيت لِزاما أن أدرس هذا الموضوع للتّعرف على مكامن الخطر، وكشف منافذ الرّيبة، للدّفاع عمّا نتمسك به جميعا من قيم دينية وفكرية وخلقية وقومية، ووجدت بأنّ الاستشراق جانب الصّواب في كثير من اتّجاهاته وبحوثه ونظرياته.

والحقيقة أنّ كثيرا من أدبائنا ومفكّر ين تعلّموا على أيدي المستشرقين، وتأثّروا بهم، فنقلوا إلينا أفكارهم وآراءهم ونظرياتهم، ورأيت أنّ الواجب يقتضي إبراز هذا التّأثّر وذاك التّأثير في الفكر العربي في لغته العربية.

والمنهج الّذي اتّبعته هو المنهج التاريخي التّحليليّ، بيّنت هذا كلّه خلال البحث الذّي جعلته مشتملا على: مقدّمة، مدخل، ثلاثة فصول، وخاتمة.

أمّا المقدّمة، فتناولت فيها عناصر هذا البحث وقيمته بإيجاز شديد.

وأمّا الفصل الأوّل وعنوانه «مكانة اللّغة العربيّة في وسطها التّداوليّ»، بحيث تحدّثت فيه عن تجليات اللّغة على الفرد والمجتمع، وأعقبته الحديث عن قيمة اللّغة في العصر الجاهلي ثمّ دخول الإسلام وأثر القرآن الكريم فيها من المنظورين: منظور الثّقافة العربية الإسلاميّة والمنظور الاستشراقيّ، ثمّ عرّجت على أهمّ خصائص اللّغة العربيّة وختمت بمكانتها أيضا من المنظورين العربيّ

والاستشراقيّ، وحاولت ما أمكنني أن أبيّن العلاقة الوطيدة واللاّزمة بين اللّغة العربيّة والوحدة الإسلاميّة، كما بيّنت وعي المستشرقين لهذا الأمر مستشهدة بأقوالهم في ذلك.

وبحثت في الفصل الثاني وعنوانه «طبيعة الفهم الاستشراقيّ للغة العربية» عن مفهوم الاستشراق ونشأته متعرّضة لنظر ته إلى اللّغة العربيّة، ثمّ بحثت في أهّم الدّواعي التّي أدّت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللّغة العربية مركزة في دراستي على الدّواعي: الحضارية، العلميّة، التّنصيريّة، وختمته بالدّاعي الاستعماري الذّي درست فيه الوضع في الجزائر – كأنموذجا – كما تناولت أهّم المعارك التّي قام بها الفكر الاستشراقيّ ضدّ اللّغة العربيّة التّي اتّهمها بالتّخلف والجمود، كان أهمّها: الدّعوة إلى العامية، صعوبة النّحو، مزاعم إصلاح الخط العربيّ، مع بيان أبرز الرّواد المستشرقين الذّين قادوا هذه المعارك، ثمّ تعرضت لأساليب أخرى استخدمت لنفس الغرض على نحو المجلات (مجلة الشرق، مجلة المقتضب). ثمّ تحدّثت عن تناول المستشرقين لترجمة معاني القرآن الكريم، أساليبهم وأهدافهم.

وأمّا الفصل الثالث والمعنون بـــ«آثار الحركة الاستشراقيّة وأبعادها»، حيث تناولت تأثير الأفكار المستشرقين على بعض المفكّرين العرب، وكيف استعمل الاستشراق أبناء العرب لضرب بعضهم ببعض وقد بيّنت فيه أيضا وعي البعض الآخر ، ثمّ بحثت في نفوذ المستشرقين إلى المجامع اللّغوية بما فيهم المناهضين للإسلام علنا، مركّزة دراستي على المجمع العلمي بدمشق، المجمع المصري بالقاهرة، المجمع العلمي العراقي، وختمته بأبعاد الحركة الاستشراقيّة على اللّغة العربية التّي وجدناها دائما تناصب العداء للعربية الفصحى كونها لغة القرآن الكريم لسان الوحي الإلهي ومؤكّدة على أنّ العالم العربي الإسلامي ظل مركز الصّراع العالميّ منذ أن اندفع العرب بإسلامهم إلى خارج جزيرتهم وحتّى وقتنا هذا وسيظل كذلك إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها.

وأمّا الخاتمة فعرجت فيها بإبراز أهّم النّتائج التّي توصلت إليها.

والمصادر التّي اخترتها لإعداد هذا البحث تربو على أكثر من (185) مرجعا حسب الطّبيعة التّي فرضت نفسها على البحث.

وقد تحديت مختلف المتاعب والعوائق التي واجهتني للوصول إلى الحقائق، ساعية ما أمكنني إلى خدمة الإسلام وكتابه ولغته المجيدة.

أخيرا، لا يسعني إلاّ أن أدعو بالخير والرّضوان من المولى العلي الحميد لكلّ من أهدى لي نصحا، أو دعا لي بالخير والفلاح في ظهر الغيب، و أسأل اللّه الكريم أن يجعل هذه الدّراسة خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون لنا في الدّنيا نافعة، ويوم القيامة شافعة، وإلى الجنة دافعة ولدرجاتنا رافعة، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد

فتيحة بوطالة

11 صفر 1438هـ - 2016/11/13م

مدخل

لا غرو في أن اللغة أرقى قنوات التّواصل بين النّاس، فهي الصّورة المسموعة أو المقروءة التي تجيش في صدورنا وتعشش في عقولنا وتنبض بها قلوبنا، لأنّها تحتّل مكانة خاصّة في تكوين الشخصيّة الإنسانيّة بكل ما تحتويه من مظاهر الوحدة والهوية التي تبني المجتمعات وتساعد على ترابط واستمرار الأمم عبر العصور بما تحمله من مبادئ وثقافات، فـــ «اللغة هي المظهر الحسيّ للناحية الرّوحية للنّاس، وهي القوّة التي تؤثّر في أنماط تفكيرهم»[1].

واللغة العربية بالذات سجل أمين لتراثنا وتاريخنا وآفاق تطلعاتنا، والحصن الحصين لكتاب ربّنا العليم الحكيم وسنّة نبّينا سيد الخلق أجمعين، تتفرّد بكونها لا تقبل الخضوع للتغيير أو التبديل دون غيرها من اللغات، لارتباطها بالقرآن الكريم ذلك الكتاب المقدّس المبين الذي قال عنه المولى الجليل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾الزمر: ٢٣

رفع شأنها وأعلى قدرها وسما بها إلى أرفع الدّرجات فكانت وعاء الوحي الإلهيّ، منها انبثقت العلوم والمعارف فامتطى الخير ركابه وانبلج النّور، وانطلق الفكر، وفكّ الزمان قيوده، واخضوضرت الأرض بفيض عطائها وطيب عبقها، فبلسانها الطاهر جاءت البشارة العظمى – نزول القرآن – فانبعث منها قبس من نور خاتم الأنبياء والرّسل فأنار فحمة الدّجى، وأضاء الكون بنور الله في شريعة سمحة.

1- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات العربية، دار حنين، عمان، ط.02، 1992، ص 16.

تلك اللغة التي جمعت كل العناصر الجوهرية لعالمية الشخصيّة العربية الإسلاميّة والأبعاد الكامنة فيها واللامتناهية من قيم الحق والخير والجمال والعبقرية الخالدة في صفحات المستقبل من تاريخ أمّتنا المجيدة، فكانت البصمة المتميّزة في انتفاع شعوب عدّة من خارج الحدود الإسلاميّة.

عرف المستشرقون قيمة اللغة في حياة الشعوب والأوطان وأجمعوا على أهميتها لأنّهم خبروا آثارها في مسيرة البشر الحضارية فاستثمروها كسلاح خفيّ هادئ فديدنهم هو خلق الفوضى والخلخلة في ثقافة وأصول الانسان العربيّ، وعن هذه الحركة الاستشراقيّة يتحدّث" المعالقي": "أدركت – الحركة الاستشراقية – أهمية تقطيع أوصال العرب وتمزيق وحدتهم وأيقنت استحالة تحقيق هذه الغاية مادام الرابط اللغويّ يجمع بين أبناء الضّاد وما بقيت اللغة العربية واحدة وحرفها الموحّد يصل بلادهم بتراثها الماضي ، يشدّ أواصرها ،ويوثق عضدها ،ويضفي عليها هالة من القوّة والتّجدد"[1] فلا غرابة في أن يعكف أعداء الإسلام في كل العصور على هدف واحد وهو محاربة اللغة العربية فحيكت ضدّها المؤامرات بنشوب حرب ضروس مستمرة.

هي حرب فكرية تحاول طمس معالم هذه اللغة، وتشويه صورتها والقضاء عليها بكل الأساليب، فجنّدت الأقلام، وسال الكثير من الحبر، إنّه غزو فكريّ، يستهدف هوية الإنسان، وروحه النابض وعقله الرّاجح، وتاريخه الأصيل المتأصّل، فإذا كان الغزو المسلّح يترك آثارا واضحة من خراب ودمار، فما بالك بالغزو الفكريّ الذي يرمي إلى تحطيم القيم ومسخ المبادئ فالسّبيل الوحيد إذن هو «بلبلة العقل العربي وتشكيكه في نفسه، وإلا تحطيم الرّابطة الأولى والأخيرة في

1- معالقي ،منذر، الاستشراق في الميزان ، المكتب الإسلامي ،ط.1، 1418ه/1997م ،ص.41.

حياة العرب، وهي اللغة بتمزيقها إلى لغات» [1] فيُتْرَكُ العربي إنسانا دون شخصية أو هوية، إنسانا تائها ضعيفا، متردّدا، مهزوزا، مهزوما لا ملمح له ولا مَعْلَمْ، فهو بذلك شبه إنسان، مسروق الرّوح والوجدان، غريب في وطنه بين أهله، لا يدرك كنهه ولا مبتغاه، فإذا كانت حرب السّلاح تستدعي تكثيف الضّربات وتقدّم الجيوش لإحراز النّصر، فإنّ حرب الكلمة – الفكر – تعمل على ضربات خفيفة رقيقة في ظاهرها، قاسية وخيمة في حقيقتها.

علما أنّهم يدركون أنّ الثروة الحقيقية للأمّة هو الإنسان فيعمدون بكل ما لديهم إلى تحطيمه، ومن ثمّ فإنّ الواجب يحتّم علينا أن نهتم بهذه النّعمة التي حبانا الله إيّاها، برعايتها والمحافظة عليها والتشبث بها، وذلك بتوظيفها في جميع المجالات والاعتزاز والفخر بها، والتنبه دائما لأيّ خطر يتهدّدها، بل لأيّ شائبة انحراف تشوبها حتى تظل على الدّوام من أخلد الصّفحات كنوزا لا تفنى، وحياة ونضارة تبقى، يشيخ الزّمان ولا تشيخ، وتطوى الأيام والدّهور، وهي ماثلة في الصّدور وفي السّطور.

1- محمود شاكر، أباطيل وأسمار، ج(1-2) في مجلد واحد، مكتبة الخانجي، ط.3، 2005، ص 121

الفصل الأول

مكانة اللّغة العربيّة في وسطها التّداوليّ

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا سعيد

المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال:

« قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما

مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله

إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة»

رواه الترمذي (2907)

المبحث الأوّل: تجليات اللّغة على الفرد والمجتمع

أوّلا: أهمية اللّغة:

تعريف اللّغة:

أ -لغةً: اللّسن، وحدّها أنّها«أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»، وهي فُعْلَةٌ ، من لَغَوْتُ، أي تكلمت، أصلها لُغْوَةٌ كَكُرَةٌ، وقيل أصلها: لُغى أو لَغْوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًى مثل: بُرة وبُرىً، وفي المحكم: الجمع لغاتٌ ولغون، وبالنّسبة إليها لُغون، والنّسبة إليها لُغويٌّ، وقال أبو سعيد:«إذا أردت أن تنتفع بالإعراب فاستلغهم، أي اسمع من لغاتهم من غير مسألة»[1].

ب -اصطلاحا:«قدرة ذهنية مكتسبة يمثّلها نسق يتكوّن من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما»[2]. فاللغة بهذا المفهوم (تعدّ):

1 -قدرة ذهنية تتكوّن من مجموع المعارف اللغويّة، تتولّد وتنمو لدى كلّ فرد، وتمثّل صلة الوصل بين فكره وأفكار مجتمعه.

2 -هذه القدرة مكتسبة، نابعة من شعور الإنسان بانتمائه لمجتمعه نفسيّا واجتماعيا وثقافيا،ورغبته في التّعايش والتّواصل معه كونه لا يستطيع أن يعيش بعيدا منعزلا عمّا يحدث حوله.

3 -أداة للتّواصل بين أفراد مجتمع معيّن تستقيم بها حياتهم، وتسير بها أمورهم، وتقضى حوائجهم المختلفة.

1- ينظر،ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم،تخ:خالد رشيد،لسان العرب،دار الصبح، ج12، بيروت، لبنان، ط،01، 2006/1427م، ص290.

2- المعتوق أحمد محمّد، الحصيلة اللغوية، أهميّتها، مصادرها،وسائل تنميتها،عالم المعرفة،د.ط.ص.29.

أهمية اللّغة:

تعدّ اللغة* أهمّ مظهر من مظاهر السّلوك الإنسانيّ، وهي تمثّل أساس الحياة الاجتماعية،فهي الوسيلة الأنجح لدى الفرد للتعبير عن أفكاره، وآرائه وأحاسيسه، وبالتالي فهي حاجة مُلِحَة يسعى إليها الإنسان لاكتسابها ذلك أنّه مهما بلغ «ما يحصله الإنسان من مظاهر حضارية من علوم ومعارف وطرق ووسائل مادية، فإنّه يشعر في قرارة نفسه بأنّه يعتمد اعتمادا كليّا على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق مآربه»[1] فاللغة إذن تقرّب الأفكار،وتذيب الفوارق الثّقافية،وتعكس روح الودّ والتّفاهم،وترسم صورة حقيقية لحياة الآخر.

اللّغة، المجتمع، الهوية:

اللّغة والمجتمع: ممّا لا شكّ فيه أنّ اللغة باتت تشغل مكانة لها أثرها العميق في الحياة الاجتماعية فهي تعمل بصفة خاصّة من أجل فهم القضايا ذات الاعتبارات الاجتماعية فدراسة اللغة ليست لأنّها بنية مستقلة تمثل مجرّد نظام من الجمل،بل بوصفها خطابا بكونها حدثا بعيد المدى، يقول **فندريس** (Vendryes): «في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة، ووجدت يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص، الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم، الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرّفاتهم،الإشارة إذا

* هناك أنواع من اللغة: لغة الكلام، لغة الإشارة، لغة العيون، لغة الحيوان..وفي هذا البحث نركز على لغة الكلام .

1- المعتوق، أحمد محمّد، الحصيلة اللغوية، ص 31.

أعوزهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكف الإشارة» [1]. فاللغة نشاط اجتماعيّ ناتج عن حاجة التّواصل بين أفراد المجتمع، تفرض ألوانا معينة من السّلوك والتفكير والعواطف وتسجّل بدقّة حضارة المجتمع ونظمه وعقائده، واتّجاهاته الفكريّة والثقافيّة والعلميّة...إلخ.

ويؤكّد الباحثون في علم اللغة على الارتباط الشّديد بين اللغة والمجتمع ذلك ل:«أنّ وجود اللغة يشترط وجود مجتمع، فليس هناك نظام لغويّ يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه، وتتعامل به» [2] ويرى **جان بياجيه** (Jean Piaget) «أنّ اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد» [3] ومن ثمّ فإنّ اللغة عنصر مهمّ في تكوين المجتمع وبنائه، وتوجيه مساره.

ولعلّ وجود أيّ أمّة من الأمم مرتبط بوجود شخصيتها المرتسمة في لغتها، يرى الألمانيّ **فيخته** **j.G.Fichte** أستاذ الفلسفة بجامعة برلين أنّ أصالة اللغة تمثّل:«رمز وجود الأمّة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقد انها تكون المجموعة البشرية أمّة وشعبا أصيلا أو مجرّد أشتات فحسب» [4] .لذا فإنّ اللغة تكوّن المجتمع وتحافظ على تماسكه وترابطه حتى يكون كلّا متراصا، وتعكس صدى روحه،تؤثّر في تصوّراته،وتصبغ عليها المعاني ،فينطبع بطبعها ويتشكّل بشكلها، ويتميّز بها عن غيره.

1- فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ص 35.
2- لطيمات غازي مختار،في علم اللغة،دار طلاس،ط.2، 2000، ص . 22.
3- المرجع نفسه،ص 22.
4- قاسم مولود، اللغة و الشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة،قسنطينة، العدد:(17-18)، 1394ه/1974م،ص51 .

وأيّا كانت اللغة فهي عارمة تتدفق تلقائيّا، فتؤثّر على الإنسان المتحدّث بها تأثيرا مباشرا فعّالا بما تشحنه من طاقة كامنة، وذلك لارتباطها بالفكر الإنسانيّ،ذلك أنّ حياة كلّ أمّة مرتبطة بحياة لغتها ارتباطا وثيقا لا مناص منه،كما يعبّر عن ذلك **هردر** الألمانيّ (Herder)، بقوله:«لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد و التاريخ و الفلسفة والدين،ولكن قلب الشعب ينبض للتّرابط في لغته، وروحه يكمن في لغة الآباء و الأجداد» [1]. فاللغة عامل مهم للترابط بين الأجيال، ووسيلة الانتقال للثقافات بين العصور.

وتؤثّر اللغة في الأمّة المتحدّثة بها تأثيرا لا حدّ له يمتدّ إلى تفكيرها، وإرادتها، وتصوّراتها، وإلى أعماق أعماقها،حتى تصبح تصرفاتها جميعها مرتبطة بهذا التأثير،متكيّفة معه، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف الألمانيّ **هيدجر** (Heidegger) حين قال: «إنّ لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقرّي،هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها،وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح »[2]، ويضيف: «حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولّما كان التاريخ لا يصير ممكنا في عالم، اقتضى ذلك أنّه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ» [3]، إذن فاللغة سلطان يهيمن على تفكير الإنسان ويحدّد سلوكاته، فهي مرآة المجتمع تكشف عن طبيعته وسماته الحضارية وهي تلعب الدّور الأكبر في استقبال الأفكار و استيعابها والتعبير عنها.

1- السيد محمود، التّمكين للغة العربية: آفاق وحلول، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد83، ج.2، ص.302 .

2- السيد محمود،التّمكين للغة العربية،ص302.

3- المرجع نفسه،ص303.

وتتأثّر اللغة بالمجتمع وأفكاره فيشكّلها ويصبغها بصبغته ليخرج إلى النّور جوهرها وتفيض لنا حقيقتها و«تتأثر اللغة أيّما تأثّر بحضارة الأمّة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتّجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، ونظرتها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامّة...وما إلى ذلك. فكل تطوّر يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردّد صداه في أداة التعبير، ولذلك تعدّ اللغات أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب»[1] فاتّساع حضارة أيّة أمّة ورقيّها وتطوّرها يؤدّي إلى اتّساع لغتها وسمو أساليبها ومعانيها «وانتقال الأمّة من البداوة إلى الحضارة يهذّب لغتها، ويسمو بأساليبها ويوسّع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة»[2]، تماما كما حدث مع اللغة العربية، فانتقال العرب من الجاهلية إلى الإسلام نهض بلغتهم، وصقلها ووسّع مداركها، وارتقى بها حتى صارت تلامس عنان السّماء، فقد جعل منها لغة عالمية لحملها رسالة الإسلام.

وهكذا فإنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تسجّل بها الأمّة علومها، وتدوّن آدابها، وتكتب تاريخها، وتستوعب نتائج عقول أبنائها، فهي بذلك ألزم لوازم الأمّة:«فإنّ كانت الأمّة جسما، فاللغة الرّوح، أو شمسا، فاللغة الشعاع» [3]، فاللغة عصب الأمّة، ووعاء فكرها،تحفظه وتعبّر عنه وترقى به، هي المرآة العاكسة لتقدّم وتطوّر أهلها أو العكس.

واللغة مقوّم أساسي ترتكز عليه الأمم لتقوى وحدتها وتضمن بقاءها على نحو ما حدث للدولة الألمانية التي ظلّت موحّدة رغم تمزيقها جغرافيا إلى دولتين بعد الحرب العالمية الثانية:«وإنّ

1- وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار عكاظ، ط4، 1403هـ /1983م، ص.13 .

2- المرجع نفسه، ص نفسها.

3- الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف ننهض بها، دار الكتاب العربيّ، مصر،ط.1، 1366ه/1947م،ص06.

المحك الحقيقيّ لفاعلية أي عنصر من عناصر الانتماء القوميّ لدى المجتمع سواء كان في اللغة أو الدّين أو المشيئة أو المصلحة الاقتصادية، يتمثّل في مدى قدرته على الرّبط بين أفراد المجتمع ومدى مقاومته وتعرّضه للتّحلّل أو الذّوبان في مجتمع آخر أقوى منه ثقافة أو عددا» [1]، مع العلم أنّ المجتمعات القومية ما تنفكّ تواجه تيارات عديدة تستهدف إذابتها بوسائل شتى في وقتنا المعاصر.

اللّغة والهوية:

وتمثّل اللغة هوية الأمّة، وأعظم مقوّمات وجودها، ووطنها الرّوحي، فمكانة الأمّة من مكانة لغتها فهي «تابعة لأحوال الاجتماع في البسط والقبض وما يتقلّب عليه ويحدث فيه، بحيث لا تخرج عن أن تكون مرآة تظهره كما هو في نفسه مهما تنوعت أشكاله، واختلفت أزياؤه، كان لابدّ أن تتغيّر بحسبه مادامت مستعملة فيه» [2] وهي ترتبط بالتفكير ارتباطا وثيقا، لأنّ أفكار الإنسان تصاغ دوما في قالب لغويّ، فهما وجهان لعملة واحدة.

اللغة وسيلة فكر وتواصل وترجمان لكلّ ما يجول في خواطر الإنسان وخلده، من أحاسيس وأفكار وهواجس، تعبّر عن مكنوناته، وتلازمه مدى حياته،إنّها كما يقول الفيلسوف نيتشه (Nietzsche) «تلازم الفرد في حياته، وتمتدّ إلى أعماق كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته، إنّها تجعل من الأمّة الناطقة بها كلّا مُتراصّا خاضعا لقوانين، إنّها الرابطة الحقيقية الوحيدة

1- أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشّهداء وخيانة الخفراء!؟شركة دار الأمة،ط.1،2005 ، ص.163.

2- الرّافعيّ، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان،ج1،ط،1،ص52.

بين عالم الأجسام، وعالم الأذهان»[1]، فهوية أيّ أمّة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم لتعبّر عن شخصيتها الحضارية وتقوم على ثلاثة عناصر مهمّة:«العقيدة، اللسان، والتراث الثقافي»[2].

وتتماهى اللغة والهوية حتى يكادان يصبحان شيئا واحدا وفقا لقول **فون درجابلنتس** (Von der Gabelents) ف:«الإنسان لا يستخدم اللغة،للتعبير عن الشيء فحسب، بل للتعبير عن نفسه أيضا»[3]، فالإنسان في جوهره لغة وهوية، لغته يمثّلها لسانه الناطق بها، وهويته التي تمثّل انتماءه ومعتقداته، وكأنّ لسان الحال يقول: قل لي ما لغتك، أقول لك من أنت.

أمّا البشير الإبراهيميّ، فيربط وجود الأمّة وقوّتها ببقاء لسانها وقوّته، فيقول:«وإنّ اللغة هي المقوّم الأكبر من مقوّمات الاجتماع البشريّ، وما من أمّة أضاعت لغتها إلّا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقوّمات الأخرى» [4] ثمّ يُضيف «وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتّساع، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء» [5]، فلولا اللغات لما تمايزت الحضارات فهي المعبّرة عن كنهها، والكاشفة لأسرارها، المدوّنة لحقائقها، الرافعة لشأنها.

واستوفى الرّافعي ملاك كلّ ما سبق حين قال:«إنّما اللغة مظهر من مظاهر التاريخ، والتاريخ صفة الأمّة، والأمّة تكاد تكون صفة لغتها لأنّها حاجتها الطبيعية التي لا تنفك عنها ولا قوام لها

1- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية،محاضرات للتعرف على الفكر الإسلاميّ، قسنطينة، العدد.4، 1390 ه/1970م، ص88.
2- ينظر، ابن سعيد، موسى، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر،ص03.
3- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي ، ط.3، 1417 هـ / 1997 م. ص 137..
4- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي،ج1 (1929-1940)، ط.1، 1997، ص 134.
5- المرجع نفسه، ص 375.

بغيرها، فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتّصالها بتاريخ الأمّة، واتّصال الأمّة بها وجدتها الصّ فق الثابتة التي لا تزول إلّا بزوال الجنسيّة وانسلاخ الأمّة من تاريخها واشتمالها جلدة أمّة أخرى» [1].

ومهما يكن فلا يمكن لنا في حال من الأحوال أن نفصل بين اللغة والهوية والمجتمع، فالكلّ يصبّ في بوتقة واحدة.

اللغة ومحافظتها على التراث الاجتماعي والثقافي المشترك:

يشكّل توطّد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجموعة الواحدة رصيد ا ثقافيا، وتراثا مشتركا لا بدّ من حفظه ونقله من جيل إلى جيل حتى يضمن المجتمع استمراري ته وديمومته التّاريخية، ولن يتأتى له ذلك إلاّ باللّغة لأنّها «تقوم بدورها في المحافظة على التّراث الاجتماعي الثّقافي المشترك» [2] كيف لا ونحن لا نستطيع أن نتعرف على شخصية ما، أو تاريخ منطقة، أو ... إلاّ إذا توجّهنا مباشرة إلى ما هو محفوظ في الكتب أو مخزون في ذاكرة البعض.

ولأنّ اللّغة ليست فقط «مقومّا من مقومات أيّ مجتمع بشري فحسب، بل هي أيضا مظهر من مظاهر حضارته أي أنّها العصب النّابض لكل نشاط اجتماعي أو مفهوم حضاري ولا يمكن الحصول على معلومات موثوق بها عن السّمات المميّزة التّي تتسّم بها العلاقات الاجتماعية والمفاهيم الحضارية التّي يتّصف بها المجتمع المعاصر إلاّ عن طريق اللّغة» [3]، فهي إذن – اللغة –

1- الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن-المعركة بين القديم والجديد- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1423ه/2002م، ص 39/38.

2- الصّيادي ،محمد منحي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 391.

3- روى، سي. هجمان، اللّغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة وتقديم: داوود أحمد السّيد، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ص 26.

حاملة لثقافة المجتمع وحضارته مكتوبة كانت أو شفهية، ومن خلالها تحفظ الأمم ميراثها من الثّقافات والمعارف، وأي معنى للمجتمع دون هذا الموروث الحضاري المشترك؟

ومن ثمّ فإنّ قيمة اللغة تكمن في تمسّك أهلها بها، وفخرهم واعتزازهم بها، ورواجها بينهم، وتداولها على ألسنتهم، و ثقتهم بها في حمل أفكارهم ومعتقداتهم وأنّها عنوان أصالتهم، وجوهر وجودهم، وتفعيل ملكتها، واستعمالهم لها في كلّ شؤون حياتهم.

المبحث الثّاني: اللّغة العربيّة في البيئة الجاهلية

اللغة العربيّة هي إحدى اللغات السّامية [1] المشهورة والباقية إلى يومنا هذا، وهي لغة الجنس العربيّ، وكغيرها من اللغات مرّت العربية بعدّة أدوار كونها كائن حيّ يحيو ويتطوّر.

وإذا كانت لكل أمّة ميزة حباها الله بها فمِنحة العرب اللسان، أداة الكلمة التي كان لها الأثر العميق في حياتهم فقد عاشوا بها ولها، ولا يزالون يسجّلون بها كلّ مواقفهم وتاريخهم، لــ: «أنّ كلّ أمّة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضّروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشّعر الموزون والكلام المقفّى وهو ديوانها... ثمّ إنّ العرب أحبّت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشّعر فبنوا غمدان وكعبة نجران إلخ»[2]، ومن ثمّ كان للأدب العربيّ شعرا أو نثرا- من خطب ووصايا- لغة تفهمها جميع القبائل العربية، وهذه اللغة أقرب ما تكون إلى لغة قريش.

أخذ العرب لغتهم بالسّليقة، فملكة اللغة سجيّة عندهم دون تكلّف أو تصنّع لما امتازوا به من فصاحة وبيان لقول الجاحظ:«وكل شيء للعرب فإنّما هو بديهة وارتجال، وكأنّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة، وإنّما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام...عند المقارعة أو المناقلة أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلّا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب و إلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا (أفواجا) وتنثال عليه الألفاظ انثيالا...

1- اللغات السّامية في نظر الباحثين هي:العربية، الآشورية، البابلية، الفينيقية، العبرية الحبشية.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب،ج3،دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط.1، 1421ه/2000م، ص12.

وكان الكلام الجيّد عندهم أظهر وأكثر، وهم أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر..من غير تكلّف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب»[1].

ولع العرب بلغتهم فبرعوا فيها و تفنّنوا في نقل أفكارهم وأحاسيسهم فأقاموا لها الأسواق والمحافل يتنافسون فيما بينهم مبرزين مواهبهم وقدراتهم في نظم الشعر وإلقاء الخطب،حيث:«أنشأ العرب أسواقا عامّة يتعارفون فيها و يتحابون، فلم تكن هذه الأسواق في عكاظ ومجنة وذي المجاز سوى مؤتمرات للشّعر في الحقيقة خالية من التحكم على النّفوس، ولا شيء أروع من تلك الأسواق على ما يسودها من البساطة فقد كانت تشابه الألعاب الأولمبية...وقصائد الشعراء إذا ما تقبلّتها مؤتمرات عكاظ بقبول حسن،كتبت بحروف من ذهب على نُسُجٍ ثمينة وعلّقت في الكعبة لتحفظ للحفدة...»[2] وأشهر هذه الأسواق "سوق عكاظ" التي كانت قبلة لقبائل العرب كلّها، يتناشدون ويتحاجون فيها، فهو مشهد كلّ القبائل، ذلك أنّ كلّ شريف يحضر سوق ناحيته، إلاّ عكاظ فإنّهم يتوافدون إليها من كلّ جهة، فيُلقي الشاعر الفحل بقصيدته والخطيب المصقّع بكلمته والكل يفصح عمّا جارت به قريحته، في تمجيد قومه والتذكير بمآثرهم، والإشادة بوقائعهم وأيّامهم والفخر بسجاياهم، ف"عكاظ" مفخرة من مفاخر العرب في الجاهلية.

1- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،البيان و التبيين،تح.عبد السلام هارون،ج3، ط.07،1418ه/1998م، ص28.

2- خفاجي،محمّد عبد المنعم،الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،دار الجيل،بيروت،ط.1، 1412ه/1992م، ص108.

وقد ذكره شاعر الرّسول ﷺ "حسّان بن ثابت الأنصاري" في معرض التفاخر حيث قال:

سَأَنْشُرُ إِنْ بَقِيتُ لَكُمْ كَلَاماً ∴ يُنْشَرُ فِي الْمَجَامِعِ مِنْ عُكَاظِ[1]

ومن ثمّ كان هذا السّوق بمثابة المجمع اللّغوي في ذلك الزّمن.

ويتوخى كلّ الشعراء والخطباء اختيار الألفاظ والأساليب المعروفة ليفهمه الحاضرون، فيذاع صيته حتى أنّه قد ضُرِبَت فيه قبّة "للنابغة الذّبياني"،فيتحاكم إليه الشعراء، وممّن أنشده فيها الأعشى والخنساء، وقد أبدع الشعراء في نظم أشعارهم، فكانت المعلّقات تلك القصائد الطويلة التي أبهرت الناس، فقيل عنها أنّها سميّت كذلك لأنّها كتبت بماء الذهب وعلّقت بأستار الكعبة،ومن شعراء المعلقات: عنترة بن أبي شدّاد، امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى.

وأهمّ ما يلاحظ على الشعر الجاهليّ أنّه كامل الصّياغة تستوفي عباراته أداء مدلولها ما يصوّر رُقيّا لغويا، يقول كارل بروكلمان * (Carl Broeckelmann): «استوعبت لغة الشعر هذه كلّ خصائص الأصل اللّغوي السّامي أكمل استيعاب،وإن لم تحتفظ في جميع نواحيها بأقدم الصّيغ والقوالب،و لم تضارعها لغة من نسبها السّامي في مرونتها ودقّتها في التعبير عن العلاقات التّركيبية،وهي مع واقعيّتها التّامة في وصف الأشياء تتأجّج بروحانية تمكّنها من التّعبير عن أرق أحاسيس الحبّ، وكذلك عن أقوى خوالج الشّعور بكرامة الرّجولة» [2]، فالشّعر العربيّ في العصر

1- حسّان بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1414ه/1994م، ص 147.

*- **كارل بروكلمان Carl Brockelmann**: (**1868 – 1956**) تخرج في اللغات السّامية على أعلام مستشرقي بلده مثل: نولدكه، وأ.فيشر، عين أستاذ للعربية، والسّاميات والتاريخ الإسلامي، انتخب عضوا في مجامع لغوية عالمية وعربية، أشهر ملفاته المترجمة للعربية: تاريخ الأدب العربي، تاريخ الشعوب الإسلامية، فقه اللغات السامية. تنظر: موسوعة المستشرقين ص98-105

2- بروكلمان،كارل،تاريخ الأدب العربي،نقله:النّجار عبد الحليم،ج.1،دار المعارف،القاهرة، ط.5،ص.43

الجاهلي مظهر من مظاهر حياة العرب، ومرآة صادقة لأخلاقهم، يصوّر الشّمائل العربية الأصلية،كالشّرف والكرم والشّهامة والفروسية والشجاعة.

كما ازدهرت الخطابة متناولة أغراضا مختلفة، ومن أشهر الخطباء: عمرو بن معدي كرب الزّبيدي، وعمرو بن كلثوم التغلبي وغيرهم وقد روي أنّ قس بن ساعدة يجمع بين الجزالة و الرّقة وقوّة التأثير ومن أهم خطبه: «أيّها النّاس اسمعوا وعوا، إنّه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر،وبحار تزخر،وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراه. إنّ في السّماء لخيرا، وإنّ في الأرض لعبرا، ما بال النّاس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ؟يقسم قس بالله قسمًا لا إثم فيه. إنّ لله دينا هو أرض ى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه.إنّكم لتأتون من الأمر منكرا » [1]، أمّا في الأمثال والحكم فنذكر: المرء بأصغريه قلبه ولسانه، أنجز حرّ ما وعد، يداك أوكتا وفوك نفخ. التي جسدت الحياة العقلية للعصر الجاهلي فالعرب في لغتها دائما كالأمّ مع وليدها لا تستطيع عنها فكاكا.

وهكذا فإنّ اللغة العربية من أدلّ الدّلائل على رُقي العرب في الجاهلية فهي:«مرآة أخلاق الأمّة ومقياس آدابها وما من ينكر على اللغة العربية رقيّها في الجاهلية فإنّ أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم على ما فيها من الحكمة وتهذيب اللفظ ودقّة التركيب، وسبك العبارة وجمال المعنى تدلّ على أنّهم بلغوا منتهى الرّقي إذ لا يعقل أن يكون لهم مثل هذه اللغة ويكونوا بعيدين عن الحضارة أو حديثي عهد بها، فإنّه لا يمكن للغة أن تبلغ من النّضج ما بلغته اللغة العربية قبل الإسلام إلاّ

1- موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د،ط،ص11.

بتوالي الأحقاب و الدّهور كما أنّ سُمو الخيال لا يبلغ بشعب ما بلغت به قرائح شعراء العرب إلّا إذا كانوا على أسمى مراقي الخلقيّة والنفسية» [1]، فالغوص في بحارها يفضي إلى مشاهدة دُرَرها وجواهرها وما تحمل في طيّاتها من روائع تحوي كنوزا ثمينة وجواهر نفيسة.

والمتأمّل لتاريخ العربية قبل الإسلام بعين ثاقبة داخل البيئة التي احتوتها منذ عصرها الأوّل ليُدرِك أنّها كانت تُعَدُ من الأزل لأسمى وأعظم مهمّة في الكون، وهي تبليغ الرسالة الإلهية للعالم أجمع«فهي أعرق الأمم في المدنية لأنّ ألفاظها وأساليبها و معانيها،و تراكيبها بلغت منتهى الجودة والرقة والمتانة، وكفى بما نقرأه من الأشعار والأمثال والحكم والخطب شاهدا على بلوغ العرب منتهى الكمال والإبداع»[2]. ذلك أنّ العرب أدركوا قيمة لغتهم ومدى بيانها ورقيّها فحرصوا على جودتها.

وفي هذا الصّدد نجد المستشرق "أرنست رينان" Ernest Renan يشيد باللغة العربية قائلا: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية: (العربية) وتصل إلى درجة الكمال وسط الصّحاري وعند أمّة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحسن نظام مبانيها، ... من يوم عُلمت ظهرت لنا في حُلَلِ الكمال وإلى درجة أنّها لم تتغير أيّ تغيّر يذكر، حتى أنّها لم تعرف لها في كلّ أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلّا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة

1- داغر، أسعد، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيكي بمصر، د،ط، 1336ه/1917م، ص41.

2- المرجع نفسه، ص128.

من غير تدرّج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كلّ شائبة» [1]، وهذا ما يؤكّده أيضا المستشرق غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) حين قال:«ونجهل تاريخ نشوء اللغة العربية كما نعرفها الآن، ولكنّنا نعلم من الشعر العربي الذي قيل قبل ظهور محمّد بقرن واحد أنّ اللغة العربية كانت قد وصلت إلى درجة كمالها» [2]، فقد شغلت اللغة العربية ألباب العرب حتى ملكوا ناصيتها شعرا ونثرا وكتابة وخطّا. وكان لِصُنّاع الكلمة شأن عظيم لدى القبائل التي ينتمون إليها.

وأخيرا، إذا كانت اللغة كما قال الرّافعي«صورة وجود الأمّة بأفكارها ومعانيها، وحقائق نفوسها، وجودا متميّزا قائما بخصائصه» [3] فقد ترسّخت جذور العربية ترسخا عميقا قبل الإسلام، برز ذلك في الحكم والأمثال، والخطب والأشعار، فتجلّت لغة مشرقة زاهية بين اللغات، صوّرت حياة العرب، فكانت مرآة عاكسة لتفكيرهم ووجودهم، وروحا معبّرة عن مشاعرهم وعواطفهم، ومسرحا رحبا لأخيلتهم وطموحاتهم، وبالرّغم من هذا كلّه تلازم مكانها وتخص قومها دون غيرها.

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني، 1402ه/1982م، ص27.
2- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر:عادل زعتر، هنداوي، د.ط، د.ت ص 455.
3- الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، المكتبة العصرية، د.ط، ج.3، 2002، ص 28.

المبحث الثالث: القرآن عنوان الثّبات والبقاء.

لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أشدّ أثرا في تقرير مصيرها من نزول القرآن الكريم فقد«صفّى اللغة من أكدارها وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السّحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب» [1]. فكان دفعا قويّا لرقيّها وسموّها، وسببا في بسط سلطانها، ف«القول في هذه اللغة كيف ظهرت في آياته للزّمان حتى لا يظن أنّها لغة عصرها، وكيف بهرت بغاياته في البيان حتى ليقال إنّها لغة دهرها، وكيف جاوز بها قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها»[2].

نزل القرآن الكريم على خاتم النّبيّين، بلسان عربيّ مبين، ولا ريب في أنّ اللغة التي اختارها عزّ وجلّ لغة عبادته وذكره ودعائه والاتّصال به من بين جميع اللغات، لهي الأجدر بأن تكون أجمل اللّغات وأكملها على الإطلاق، وقد بيّن لنا أهمّ خواصها:

1 -بيان اللسان العربيّ: قال تبارك وتعالى:[3]

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾إبراهيم: 4

﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ النحل: 103

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، ج2، ط.1، 1421هـ، ص12.

2- المرجع نفسه، ص60.

3- اللسان: جارحة الكلام، وقد يُكنى بها عن الكلمة فيؤنّث حينئذ، واللسان: اللغة،مؤنثة لا غير، واللِّسْنُ بكسر اللَّام: اللغة، وحكى أبو عمرو: لكل قوم لِسْنٌ،أي لغة يتكلّمون بها، و يُقَالُ: رجل لَسِنٌ بيّنُ اللَّسْنِ، إذا كان ذا بيان و فصاحة، واللِّسْن:الكلام واللغة، وَلاّسَنَهُ:ناطقه.
ينظر: ابن منظور،لسان العرب،دار المعارف،طبعة جديدة محققة،دار المعارف،القاهرة، ص30 – 40.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء:193-195.

2 -وصف باللاستقامة ونفى عنه الاعوجاج والبطلان:

﴿ **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا** غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر:28

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: 42

3 -أمرنا بتدبّره وتفكّره: فهو يؤدي بالإنسان إلى أن يعقل ويفهم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ **قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا** لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: 2

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ **قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا** لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الزخرف: 3

4 -ميّزه بالتفصيل:

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا** لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت: 3

5 -جل ونفى هذه الخاصية عن غيره من الألسنة:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾ فصلت: 44

6 -جاء ليبشّر وينذر:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ طه: 113

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الشورى: 7

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف: 12

7 -وأقرّ له بالحكم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ الرعد: 37

8 -وتحدّى بأن يأتوا بمثله:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: 88

وهكذا ضمن القرآن الكريم للغة العربية خلودها ما تلاه التّالون، فارتقت بميلادها الجديد تتصدّر اللّغات في شريعة سمحة كانت العربية عالمها الأثير، وقمرها المنير، وشمسه النّضير،وما ذلك إلّا من دلائل كرامتها، وشريف مقاصدها، ولا غرو، فقد كانت نسيجا عبقا لوحدة الأمّة الإسلاميّة، ولو كانت هناك لغة أبلغ وأفصح من اللغة العربية، لاختارها المولى لتبليغ رسالته.

يقول ابن جني في الخصائص: «نزل القرآن بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم، ويلقون فيها خطبهم،ويتخاطبون بها فيما بينهم، ومصداق ذلك قوله تعالى(سورة إبراهيم) ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾،وجاءت صفة مبين نعت للّسان العربيّ، والقرآن والكتاب، والرّسول اثنتي عشرة مرّة في القرآن الكريم ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ النحل:103»[1].

السّورة	الآية	رقمها	الصّفحة
المائدة	﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾	15	110
الأنعام	﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾	59	134
يونس	﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾ ﴾	61	215
هود	﴿ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾	06	222
يوسف	﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾	01	235
الشّعراء	﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	02	367
النّمل	﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ ﴾	01	377
النّمل	﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٧٥﴾ ﴾	75	383
القصص	﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	02	385
سبأ	﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ ﴾	03	428
الزّخرف	﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	02	489
الدّخان	﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	02	496

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص30، وهذا الجدول يضم هذه الآيات (12).

فتزول القرآن باللغة العربية مع وجود لغات أخرى ارتقى بها وشرّفها على سائر اللغات فانفردت بكونها لغة الكتاب والسّنة وتعد:«اللغة الوحيدة التي تعبّر عن الذات الإلهيّة باللفظ والأسلوب الذي اختاره الله لذاته فيما أنزله من وحي لسان عربيّ مبين»[1].

فالقرآن إذن منّة الله على هذه اللغة الخالدة،كشف قدراتها وسما بها نحو العالمية لا تنازعها لغة أخرى، فأصبح سورا لها يدفع عنها الأذى ويردّ عنها الأعاديّ و:«أصبح المسلمون بقوّة القرآن أمّة متوحّدة في لغاتها ودينها وشريعتها وسياستها، فقد جمع شتات العرب،ومن المقرّر أنّه لولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتاباتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن لظلّ أهل كلّ بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التّفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلاميّة وبين العرب»[2]، فالعربية تستمدّ قوّتها من القرآن الكريم، بأن جعلها الله لسان وحيه ثابتة الأركان وطيدة الدّعائم.

يقول الرّافعي:«تلك سياسة هذا القرآن: جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريف التاريخ رأى ألسنتهم تقود أرواحهم، فقادهم من ألسنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبدّ بالتّكوين العقليّ في كلّ أمّة فتجعل الأمّة كأنّها تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلِج منه إلى مستقبلها، وأقامت فضائلها فكانت آثارها، فجعلوا يبنون عند كلّ مرحلة على أنقاض دولة دولة، ويرفعون على أطلال كلّ مذلّة صولة، ويخيطون جوانب العالم الممزّق بإبر من الأسنة،

1- خليف،عبد الرحمان، اللسان العربيّ بين الانتشار والانحسار، رابطة العالم العربي،عدد. 101، 1410ه/1990م، ص11.
2- الجنديّ، أنور، الفحصى لغة القرآن،ص32.

وراءها خيوط من الأعنة حتى أصبح تاريخ الأرض عربيّا، وصار بعد الذلة والمسكنة أبيّا، واستوسق لهم من الأمر ما لم ترو الأيام مثل خبره لغير هؤلاء العرب»[1].

أوجد القرآن الكريم وحدة لغوية للمسلمين تعزّز وحدتهم الدّينية، وتقوي صفوفهم، وتعظّم شوكتهم، وتعلي كلمتهم، إيذانا بشروق عصر جديد للغة العربية، عصر الانتشار والذيوع،بل هو عصر العالميّة، قال تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾سبأ28، وقال صلوات الله وسلامه عليه:«..وكان النّبي يُبعث إلى قومه خاصّة و بُعثت إلى النّاس عامّة» [2] وذلك يرجع إلى«أنّ ما بلغ إليه الغرب من معارف وفخار وسلطان، لم تبلغه أمّة سواهم في زمن من الأزمان، فقد جابوا الأقطار، ودوّخوا الأمصار، وامتلكوا القلوب، وسيطروا على الأفكار، فلم يدخلوا بلادا إلّا عرّبوها، ولا امتزجوا بأمّة إلّا استمالوها، و لم تبلغ حضارتهم إلى قوم إلّا اتّبعوها، والفضل في ذلك كلّه للمبادئ الصّحيحة التي تحلوا بها، والسّياسة القديمة التي ساروا عليها» [3].هذه المبادئ والسّياسات المستمدّة من القرآن الكريم الجامع بين الهدف الدّيني والمطلب الفنّي من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداة،والتّأثير في النّفس ممّا يستثير كوامن الوجدان.

وممّا يثير العجب أن تُحفظ هذه اللغة الكريمة من التّحلّل و التّفرع إلى لغات شتى تزيحها وتأخذ مكانها، كما حدث ويحدث لغيرها من اللغات الأخرى كاللّاتينية مثلا، كيف لا؟ وقد

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب،ج2، ص66/67.

2- رواه البخاري في صحيحه كتاب: التّيمم، رقم 335، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 521، والنسائي في سنن، متاب الغسل والتيمم باب التيمم بالصعيد، رقم 432.

3- داغر، أسعد، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيكي بمصر1336ه/1918م،د،ط،ص41.

حوت كلام الخالق الجليل وسنّة رسوله الخليل الذي حفظها وضمن لها البقاء، بقوله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر09.

وهذا الحديث لا يتردّد على أفواهنا نحن العرب فحسب، بل قاله قبلنا نصارى العرب الغيورين على هذه اللغة فنجد "**سليمان البستانيّ**" يقول:«إنّ سنة النّمو والتحول وتفرع الأصل الواحد إلى أصول شتى تشمل سائر المخلوقات، فقد قلنا إنّ لسان العرب في الجاهليّة تفرّع إلى فروع كاد كلّ منها يقوم لغة بنفسه، ويمتنع التّفاهم بين أصحابه، فجاء القرآن، وأزال الخلاف، وأوثق عرى الارتباط، فسادت اللغة العربية»[1].

بعد ذلك تحدّث عن اليونان وكيف ابتعدت لغتهم الحديثة عن لغتهم الأم فقال:«وأمّا العربية فليس هذا شأنها، فإنّ أصول اللغة مازالت على ما نطق به شعراء الجاهليّة، وغاية ما يشكل فهمه على قرّائها مفردات لم تألفها العامّة، ومترادفات متشابهات وتعابير غير مألوفة في عصرنا...وخلاصة ما تقدّم أنّ اللغة العربية أطول اللغات الحيّة عمرا، وأقدمّهنّ عهدا، والفضل في كلّ ذلك للقرآن، فالإلياذة وبلاغتها، وسائر منظومات هوميروس وهسيودس على علو مترلتها، لم تقم للغة اليونانية دعامة ثابتة، حتى في بلادها، و لم تقوَ على مقاومة التّيار الطّبيعيّ، ولكنّ القرآن وطّد أركان لغة قريش في بلادهم، وأذاعها في جميع البلاد العربيّة، وسائر البلاد التي طال فيها عهد الاحتلال*(!) الإسلاميّ، أو كثرت مخالطة العرب الضاربين في أقطار الأرض للجهاد والتّجارة»[2]،

1- عوض،إبراهيم، دفاع عن النّحو والفصحى، الدعوة إلى العاميّة تطل برأسها من جديد، شبكة الألوكة، مكتبة زهراء الشرق،د،ط،ص13.

* وأمّا نحن فنقول: الفتوحات الإسلامية ولا نرضى بعبارة الاحتلال الإسلامي .

2- عوض، إبراهيم، دفاع عن النّحو والفصحى، ص13.

ومن ثمّ فإنّ الإسلام بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص هو سبب تميّز العرب وارتقاء لغتهم لأنّ «هذا التميّز ما كان للعرب إلّا بالإضافة إلى الإسلام، الذي أشرق أوّل ما أشرق في صميم بلادهم، وتنزّل وحيه على رسول منهم» [1]. فالقرآن نفحة ربانية ألبس العربية قداسة، لا تنافسها فيها لغة أخرى وبات فصل العرب عن لغتهم بمثابة فصل الرّوح عن الجسد، لأنّها تمثل هوية الأمّة الإسلامية وعمقها الرّوحي والحضاري والدّيني.

1- حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، ص11.

المبحث الرّابع: أثر القرآن وفضله على اللغة العربيّة

1 من منظور الثقافة العربيّة الإسلاميّة:

لا جرم أنّ اللغة العربية واجهت عقبات وضربات عديدة شأنها في ذلك شأن جميع اللّغات، لو أصابت لغة غيرها لبادت واضمحلت،فقد احتكت بالعديد من اللغات،وتصارعت معها صراع البقاء للأقوى فكان لها الفوز،و أصاب أهلها الضّعف و التفكّك،وذهاب الملك بوقوعهم تحت سيطرة الاستعمار الذي عمل على محاربتها ومحاولة وأدها بشتّى الطّرق، لكن ورغم ما تركت فيها هذه الضّربات من خدوش وندبات، وأحدثت فيها من تطوّر و آثار إلّا أنّها لم تخرج عن أصالتها بل بقيت ثابتة الدّعائم قويّة الأركان على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا يتلى بها كتاب الله.

وأمّا سر ثبات اللغة العربية هو "القرآن الكريم" الذي غيّر مسار الأمّة العربية،هذّب النفوس، وصقل العقول، وطهّر القلوب وجمعهم على كلمة التّوحيد،فأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، ونزل بلغتها معجزة إلهية خالدة خلود الوجود فراحت تتجدّد رونقا وجمالا وتزداد قوّة وكمالا، وذلك «لأنّ لغة العرب أفصح اللّغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرّسل، بسفارة الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكَمُل

من كلّ الوجوه» [1]، فمن المسلّم به أنّ للقرآن الكريم الأثر العظيم في توطيد دعائم اللغة العربية وبسط سلطانها وتهذيبها وانتشارها، ومن أهمّ الآثار التي أحدثها القرآن الكريم في اللغة العربية:

1 -حفظ القرآن الكريم اللغة العربية من الضّياع والاندثار كما حدث لكثير من اللغات، بل وضمن لها البقاء والخلود على مدى الأزمان فقال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر09. ولا نعلم لغة أخرى خلّدها كتابها غير العربية، روحها القرآن تستمدّ منه أنفاسها ونبضات حياتها وكلّ فضل جاءها إلّا ومردّه للقرآن الكريم.

2 -لبست العربية ثوب الفخار«فقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا فكان أشبه شيء بالنّور في جملة نسق ة إذ النّور جملة واحدة» [2]،بلغ العرب به أرفع مستويات الفصاحة والبلاغة حيث جاء عربي المبنى فصيح المعنى، سما بالعرب وارتقى بهم على سائر الأمم.

3 -كان القرآن الكريم العامل الأكبر والسّبب الرّئيسي في توحيد لهجات اللغة العربية في لغة أدبية أصبحت هي اللغة الرّسمية لجميع النّاطقين بها على تباين لهجاتهم وتباعد منازلهم وتنائي ديارهم[3]. وبقي على اختلاف الحقب وتطاول الزّمن، كلّما أوشك الناس أن يتفرقوا في الألسنة ويتباينوا في اللهجات، جمعهم القرآن تحت لواء واحد، ووحّد لغتهم.

1- زيدان أشرف محمد،مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم،جامعة ملايا،ماليزيا،مجلة مداد الآداب، العدد.01.ص.28.

2- عبد الرّحيم ،عبد الجليل،لغة القرآن الكريم،مكتبة الرّسالة الحديثة،ط،1401،1ه/1981م،ص585.

3- المرجع نفسه،ص587.

4 -عمل القرآن على هجر وحشيّها، وتهجين مستغربها، والدّراية بنافرها، والزّيادة عليها زيادة أتمّت ثروتها وأنارت صفحتها،وأضفت عليها حُلَلاً رائعة من الزّينة والحسن[1] .

5 -بفضل القرآن الكريم ذاعت العربية وانتشر صيتها في جميع البلاد التي وصل إليها الإسلام فأصبحت بذلك لغة الدّين والأدب ولغة العلم والفنون في شتّى أرجاء العالم فتحوّلت إلى لغة عالمية.

6 -أحدث القرآن الكريم في اللغة العربيّة علوما جليلة لم تكن لتوجد بدونه، كالحديث، والفقه، والنّحو، والصّرف والبلاغة، وفقه اللغة، وعلم الكلام وغيرها من العلوم.

ومن المعلوم أنّه لولا القرآن لأصاب العربية ما أصاب بقية اللغات من الاضمحلال والذوبان حيث يقول الرّافعيّ:«إنّما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النّسبة إلى العربية،فلا يزال أهله مستعربين به متميّزين بهذه الجنسيّة حقيقة أو حكما حتّى يأذن الله بانقراض الخلق وطيّ هذا البسيط، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على النّاس،وردّهم إليها وأوجبها عليهم لمّا اطّرد التاريخ الإسلاميّ ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله،ولما تماسكت أجزاء هذه الأمّة ولا استقلت بها الوحدة الإسلاميّة، ثمّ لتلاحمت أسباب كثيرة بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلّا أن تستلحقهم الشعوب»[2] ذلك لأنّ حرص المسلمين على القرآن الكريم معجزة الله في الأرض هو الدّاعي الأساسيّ والأوّل لحرصهم على اللغة العربية، ومقاومة كل ما من شأنه إضعافها بما يطرأ عليها من لحن أو وهن أو استهجان.

1- المؤلفون، خفاجي محمّد، الأدب الإسلامي-المفهوم والقضية،دار الجيل،ط1412،1ه/1992م،ص،107.
2- الرافعي مصطفى صادق،تحت راية القرآن،ص40.

2 من المنظور الاستشراقيّ:

لم يكن أثر القرآن الكريم على اللغة العربية ظاهرا لأهلها فحسب بل تعدّاه إلى غيرهم،فهاهم المستشرقون الغربيّون كذلك يرون بأنّ العربية إنّما تستمدّ قوّتها وصلابتها من هذا المنهل الرّبانيّ، ويقرّون له بالمجد والخلود، فها هي أصواتهم تتعالى وأقلامهم تتبارى للإشادة بفضله.

فهذا **تيودور نولدكه*** (Theodor Nöldeke) يقرّ بعالميتها قائلا: «لم تصر العربية حقّا لغة عالمية إلّا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة القريشيين فتح البدو، وسكان الواحات،نصف العالم لهم و للإيمان، وهكذا صارت لغة مقدّسة أيضا» [1]هي العالمية التي لم تكن لتوجد إلّا لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم،الذي خلّدها لغة راسخة عبر العصور كما يؤكّد المستشرق **عبد الكريم جرمانوس** (Gyula Germanus) «إنّ في الإسلام سندا هامّا للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للّغات القديمة المماثلة،كاللّاتينية حيث انزوت تماما بين جدران المعابد»[2].

وأمّا **جورج سارتون** (George Sarton) فيعتبره سببا في بلوغها درجات الكمال حيث يصرّح: «ولغة القرآن على اعتبارها لغة العرب كانت بهذا التّجديد كاملة، وقد وهب الرّسول

*- **نولدكه Nodleke,TR** (**1836–1930**): ولد في هامبورج، تعلم اللغات السامية، ونال الدكتوراه (1856)، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالته: أصل وتركيب سور القرآن، من تلاميذه: ياكوب وبروكلمان، عرف عنه تضلعه في العربية واللغات السّامية، من آثاره: قواعد اللغة العربية الفصحى (فيينا 1896)، ودراسات في قواعد اللغة الفصحى (مذكرات مجمع برلين 1896-1897)، والمعلقات الخمس ترجمة وشرحا، ومعجم اللّسان العربي الفصيح. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص 1054.

1- زيدان أشرف محمد،مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم،جامعة ملايا،ماليزيا،مجلة مدار الآداب،العدد01،ص 28.

2- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن،ص 301.

اللغة العربية م رونة جعلتها قادرة على أن تدوّن الوحي الإلهيّ،أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته وأن يعبّر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد»[1].

ويتساءل **ستنجاس** Stan-jass قائلا: «ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمّد ولو لم يكن القرآن؟،ليجيب عن سؤاله:"إنّه لولا القرآن لذهبوا وذهب معهم لسانهم وشعرهم... »[2]، فالقرآن هو السّور المنيع للغة العربية يرفع عنها الأذى ويردّ عنها الأعادي.

أمّا **كارل بروكلمان** (Carl Brockelmann) فيؤكّد على فضل القرآن على اللغة العربية فيصرّح «بفضل القرآن بلغت العربية من الاتّساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدّنيا، والمسلمون جميعا مؤمنون بأنّ اللغة العربية هي وحدها اللّسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم وبهذا اكتسبت اللغة العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدّنيا الأخرى التي تنطق بها شعوب إسلامية» [3]، ويعترف جوستاف جرونيباوم Gustave Grunebaum «...وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها،فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النّهائية»[4].

1- عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص 586.
2- ينظر،الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 39.
3- عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص587 .
4- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 306.

أدرك المستشرقون أنّ العربية إنّما تستمدّ قوّتها، من القرآن الكريم الوحي الإلهي فهو لها بمثابة الرّوح للجسد، متّن ركائزها وأعلى مراتبها وهاهو فيليب دي طرازي (Philippe de Tarrazi) يصرّح «أصبح المسلمون بقوّة القرآن أمّة متوحّدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها فقد جمع شتات العرب، ومن المقرّر أنّه لولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها و التّعامل بها، ولولا القرآن لظلّ أهل كل بلد من البلدان التي انضمّت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التّفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلاميّة وبين العرب» [1]. وهكذا نخرج بآراء عديدة لمستشرقين أقرّوا واعترفوا بفضل القرآن الكريم على اللغة العربية وترسيخ دعائمها فهم يرون أنّه صيّرها عالمية خالدة، تسمو على سائر اللغات كاملة الجمال، دقيقة المعاني، شريفة المقاصد، وتبيّن لهم أنّه لولا القرآن الكريم لبادت وذهبت ريحها.

ولعلّ أخطر تحدّ واجه الاستشراق والتّغريب والغزو الفكريّ والثقافيّ والاستعمار في العصر الحديث هو ذلك الارتباط الوثيق بين القرآن الكريم واللغة العربية فذلك همّهم الشاغل يؤرّقهم، ويقض مضاجعهم، فلا ينفكون يحاولون الفصل بينهما حتى يتمّ لهم القضاء على قاعدة ثبات المسلمين، لأنّ فصلهما يؤدّي بالضّرورة إلى ضعف العربية وبالتالي تمزّق وشتات أهلها وهذا مبتغاهم الذي يرمون إليه الذي لم ولن يصلوا إليه والله موهن كيد الكافرين، فعلينا نحن العرب أن نتفطّن لما يدور حولنا فنعمل على المحافظة على لغتنا و التّمسّك بها.

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن،ص 32.

تعلّم اللغة العربية:

عن أبي منصور الثعالبيّ أنّه قال: «من أحبّ الله،أحبّ رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحبّ النّبي العربيّ، أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب، أحبّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب،ومن أحبّ العربية عنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همّته إليها» [1]، وأدرك علماؤنا أهمية اللغة العربية التي أصبحت جزءا لا يتجزّأ من الدّين،فحثّوا على تعلّمها وإتقانها، وعدّوا ذلك واجبا على الكفاية فهذا شيخ الإسلام "ابن تيمية" رحمة الله عليه يقول:«واعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثّر في العقل والخلق والدّين تأثيرا قويّا بيّنا، ويؤثّر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمّة من الصّحابة والتّابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدّين والخلق وأيضا فإنّ نفس اللغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرض، ولا يُفْهَم إلّا بفَهم اللغة العربية وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب»[2].

كما كتب "عمر بن الخطاب " رضي الله عنه إلى أبي موسى«أمّا بعد: فتفقّهوا في السّنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنّه عربيّ»، وفي حديث آخر عن عمر أنّه قال:«تعلّموا العربية فإنّها من دينكم، وتعلّموا الفرائض فإنّها من دينكم» [3]. ففقه العربية هو الطريق إلى فقه الأقوال، وفقه السنة هو فقه الأعمال.

1- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية،المكتبة العصرية،ط1420،2ه/2000م،ص29.
2- البنعليّ، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلّم بغير لغة الكتاب، د.ط ،1430هـ، ص 15.
3- المرجع نفسه، ص16.

ويؤكّد "ابن تيمية" على ضرورة تعلّم العربية لمعرفة الدّين فيقول: «فإنّ الله تعالى لّما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلّغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربيّ،وجعل التّابعين إلى هذا الدّين متكلّمين به، لم يكن سبيل ضبط الدّين ومعرفته إلّا بضبط اللّسان، وصارت معرفته من الدّين»[1]، وبذلك صار واجبا علينا تعلّمها، فما لا يتم الواجب إلّا به، فهو واجب،وهذا ما ذهب إليه شرف الدّين يحي العمريطيّ حين قال:

وَكَانَ مَطْلُوبًا أَشَدَّ الطَّلَبِ ∴ مِنَ الْوَرَى حِفْظُ اللِّسَانِ الْعَرَبِي

كَيْ يَفْهَمُوا مَعَانِيَ الْقُرْآنِ ∴ وَالسُّنَّةَ الدَّقِيقَةَ الْمَعَانِي[2]

وأمّا الإمام الشافعيّ في حثّ على تعلّم باللغة العربيّة قائلا: «فعلى كل مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده،حتى يشهد به أنّ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله،وينطق بالذّكر فيما افترض عليه من التّكبير وأمر به من التّسبيح و التّشهّد وغير ذلك»[3]، فالعربية التي وعت كتاب الله، وعت أسراره وقواعده وترجمان دينه، ودستور أحكامه، فلا سبيل لشيء من هذا إلّا باللغة العربية.

1- البنعليّ، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلّم بغير لغة الكتاب،ص 14.

2- العمريطيّ، شرف الدين يحيى، متن الدّرة البهية، نظم الأجرومية، دار عمر بن الخطاب،مصر، ط.01، 1422هـ/2007م، ص 31.

3- الشافعي، المطلبيّ محمّد بن ادريس، الرسالة، تح.أحمد محمد شاكر،مصطفى الحلبيّ وأولاده بمصر،ط.1، 1357ه/1938م ،ص 48.

ومن أراد الرّفعة وبلوغ غاياته،وعلوّ شأنه فعليه بالعربية، ف «إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت بعينه صغيرا ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما، فتعلّم العربية، فهي تجريك على المنطق، وتدنيك من السّلطان»[1] لمكانة هذه اللغة وكرامتها وهيبتها، وقوّة سلطانها.

ويتحدّث "أبو منصور الثعالبي" في فضل العربية ومدى علاقتها بالدّين «إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدّين، وسبب صلاح المعاش والمعاد،ولم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومعارفها، والتّبحر في جلائلها ودقائقها،إلّا قوّة اليقين في معرفة إعجاز القرآن،وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان،لكفى بها فضلا من فيها أثره،وبطيب في الدارين ثمره»[2]،ففهم الكتاب والسّنة ومعرفة أحكام الدّين من الأمور المتعينة على المسلم،ولا يتأتى هذا إلّا بفهم اللغة العربية لغة القرآن والدّين والتّراث الإسلاميّ مثلها مثل الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء.

ولعل أهمّ ما ميّز اللغة العربية وارتقى بها إلى أعلى درجات الجمال والكمال:

1 -أنّ الله سبحانه وتعالى جعل العربية مستودعا لمراده من عباده، مصداقا لقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ طه:113، فللقرآن الكريم أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة، وتثبيت دعائمها، وتقوية سلطانها، فهذه اللغة صالحة لكل زمان ومكان.

1- زيدان أشرف محمّد،مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، ص 41.

2- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل،فقه اللغة وأسرار العربية،ص29.

2 -إنّ الرسول ﷺ هو المبيّن لشعائر الله وما بيّنها إلّا بلسان عربيّ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ ﴾إبراهيم4 ، وما فجّر من ينابيع الفصاحة، وبلوغه الرّقة والمتانة، و الإبانة عن الغرض بدون تكلّف.

3 -إنّ كلّ من يرغب في استمداد أحكام الشريعة أو التّعرف على قضايا الدّين لا بدّ له من تعلّم اللغة العربية لتحقيق رغبته بالدّقة الكافية[1].

4 -لم يقتصر القرآن على الارتباط بعقائد المسلم وعباداته فحسب، بل تجاوزه إلى الاعتناء بتشريعه، واقتصاده وعلمه، وفلسفته، وحروبه وجهاده، بل وحتى بتفاصيل حياته اليومية، وخطرات نفسه،ولمحات تفكيره ...[2] فاللغة العربية هي الأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف،وفهم أحكامه،ودراسة تراثه وكفى بها أهميةً وفخرًا أن تكون: ترجمانَ وحيَ الله،ولغةَ كتابه العزيز ومعجزةَ رسوله الأمين، ولسانَ الصحابة و التابعين.

1- ينظر،خليف عبد الرحمان، اللسان العربي بين الانتشار والأنصار، ص 11.

2- شاكر محمود،أباطيل و أسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزءان 1و2، ط.3، 2005،ص190.

المبحث الخامس: خصائص العربية ومكانتها بين اللّغات

تعرّضت اللّغة العربيّة وحدها دون سائر اللّغات لمعاول الهدم ودسائس الأعداء، لذلك كانت حاجتنا لإبراز مزاياها ضرورة ملحة، فهي وإن كانت ثابتة في وجهها العام فإنّها دائمة التّطوّر من حيث التّفاصيل،كونها «لغة متكاملة من حيث الصّرف والاشتقاق، والإعراب، ومن حيث التّنويع في الجموع والمصادر، وحروف العطف، وأدوات الاستثناء والنّفي والتّعريف والتّنكير، مضافا إلى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظا كاملا» [1]، وصلت إلى تفكير دقيق عميق يعكس أثرها ويبرز تفوّقها، فهي ولا ريب أمتن اللّغات تركيبا، وأوضحها بيانا، وأشرفها مقاصدا، ف«العرب-أهل هذه اللّغة-قوم ملكوا الأرض و لم تملكهم، فلم يؤثر عنهم شيء في جاهليتهم الأولى من أنواع الدّلالة الثابتة،كالكتابة والآثار ونحوها، ولا دخلوا في تويخ أمّة من أمم الحضارة فيكون لهم نوع من تلك الدّلالة، وعلى ذلك يتعيّن أن تكون لغتهم أيضا قد ملكت التّاريخ و لم يملكها، وهي لابدّ أن تكون قد تقلّبت مع كلّ وجوه من الإصلاح وجرت على مناخ من التّهذيب» [2]، وانطلاقا من حيوية هذه اللغة المجيدة حاولت البحث في بعض الخصائص.

1 قدم اللّغة العربيّة:

لعلّ من أبرز خصائص اللّغة العربيّة التي تجعلها تتصدّر اللّغات الأخرى، بل وتتفوّق عليها، توغّلها في القدم الذي ينم عن عراقتها وأصالتها ف«إذا كانت اللّغة هي خزانة الفكر الإنساني فإنّ

1- حسين حسن،الاشتقاق في اللغة العربية،مجلة المنطق (فكرية إسلامية)،محور اللغة العربية وتحديات العصر،العدد (78و79)،1411هـ/1991م، لبنان، ص74.

2- الرّافعي،مصطفى صادق،تاريخ آداب العرب،مكتبة الإيمان،ج.1،ط.1،ص74.

خزانة العربيّة قد ادّخرت من نفيس البيان الصّحيح من الفكر الإنساني ومن النّفوس الإنسانية ما يُعجز سائر اللّغات، لأنّها صفّيت منذ الجاهلية الأولى المغرقة في القدم من نفوس مختارة،بريئة من الخسائس المزرية ومن العلل الغائبة،حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله،أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما،وأسلمها إلى أبنائه من العرب وهم على الحنيفيّة السّمحة، دين أبيهم إبراهيم، فضلّت تتحوّر على ألسنتهم مختارة مصفّاة مبرّاة،حتّى أطلّ زمان نبيّ لا ينطق عن الهوى، هو سيّدنا محمّد ﷺ فأنزل الله بها كتابه بلسان عربيّ مبين، بلا رمز مبني على الخرافة والأوهام، ولا ادّعاء لما لم يكن،ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا» [1]، فالعربية إذن فكر يتمثّل روح الإسلام وجوهره، وروح حضارة الإسلام وتراثها وتاريخها وثقافتها، هي جوهر أصيل في تراث الإسلام وفكره ونهضته، حملت في طيّاتها كلّ فكر رفيع، ومضمون جليل،وقيم عالية، ومثل سامية.

وقد تحدّث العقّاد عن قدم هذه اللغة حيث قال: «ونحن نعتقد أنّ اللغة العربيّة أقدم من معظم اللّغات الحديثة، وأنّ شواهد سبقها في القدم تزيد على الشّواهد التي يستدلُّ بها على سبق أقدم اللّغات الأخرى» [2]. وأمّا أحمد مطلوب فيشيد بقِدمها قائلا: «إنّ قِدم العربية وتواصلها خلال قرون طويلة واحتفاظها بالقواعد والأصول العامّة من أوّل خصائصها، وإنّ ذلك التّواصل جعل أبناءها يقرءون تراثها الضّخم وينتفعون به...وتلك مزية لا تعرفها اللّغات القديمة أو الحديثة» [3].

1- حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، بحث لغويّ يقوّم اللّسان العربيّ فيصوّب الأخطاء اللّغوية التي شاعت بين النّاس،دار الطّلائع، القاهرة، 2005 ، ص.10/09.

2-العقاد ، عباس محمود،أشتات مجتمعات في اللغة والأدب،دار المعارف ،ط.6، القاهرة، د.ت،ص.17/16.

3- مصطفى أحمد عبد العليم، خصائص العربية بين القديم والحديث،قسم اللغة العربية ،جامعة الإمارات العربية المتحدةص15.

فإذا نظرنا إلى اللغة الأكثر شيوعا في الوقت الحاضر،وهي اللغة الانجليزية وتمعّنا في كتابات أديبهم الكبير **وليم شكسبير** (1564-1616م) (William Shakespeare) (1564-1616م) نجدها تستعصي الفهم على أهل هذه اللّغة، أمّا إذا عدنا إلى الوراء إلى أشهر شاعر إنجليزي قبل شكسبير وهو **جيفري تشوسر** (Geoffrey Chaucer) (1340-1400)، فلن نجد من الانجليز من يدرك لغته ويتذوّق شعره [1]. وأمّا السّر في بقاء العربيّة على خصائصها فيكمن في تعلّقها العميق بالدّين كونها لغة القرآن الكريم، ولسان النّبيّ الأمين «فهو يدفع عن هذه اللّغة العربية النّسيان الذي لا يدفع عن شيء، وهو وحده إعجاز» [2].لقد منحتها هذه الخاصيّة- القدم- قوّة وانتشارا وثباتا نادر الوجود في أيّ لغة أخرى،ذلك أن العربيّ المعاصر يستطيع فهم لغته التي كتبت في الجاهليّة،في حين يستعصي ذلك على الانجليزي، والفرنسي أو غيرهما.

2 -النّحو:

من أجل العلوم التي تميّزت بها العربية علم النّحو الذي هو ركيزة من ركائز الأسلوب العربيّ يعتمد الإبانة والإفصاح فهو: «انتحاء سمت كلام العرب،في تصرفه من إعراب وغيره،كالتّثنية، والجمع، والتّحقير، والتّكسير والإضافة، والنّسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم

1- ينظر، الطّناجي ،محمود محمّد،في اللغة والأدب دراسات وبحوث،المجلّد الثّاني،دار الغرب،الإسلاميّ،ط1، 2002،ص 743.
2- المرجع نفسه،ص44.

عنها ردّ به إليها» [1] وهو من الأهميّة في الكلام كالملح في الطّعام،لا يستغني عنه كما جاء في نظم الأجروميّة: [2]

وَالنَّحْوُ أَوْلَى أَوَّلًا أَنْ يُعْلَمَا ∴ إِذِ الكَلَامُ دُونَهُ لَنْ يُفْهَمَا

وقال الشاعر سعد بن نهبان الحضرميّ في يتيمة الدّهر: [3]

يَا طَالِبًا فَتْحَ رِتَاجِ العِلْمِ ∴ وَقَاصِدًا سَهْلَ طَرِيقِ الفَهْمِ

اجْنَحْ إِلَى النَّحْوِ تَجِدْهُ عِلْمًا ∴ تَجْلُو المَعَنَى العَوِيصَ المُبْهَمَا

ويوضّح الزّجاجيّ الفائدة من هذا العلم: «أمّا الفائدة من علم النّحو فتكمن في الوصول إلى التّكلّم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدّل ولا مغيّر،وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ الذي هو أصل الدّين والدّنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النّبيّ ﷺ وإقامة معانيها على الحقيقة» [4]، فالنّحو أساس العربيّة وقوامها،كان سبب وضعه هو سريان اللّحن إلى القرآن الكريم مع دخول الشّعوب المختلفة إلى الإسلام.

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان،الخصائص،تح.محمّد علي النّجار،ج.1، دار الكتب المصريّة، د.ط، ص34.

2- العمريطي، شرف الدّين يحيى،ص 33.

3- الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوة صعوبة النّحو،تق: القرني عائض بن عبد الله، دار الوطن للنّشر،ط.1، 1412هـ، ص14.

4- الزّجاجيّ، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط.3، 1399هـ/ 1979 م، ص 95.

حيث يُروى أنّ عليّا بن أبي طالب رضي الله عنه سمع أعرابيّا يقرأ قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الحاقة 37) قرأها "الخاطئين"، ففزع رضي الله عنه، فوضع مقدّمة في النّحو وأعطاها لأبي الأسود الدّؤلي، وقال له: انحُ هذا النّحو[1].

فالنّحو إذن هو أوّل علم عربيّ صنّفَ فيه، يمثّل روح العربية وقوامها وفي فضل هذا العلم يقول أبو العباس أحمد بن يحيى الثّعلبيّ: «لا يصحُ الشعر ولا الغريب ولا القرآن إلّا بالنّحو، النّحو ميزان هذا كلّه» وأضاف «تعلّموا النّحو فإنّه أعلى المراتب»[2]، فهو إمام كلّ علم وأساس كلّ بناء تكاد المعرفة به أن تكون فرض عين على كلّ مسلم.

وقد تأثّر بعض الغربيّين بهذا العلم،بل وشهدوا له بالفضل فهذا المستشرق الهولنديّ"**دي بور**" (De Bourmont) في كتابه تاريخ الفلسفة يصرّح «علم النّحو أثر رائع من آثار العقل العربيّ بمَا لَهُ من دقّة في الملاحظة،ومن نشاط في جميع ما تفرّق، وهو أثر يُرغِم النّاظر فيه على التّقدير له، ويحقّ للعرب أن يفخروا به»[3] ويؤكّد هذا المعنى المستشرق **يوهان فوك*** (Johann Fück) حين يقول«وقد تكفّلت القواعد التي وضعها نحاة العرب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها على صورة محيطة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الأساسيّة عندهم

1- ينظر،الطّناجي ،محمود محمّد،في اللغة والأدب دراسات وبحوث،ص292.

2- ينظر، المرجع نفسه،ص.292-293.

3- الباتلي،أحمد بن عبد الله،أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوى صعوبة النّحو،ص16.

*- **فوك يوهان Fuck, J** : ولد عام 1894، وهو أستاذ العربية في جامعتي ليبزيج وهاله، من آثاره: العربية لغة وأسلوبا (برلين 1950) نقله إلى العربية عبد الحليم النّجار، وله أيضا: العربية فقها وأدبا، العربية، بحوث عن تاريخ لغتها وأسلوبها (ليدن 1954) وبذلك بمعاونة بروكلمان، وشبولير، وهوفنر، وله أيضا: الدّراسات العربية في أوربا. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص807.

مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة المستزيد»[1]، فقواعد النّحو دقيقة، مرتبة، ومنطقية، فلكلّ فعل فاعل، ولكلّ مبتدأ خبر،ولكلّ أداة شرط جواب،كما أنّ لكلّ أداة معنى. على أنّ فضل هذا العلم وأهميّته مكّنته من التّقدّم على علم الحديث، وبسنده إلى شعبة قال: «من طلب الحديث فلم يبصر العربيّة فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس» [2]، فالنّحو إذن هو العلم الذي يقوّم اللّسان العربيّ فلا يتداخله الخلل،محكما لا يشوبه الزّلل حتّى أنّه سمّي بالعلم المستطيل * لعلوّ شأنه ورفعة قدره.

ذلك أنّه لولا قواعد النّحو التي ترشد القارئ إلى التّلاوة الصّحيحة والقويمة لشقّ علينا قراءة آيات عديدة جاءت في القرآن الكريم على نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر 28) وقوله سبحانه تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التّوبة 3) ، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(البقرة 124).

1- الباتلي،أحمد بن عبد الله،أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوى صعوبة النّحو،ص16.

2- الطّناجي ،محمود محمّد،في اللغة والأدب دراسات وبحوث،ص494.

* قال أبو بكر الشّنتريني:«ولو لم يكن من فضائل هذا العلم إلّا أنّ صاحبه مترشّح لقبول سائر العلوم،مستطيل عليها،متصرّف فيها،مالك لأزمّتها،لا يتعذّر عليه شيء منها،هذا مع استغنائه عنها،وافتقارها إليه،وقد سمّي العلم المستطيل،في خبر يُرْوَى عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد،رحمه الله قال:كنت عند أبي العبّاس أحمد بن يحيى الثّعلبيّ،فتذاكرنا العلوم،فقال لي:يا أبا بكر،شُغلتم أنتم بتعليم القرآن ففُزتم،وشُغل أهل الفقه بالفقه فنجوا،وشُغِلْتُ أنا بزيدٍ وعمرو،وما أدري ما يكون أمري غدا مع الله عزّ وجلّ.و بكى بكاءً شنيعًا،فانصرفت من عنده.فرأيت في تلك اللّيلة محمّد بن أحمد بن غالب الزّاهد في النّوم،فقال لي:يا أبا بكر:أتعرف أبا العبّاس أحمد بن يحيى ثعلبًا؟فقلت:صاحبنا،قال لي:إذا كان غداً فاقرأ عليه من الله السّلام وقل له: أنت غداً في القيامة صاحب العلم المستطيل.قال أبو بكر بن مجاهد:يعني بقوله –والله أعلم– العلم المستطيل،أنّه يستطيل به على سائر العلوم،وأنّ سائر العلوم فقير إلى النّحو» الطّناجي محمود محمّد،في اللغة والأدب دراسات وبحوث،ص493.

سعة المفردات:

تتمتّع العربيّة بثراءٍ عزّ نظيره في معظم لغات العالم،فهي حافلة بثروة لغوية عظيمة، فهي بحر زاخر بالكنوز لا يمكن لأحد الإحاطة به كما ذهب إلى ذلك الإمام الشّافعيّ رضي الله عنه «ولسان العرب أوسع الأ لسنة مذهبا،وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ»[1]، ويوافقه ابن فارس فيقول: «إنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها، وإنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير، وإنّ كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله،ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير، وكلام كثير»[2]، فالذي وصلنا لا يكاد يكون قطرة من بحر.

وقد أعجب بعض المستشرقين بثروة هذه اللغة وكلماتها التي لا تعد ولا تحصى،فاعترفوا بثراء ألفاظها ومترادفاتها،فهذا "رينان" يقول في ذهول: «أنّ لغويا من العرب كتب في متن اللّغة رسالة ذكر فيها خمسمائة اسم للأسد»، أمّا "دى هامر بيرجستول De Hammer burgstoll " المستشرق الألمانيّ فقد أحصى الكلمات التي تتعلّق ب "الحمل" في أدب اللّغة العربية،فوجدها تبلغ 5744 كلمة[3].

ولا أدلّ على ثراء هذه اللّغة من أنّ المهجور من ألفاظها يصل إلى سبعين ألف مادّة غير مستعملة إلى يومنا هذا،فليس من المبالغة القول بأنّ العربيّة تفوق جميع اللّغات الحيّة من حيث سعة

1- الشافعيّ،محمّد بن باديس،الرّسالة،ص42.

2- ابن فارس،أحمد بن زكريا أبو الحسين،الصّاحبيّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها،دار الكتب العلميّة،لبنان، ط.01، 1418هـ/1997 م،ص.36.

3- ينظر ، الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف ننهض بها ،ص166.

مفرداتها،ما أثار تعجب شيخ المستشرقين الألمان " **نولدكه**" (Nöldeke) حيث قال :«إنّه لابدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللّغة العربية، عندما يعرف أنّ علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدّا،ولكنّهم في داخل هذه الدّائرة يرمزون للفرق الدّقيق في المعنى بكلمة خاصّة» [1] فأين لسائر اللّغات من السّعة ما للغة العرب؟ وذلك عن طريق الاشتقاق فهو «إحدى الوسائل الرّائعة،التي تنمو عن طريقها اللّغات وتتوسّع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكّن به من التّعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة» [2]، فقد مهّد للعربية سُبُل التّوسّع،ومكّنها من مواكبة التّطوّر الحضاريّ والتّفاعل معه فهو يفيد التّوالد اللّفظيّ في المعنى، أو التّداعي الحرّ للكلمات المشتقة،فمن خلاله تتجدّد العربيّة مع كلّ طور من أطوار الحياة مع توطيد الأصالة فيها،وقد احتلّت هذه الخاصيّة مكانة متميّزة من خلال ما تثيره من تميّز عن الألسن الأعجميّة.

والاشتقاق وسيلة من وسائل تنمية اللّغة يجعلها مرنة، سلسة، طيّعة، ذلك لأنّها لغة الحرية كما يشير إلى ذلك قول الرّافعي«وكثرة مشتقاتها – أي اللّغة العربيّة- برهان على نزعة الحرية وطموحها، فإنّ روح الاستعباد ضيّق لا يتّسع، ودأبُهُ لزوم الكلمة، والكلمات القليلة» [3]،فالعربيّة تقوم على إنتاج عدد كبير من الكلمات من جذر واحد، فالجذر (س ل م) مثلا يدلّ على معنى متعارف عليه وهو (السّلم) وتتفرّع منه مفردات كثيرة من خلال التّغيّر الدّاخلي لحركات حروفه،

1- عبد العليم مصطفى أحمد،خصائص اللغة العربية بين القديم والحديث،ص06.

2- رمضان عبد التّوّاب،فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط. 06، 1420ه/1999م، ص290.

3- الرّافعي،مصطفى صادق،وحي القلم،ج.3،ص.28.

أو حتّى بإضافة بعض الحروف إليه على النّحو الآتيّ: (مسلم، سالم، سلّام، إسلام، مسالم، سلّم، سليم...إلخ).

هذه الظّاهرة تشبّه بالشّجرة ذات الجذور القليلة والأوراق الكثيرة، وتسمى ب"الفائض اللّغوي"[1]. فتكاثر المترادفات والأضداد و دلالة اللّفظ الواحد على معان كثيرة لا يحدث إلّا من تفرّع ألفاظ اللّغة ومعانيها بالنّمو والتّجدّد، وهذه الميزة تختّص بها العربيّة وحدها.

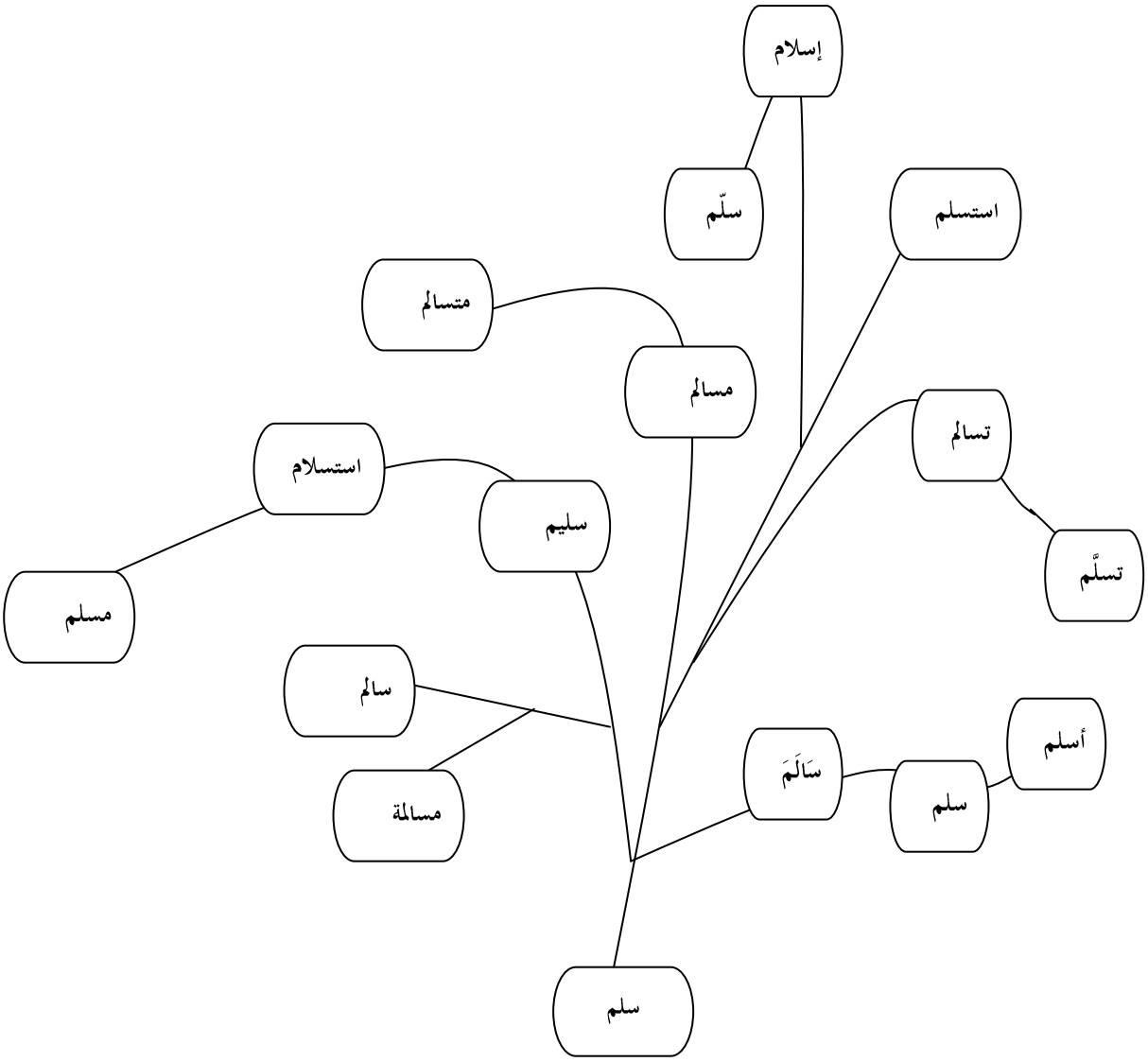

1- ينظر،عبد العليم مصطفى أحمد،خصائص العربيّة بين القديم والحديث،ص (6،7).

الخطّ العربيّ:

يعد نظام الخطّ العربيّ أفضل النّظم الكتابية في جميع اللّغات فهو يتميّز ب:

أ –**الخاصيّة الاختزاليّة:** والمقصود بها الإيجاز الذي من مظاهره:

1 -التّعبير عن الحركة الطّويلة برمز واحد لكلّ صوت مثل الياء في نبيل، والواو في رؤوف، وفي المقابل نجد الانجليزيّة يعبّر عنها برمزين،مثل:moon ،و meet، door،sleep.

2 -التّضعيف أو التّشديد (ّ) الذي يمكّننا من الاستغناء عن تكرار الحرف مثال ذلك:سدّد، جدّ، كفّ.

3 -لا وجود لحروف صامتة تنطق ولا تكتب، ماعدا بعض الحالات النّادرة كالواو الملحقة ب "عمرو"، وألف واو الجماعة ك"فتحوا"،واللّام الشّمسية "النّهار" بينما تنتشر هذه الحروف ال(silent)،في اللّغة الانجليزية،كحرف(H) في كلمة school و(W) في Write و(T) في listen و(K) في Know و(B) فيDowbet و(L) فيfollow و(S) في island و(GH) في right، و through و slight و fight ...وهكذا[1]، دون قاعدة تضبط ذلك وإنّما يتعارف عليها سماعيا وبالتّداول.

ويشيد بهذه الخاصية الاختزال والسّهولة – المستشرق "ريتر" (Carl Ritter) أستاذ اللّغات الشرقية بجامعة اسطنبول فيقول : «إنّ الطّلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملي من

1- ينظر،بيومي،سعيد أحمد،أمّ اللّغات،دراسة في خصائص اللّغة العربيّة والنّهوض بها www.Kotobarabia.com ، ط.01، 1423هـ/2002 م، ص 43/42.

محاضرات بسرعة فائقة،لأنّ الخطّ العربيّ اختزالي بطبعه،أمّا اليوم فهم يفتأون يطلبون إعادة العبارات مرارا،وهم معذورون فيما يطلبون لأنّ الكتابة اللّاتينية لا اختزال فيها» ثمّ أضاف «إنّ الكتابة،العربيّة أسهل كتابات العالم،و أوضحها، فمن العبث إجهاد النّفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السّهل، وتوضيح الواضح» [1]،فالعربية تكتب كما تقرأ،في حين أنّ لغات أوربا تختلف كتاباتها عن قراءتها.

وهذا الجدول يوضّح الفرق الكامن بين الكلمات القصيرة في العربية التي من فوائدها توفير الوقت والجهد والمال، فالنّطق بالكلمات الصّغيرة أخفّ على اللسان وأسرع في الوقت وأكثر اختصارا في الكتابة من الكلمات الطويلة التي تقابلها في اللغات الأجنبيّة.

الكلمة في العربية وعدد حروفها	الانجليزية وعدد حروفها	الفرنسية وعدد حروفها	الألمانية وعدد حروفها	الإسبانية وعدد حروفها
أب 02	Father 06	Père 04	Vater 05	Padre 05
جد 02	Grand-Father 11	Grand-père 09	Großvater 10	Abuelo 06
أخ 02	Brother	Frère 05	Bruder 06	Hermano 07
مكتبة 05	Library 07	Bibliothèque 12	Bücherei 08	Biblioteca 10
جامعة 05	University 10	Université 10	Universität 11	Universidad 11
تسعون 05	Nine teen 08	Quatre vingt dix 14	Neunzig 06	Noventa 07

1- الطّويل، السيّد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، دعوة الحقّ، العدد.1407،60 ه/1986 م، ص 24.

وفي القرآن الكريم نجد كلمة "أنلزمكموها"سورة هود، الآية: 28. يقابلها سبع كلمات بالإنجليزية: ..Shall we compel you to accept it وكلمة "فأسقيناكموه"سورة الحجر، الآية:22. تحوي (حرف عطف، وفعل، وفاعل، ومفعول أوّل، ومفعول ثان).

ب–دقّته:

إنّ كل حرف في العربية يعبّر عن صوت واحد فقط، ذلك أنّ «الكتابة صورة الصّوت، فكلّما كانت أكثر شبها به كانت خيرا» [1] كما جاء في قول فولتير Voltaire ، فنحن لا نجد رمزين يشيران إلى حرف واحد في اللغة العربية، كما هو موجود في الكتابة الانجليزية، حيث تنطق (TH) ثاء في مثل Through، وذالا في نحو Though، كما تنطق (PH) فاء في نحو Photo، و(ion) شينا في Education...إلخ.

كذلك فإنّنا لا نجد في اللغة العربية رمزا مكتوبا لا ينطق بغير قيمته الصّوتية، فرمز (س) يدل على صوت واحد هو السّين، أمّا في الانجليزية نجد حرف الـــ (C) ينطق سينا في City كما ينطق كافا في Cat، بينما (S) ينطق زايا في is وصادا في Salt، وشينا في Sure،...الخ[2].

العلاقة الكامنة بين بعض الحروف ودلالة الكلمات التي ترمز إليها فالسّين مثلا في آخر الكلمة تدل على المعاني اللطيفة كالهمس والنّبس والتّنفس والحس...، وتدل الميم على التّشديد والقطع، نحو: الحتم، الحسم، الجزم، العزم، الكظم...، وتدل الحاء على السّعة، نحو: الارتياح،

1- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، ص43.
2- ينظر المرجع نفسه، ص43.

والسّماح والفلاح والنّجاح والفتح والصّفح والفرح...، أمّا الضّاد فخصّ بالشّؤم يَسِمُ جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل، نحو: ضجر، ضر، ضجيج، ضوضاء، ضياع، ضلال، ضنك، ضيق...إلخ[1].

4 صلاحيته لتدوين اللغات الأخرى:

يتميّز الخط العربيّ بالعالمية، وقد وصل إلى هذه المكانة بفضل القرآن الكريم الذي نزل عربيّا، والإسلام الذي هيّأ له أسباب الانتشار في جميع الأمصار والبلدان التي دخلها، وقد استعملته شعوب غير عربية ف «انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الإسلاميّة وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والتترية، والمغولية والبربرية والسّودانية والزنجية، والسّاحلية كما كتبت بها لغة أهل الملايو، حدث هذا منذ ألف سنة ودوّنت به آدابها وعلومها وفنونها»[2]، وقد عني المسلمون العرب بهذا الخط، فاتّخذوه فنّا زخرفيا قائما بذاته تُحلى به المساجد، وتُنمق به الآثار، وحثوا على تدوينه وتحسينه فهذا أبو حيان يقول: «إنّ للخط الجميل وشيا وتلوينا كالتّصوير وله التماع كحركة الراقصين وحلاوة كحلاوة الكتلة المعمارية» ثم يضيف «قد تكون صورة المداد في الأبصار سوداء، ولكنها في البصائر بيضاء» [3]، وتعدّدت أنواع الخط العربي من الكوفي، النّسخ، الرقعة،...إلخ.

1- ينظر العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب،ص 43.
2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 67.
3- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات، ص 45.

وقد نظموا فيه الأشعار فبيّنوا فضله وحثّوا على تحصيله: [1]

الحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِبَارِي الأَمَمِ ∴ وَخَالِقِ الخَلْقِ وَمُجْرِي القَلَمِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالثَّنَا ∴ عَلَى الذِي حَازَ الفَخَارَ وَالسَّنَا

مُحَمَّدٍ وَآلِـــهِ وَصَحْبِـهِ ∴ مَا دَامَتِ الحُسْنَى لَهُ مِنْ رَبِّهِ

وَبَعْدُ فَالخَطُّ عَظِيمٌ فَضْلُهُ ∴ عِنْدَ الإِلَهِ وَالكِرَامُ أَهْلُهُ

وَقَدْ أَتَى الحَثُّ عَلَى تَحْصِيلِهِ ∴ وَكَمْ دَلِيلٍ جَاءَ فِي تَفْضِيلِهِ

فَعِلْمُهُ فَخْـرُ الفَنَى فِي الخَلْقِ ∴ وَحُسْنُهُ مِفْتَاحُ بَابِ الرِّزْقِ

حَامِلُهُ لَا خَلِيـلٌ نَافِـعُ ∴ وَجَابِرٌ وَنَاصِرٌ وَرَافِـــعُ

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ كَسْلَانِ الوَرَى ∴ فِي الفَضْلِ مَا بَيْنَ الثُّرَيَا وَالثَّرَى

وَأَحْسَنُ الخَطِّ هُوَ المَنْسُوبُ ∴ إِلَى أُصُولٍ وَضْعُهَا مَطْلُوبُ

إلى درجة أن «بعض نصارى الغرب يزيّنون كنائسهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية ممّا بقي من آثار العرب في الأندلس بعد خروجهم، وهم يجهلون أنّ هذه النقوش ليست سوى

1- موسوعة تراث الخط العربي، تح: هلال ناجي، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، ط.1، 2002، ص 306.

آيات قرآنية»[1]، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على روعة الخط العربيّ وسحر جماله الذي يأسر النفوس ويأخذ بالألباب.

ذلك لأنّ الحروف العربية كما يصرّح العقاد «أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات، لأنّها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة»[2]، وهكذا تهيّأت للغة العربية كل أسباب الفضل على كل مستويات الأداء في رسم الحروف، وكتابة الكلمات. فهذا البروفسور الفرنسي هنري لوسيل (Henri-Lucille) يصرّح قائلا وهو يدعو إلى تعليم العربية في المدارس الفرنسية «إن التلميذ أو الطالب يجد في اللغة العربية معاني لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معاني الفرنسية أو اللاتينية أو أيّ لغة أوربية وعن طريقها يتعرّف المتعلّم إلى عقلية العرب، يجد نفسه أوّلا أمام الأبجدية العربية، وربّما كان فيها الأمر موضع للنقد، ولكنّه سرعان ما يجد لها جاذبية خاصّة، ويستوقف نظري في الوقت نفسه سير الكتابة العربية من اليمين إلى الشمال، ولكن هذا السّير يبدو مطابقا لحركة فسيولوجية أكثر اتّفاقا مع الطبيعة، ...إلخ»[3] ومن ثم فإنّ للخط العربيّ في ثبات واستمرار لا نظير له في سائر لغات العالم التّي تتعرّض للتّبديل والتّغيير ومردّ ذلك كلّه إلى القرآن الكريم فقد حافظ المسلمون على خطهم حتى لا تشوبه أيّ شائبة تحول دون قراءة القرآن أو تذوّق بلاغته وإعجازه .

1- حسين محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، د.ط، ص201.

2- العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص37.

3- خلاطي، محمد مزعل، اللغة العربية المعاصرة بين الطموح والتحدي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، قسم اللغة العربية، العدد الثاني عشر، ص97.

وبعد، فهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر هذه اللغة المجيدة الفذّة التي ستبقى بإذن الله دوما نبراسا لأمّتنا العربية الإسلاميّة في الوقت الذي ستبقى خصائصها الخالدة مفخرة من مفاخرها وتراثها الحيّ المتجدّد.

مكانتها:

1 من منظور الثّقافة العربيّة الإسلاميّة:

تتباهى الأمم جميعها بلغاتها،فتعدّد كل منها مزايا لغتها ومناقبها وتفتخر بجانب متعلّق بها، فمنها من تعتزّ باتّساع ثروتها،وأخرى بوفرة مفرداتها،...ولكن بدون أن تقيم حجّتها على ذلك،أمّا الفصاحة العربيّة في دعوى أهلها كما يقرّر العقاد «مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها،لأنّ دليلها العلميّ حاضر لا يتعسّر العلم به والتثبّت منه على ناطق بلسان من الألسنة،ولا حاجة له في هذا الدّليل إلى غير النّطق وحسن الاستماع»[1]، فهذه الدّعوى لا تقوم على تعصّب قوميّ ولا على استمالة هوى، بل هي حقيقة جسدها الواقع وأقرّ بها العالم.

تمثّلت هذه اللّغة بحر علم بلا سواحل، وسخاء وبذلا بلا حدود،سراجا مشعّا بالعلوم والحكمة والأدب،على لسانها جرت ينابيع البلاغة وآيات الفصاحة وسحر البيان،ذلك أنّ هذه اللّغة «بنيت على أصل يجعل شبابها خالدا عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنّها أعدّت من الأزل فلكا دائرا للنّيّرين العظيمين:كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، ومن ثمّ كانت فيها قوّة عجيبة من

1- العقّاد، عبّاس محمود،اللّغة الشاعرة،نهضة مصر،د.ط،1995،ص 45.

الاستهواء كأنّها أخذة السّحر،لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع» [1]، فقد أضفى القرآن الكريم على اللّغة العربيّة مجدا تقاصرت دونه سائر اللّغات،وكان فتحا جديدا عليها.

ويؤكّد على ذلك الثّعالبيّ قائلا:«شرّفها الله عزّ اسمه وعظّمها،(يعني اللغة العربية)،ورفع خطرها وكرّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه،وجعلها لسان أمينه على وحيه،وأسلوب خلفائه في أرضه،وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه»[2]. فلولا القرآن لم تحظ اللّغة العربيّة بما حظيت به من تمجيد وتعظيم سواء كان ذلك من أبناءها العرب أو الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام،على نحو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ)، وأحمد بن فارس(ت 395هـ)، وأبي حيّان التّوحيديّ(ت 414هـ) وغيرهم، الذين أشادوا باللغة العربية تفضيلا وتقديما.

وممّا تحدّث به ابن فارس عن فضل العربيّة قوله: «لغة العرب أفضل اللّغات وأوسعها. قال جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [3]. فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، وقال جلّ ثناؤه:﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [4]، فقد ذُكر البيان على جميع ما تفرّد بخلقه وإنشائه،

1- بن رسلان،أبو عبد الله محمّد سعيد،فضل العربيّة،ص 107.
2- الثّعالبيّ،أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل،ص29.
3- سورة الشعراء (192-195).
4- سورة الرّحمان (3-4).

من شمس وقمر، ونجم وشجر،فلمّا خصّ جلّ ثناؤه اللّسان العربيّ بالبيان* عُلم أنّ سائر اللغات قاصرة عن اللّغة العربيّة، وواقعة دونها»[1]، وهو بيان متميّز تعجز عنه اللّغات كلّها.

جاءت هذه اللغة العظيمة أوسع اللّغات مدى، وأبسطها لسانا،وأصفاها بيانا، ماتت لغات بموت أممها كاللّاتينية والسّريانية والآشورية، وبقيت العربية هي الوحيدة عبر العصور التي أمكنها الصّمود، فالقرآن الكريم كان لها منعة وحصنا «فهو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصليّة، وحفظها على قيد الحياة،وسيحفظها على مرّ الدّهور، وستموت اللّغات الحيّة المنتشرة اليوم في العالم كما ماتت لغات حيّة كثيرة في سالف العصور، إلّا العربية فستبقى بمنجاة من الموت وستبقى حيّة في كلّ زمان مخالفة النّواميس الطّبيعيّة التي تسري على سائر لغات البشر» [2]، و لم تعرف البشريّة على طول تاريخها لغة خلّدها كتابها سوى اللّغة العربيّة.

فتح الإسلام للّغة العربيّة سبيل الانتشار والتّوسّع،تتقدّم اللّغات وتتبوّأ الصّدارة،فسارع المسلمون إلى تعلّمها، فتعلّمها كلّ إنسان دخل الإسلام لتأدية الشّرائع والعبادات،ونقلوا إليها العلوم جميعها«وبينما كانت لغات الشّعوب المفتوحة في فقر مدقع،كان اللّسان العربيّ في ذروته،فقد كانت الفارسيّة مهملة والقبطيّة مضطهدة، والسّريانيّة والعبرانيّة في مركز الضّعف» [3]،

* البيان: «روى ابن عبّاس عن النّبي ﷺ أنّه قال: «إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكما»، قال: البيان:إظهار المقصود بأبلغ لفظ،وهو الفهم،وذكاء القلب مع اللّسن،وأصله الكشف والظّهور، قيل معناه:إنّ الرجل يكون عليه الحقّ،وهو أقوم بحجّته منة خصمه فينقلب الحقّ ببيانه إلى نفسه»-ابن منظور،لسان العرب،ج.1،ص545.

1- ابن فارس،أحمد بن زكريا أبو الحسين،الصّاحبيّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها،دار الكتب العلميّة،لبنان، ط01، 1418هـ/1997 م، ص 19.

2- الجنديّ، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص33.

3- المرجع نفسه، ص45.

وكانت الأديان كلّها تقرأ كتبها في لغات مختلفة،لا يختصّ بمعرفة الأصل إلّا طائفة قليلة من رجال الدّين«أمّا المسلمون فقد اعتقدوا بحقّ أنّ لغة القرآن جزء من حقيقة الإسلام لأنّها كانت ترجمانا لوحي الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته» [1]،فاللغة العربية ليست كباقي اللغات بحسبها لغة الفكر والثقافة، ولغة الصّلاة والعبادة.

وممّا استدلّوا به على أفضلية اللغة العربية أيضا أنّها: «السّابقة بالوصلة، والآخرة بالنّبوّة» [2]، والمقصود ب "الوصلة"،هو محافظتها على خصائص اللغة السّامية الأصلية التي تفرّعت عنها اللّغات السّامية المختلفة.

وأمّا خصائصها الفريدة فجعلت منها لغة حيّة صالحة لكلّ زمان ومكان،ما تتالت العصور، وكرّ الدّهور،كما قال العقّاد: «إنّ هذه اللغة العربية لغة الزّمن بأكثر من معنى واحد:لغة الزّمن لأنّها تحسن التّعبير عنه، ولغة الزّمن لأنّها قادرة على مسايرة الزّمن في عصرنا هذا وفيما يلي من عصور» [3]. وغدت العربية لغة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها،وتمكّنت من أن تكون –سيّدة اللغات اصطفاءا وكمالا وعذوبة وبيانا–لغة حضارة واسعة اشتركت فيها أمم شتّى، وكلّ فضل فازت به هذه اللغة فإنّما مردّه إلى القرآن الكريم،الذي فجّر علومها،ورسّخ دعائمها، وأبرز بيانها تنثر من شمائلها ثمار المجد والسّؤدد.

1- الجنديّ، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص45.
2- وافي علي عبد الواحد،فقه اللغة،ص187.
3- العقّاد، عبّاس محمود،اللغة الشاعرة،ص71.

2 من منظور استشراقي:

تبوّأت العربيّة مكانة رفيعة في قصور ملوك النّورمان وقياصرة ألمان يا،فكانت اللغة السّائدة فترة من الزّمن، فهذا "فيلهم الثّاني" ملك صقلية ينتقي مساعديه وأطباءه ووزراءه من بين العرب، وكان هو أيضا يقرأ ويكتب ويتكلّم العربية التي كانت لغة قصره،وكانت العربيّة لغة العلم والفلسفة لدى علماء أوروبا الذين كانوا يحرصون على تعلّمها في القرون الوسطى وبدء النّهضة الأوربية فتعلّمها القدّيس الفيلسوف الإيطاليّ"توماس الاكوينّ Tommaso d'Aquino"[1].

أمّا في اسبانيا التي غزتها العربيّة حتّى قال عنها الكاتب الإسبانيّ"الفارو": «كثيرون من أبناء ديني يقرأون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدّين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم وإنّما ليتعلمّوا كيف يكتبون اللّغة العربية... أين نجد اليوم مسيحيا عاديا يقرأ النّصوص المقدّسة باللّغة اللاّتينية؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدّس أو ما قاله الرّسل؟ إنّ كلّ الشّباب النّابه منصرف الآن إلى تعلّم اللّغة والأدب العربيين، فهم يقرأون ويدرسون بحماسة بالغة الكتب العربية، ويدفعون أموالهم في اقتناء المكتبات، ويتحدّثون في كلّ مكان بأنّ الأدب العربّي جدير بالدّراسة والاهتمام. وإذا حدّثهم أحد عن الكتب المسيحية أجابوه بلا اكتراث: «بأنّ هذه الكتب تافهة لا تستحق اهتمامهم» يا للهول، لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم ولن تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع كتابة خطاب باللّغة اللاّتينية، بينما نجد بينهم عددا كبيرا لا يحصى يتكلم

1- قاسم مولود، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، ص66.

العربية بطلاقة»[1]، فلم يجدوا بُدّا من الاندماج في الحضارة العربية التي سحرهم تقدّمها و ارتقاؤها، وكان عليهم إتقان اللّغة العربية لمسايرة هذا التّحضر.

وقد شهد على أفضليّة اللّغة العربيّة وتميّزها عن غيرها من اللّغات علماء ومفكّرون غربيّون فضلا عن أهلها: «ولو أنّ هذا الكلام عن أفضلية العربيّة وتميّزها صدر عن العلماء العرب وحدهم لقيل إنّه تعصب ومفاخرة، فكيف إذا قاله كبار علماء الغرب ومستشرقوه؟ والحقّ ما شهدت به الأعداء»[2]. فمن هؤلاء المستشرقين الذين أشادوا بالعربية نذكر:

1 -**فيلا سبازا** (Villa Spaza): «...واللغة العربيّة من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها في حين أنّ الفرنسيّة والإنجليزية والإيطاليّة وسواها قد تحدّرت من لغات ميّتة ولا تزال حتّى الآن تعالج رمم تلك اللّغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه»[3].

2 -**روفائيل** (RAPHAEL): يتحدّث عن العربية وهو الذي يجيد تسع لغات وهي:العربية، الانجليزية، الفرنسيّة، الألمانية، الهندية، الآراميّة، العبريّة، الفارسيّة، والرّوسيّة في كتابه "The Arabes Men"،الذي صدر في نيويورك سنة 1976 م: «إنّني أشهد من خبرتي الذّاتية أنّه ليس ثمّة من بين اللّغات التي أعرفها لغة تكاد تقترب من العربيّة سواء في طاقتها البيانيّة أم في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك،وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر،

1- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط.1401،5 ه/1981 م، ص 529.
2- عبد العليم مصطفى أحمد،خصائص العربيّة بين القديم والحديث،د.ط،د.س،ص 63.19
3-الجندي،أنور،الفصحى لغة القرآن،ص308.

والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها، وفي هذا الصّدد فليس للعربيّة أن تقارن إلّا بالموسيقى»[1]،ولعلّ هذه المقارنة تشير إلى عالمية العربيّة ذلك أنّ الموسيقى لغة عالمية،كما توحي إلى جاذبية هذه اللّغة التي تأسر النّفوس بجمالها ورقّتها وعذوبتها، وكذلك تفعل الموسيقى.

3 -**لويس ماسنيون** (Louis Massignon): «...واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ والعربيّة من أنقى اللغات،فقد تفرّدت بتفرّدها في طرق التعبير العلميّ والفنيّ والصّوفي... و لم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللّسان العربيّ المبين حتى اللغة اللّاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاء لنقل المفردات العربيّة إلى بناتها»[2].

أمّا المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه*** (Sigrid Hunke) التي تتّسم كتاباتها بنوع من الإنصاف فقد أشادت باللغة العربية أيّما إشادة فذكرت أنّ كلّ من يعتنق الإسلام عليه تعلّم هذه اللغة وتستطرد قائلة: «وكان من الطّبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والسّياسة والقانون بل لغة للتّجارة والمعاملات وجمهور النّاس،ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السّليم وسحرها الفريد؟فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة،حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة.فلقد اندفع النّاس الذين بقوا على دينهم في هذا التيّار يتعلّمون اللغة العربية بشغف،حتى أنّ اللغة القبطيّة،

1- الطويل، السيّد رزق، اللّسان العربيّ، والإسلام معا في معركة المواجهة، ص24.

2- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية، محاضرات الملتقى الرّابع للتّعرّف على الفكر الإسلاميّ، ص190.

*- **زيغريد هونكه Sigrid Hunke**: مستشرقة ألمانية معاصرة، زوجة المستشرق الألماني الذي تعمق في دراسته آداب العرب والإطلاع على آثارهم ومآثرهم وقد قاما بزيارة عدد من البلدان العربية ودراستها دراسة فاحصة من آثارها: (أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية) وهو أطروحة تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، و(شمس الله تسطع على الغرب) الذي ترجم بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين www.akottob.com

مثلا ماتت تماما.بل إنّ اللغة الآراميّة، لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمّد»[1].

ونختم بقول" **جان جوك روسو** " (Jean-Jacques Rousseau) في (الإسلام والحضارة العربية (71/1)) لمحمّد كرد علي: «من النّاس من يتعلّم قليلا من العربيّة ثمّ يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنّه سمع محمّدا يُمليه على النّاس بتلك اللغة الفصحى الرّقيقة، وذلك الصّوت المقنع المطرب المؤثّر في شغاف القلوب، ورآه يؤيّد أحكامه بقوّة البيان،لخرّ ساجدا على الأرض وناداه: أيّها النّبيّ رسول الله، خذ بأيدينا إلى مواقف الشّرف والفخار، أو مواقع التّهلكة والأخطار، فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار» [2]. إنّه سلطان الحقّ يصدع بكلّ قوّة، قال تعالى:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنبياء 18).

تبوّأت لغة الضّاد مكانة متميّزة بين لغات العالم، مترلة رفيعة تبرّر مشروعية اصطفائها من بين اللّغات الأعجميّة لأن تكون المنطوق الرّسمي للقرآن الكريم والسّنة الشريفة كثوابت أصولية شرعية للأمّة العربية الإسلامية، وبالتّالي فإنّ: «اللسان العربيّ هو المترّه من بين الألسنة من كلّ نقيصة والمعلّى من كلّ خسيسة والمهذّب ممّا يستهجن أو يستنشع» [3] تغلّب على جميع الألسنة وأثّر

1- هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 367.

2- التّميميّ، ثابت الخطيب، في موكب اللغة الخالدة، عمّان، دار الفاروق، ط.1، 1429هـ/2008م ،ص.11.

3- بن رسلان أبو عبد الله محمّد سعيد، فضل العربية، ص240.

في معاجمها، فلم تبق لغة واحدة لم يطلها شيء منه حتى اللغة اللّاتينية التي تمثّل الأمّ الكبرى صارت وعاءا لنقل الكلمات العربية.

بهذه المكانة أضحت اللغة العربية من المخاطر المهدّدة للمدّ الاستعماري، وللهيمنة الغربيّة، فكان لزاما حصارها ووضعها في قفص الاتّهام بتقييض مترلتها والطّعن في ماهيتها وقيمتها،وهي في أغلبها مساعي استشراقية، تفطّن لها أعلام الفكر العربيّ وحاولوا مواجهتها ومجابهتها.

لأنّ زوال أيّ لغة من اللغات يبقيها بجميع مقوّماتها، بيد أن زوال اللغة العربية«لا يبقى للعربيّ أو المسلم قواما يميّزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم،فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان»[1]. فالثابت الذي لا شكّ فيه هو أنّ اللغة العربية جزء من كيان لا ينفصل عن الشخصية المسلمة.

وبعد فإنّ الاعتزاز بهذه اللغة التي تمثّل هويّتنا، ودستور كتابنا، وقوام شخصيتنا،اعتزاز بالإسلام، والمحافظة عليها محافظة على الذّات الإسلاميّة، تولد لغات وتموت، وتبلى أخرى وتنقرض، وتبقى العربية تزهو في العصور دونها كلّ اللّغات. فقد ضمن الله لها الخلود بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر 9) .

1- أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية، محاضرات للتعرّف على الفكر الإسلامي، ص 190.

الفصل الثّاني

طبيعة الفهم الاستشراقي للغة العربيّة

يقول الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

مَا الفَضْلُ إِلاَّ لأَهْلِ العِلْمِ إِنَّهُمُ ∴ عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ

وَقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ ∴ وَلِلرِّجَالِ عَلَى الأَفْعَالِ أُسَمَاءُ

وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ∴ وَالجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلاَ تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاً ∴ النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

- معجم أجمل ما كتب شعراء العربيّة

مفهوم الاستشراق

يُعد الاستشراق ظاهرة فكرية حديثة، انبثقت عن نهضة علمية حضارية شهدها الغرب منذ قرون خلت، كانت بمثابة شعلة من النّور تهدي أهل تلك البلاد إلى سبيل العلم والتّحضر، من خلال الارتكاز على الإرث الحضاريّ لبلاد الشّرق،مع العلم أنّهما (بلاد الشّرق،بلاد الغرب) مختلفان تماما من حيث الأصول البشرية، والفكرية والدّينية، وحتّى العادات والتقاليد.فما هو مفهوم الاستشراق؟

أ –**المفهوم اللّغوي**: اشتقّت كلمة "استشراق" من مادّة "شرق"

نقول: شرقت الشمس إذا طلعت،وأشرقت إذا أضاءت.

وأشرقت الشمس إشراقا، أي:أضاءت وانبسطت على الأرض و"التّشريق": الأخذ في ناحية المشرق، ونقول:"شرّقوا"، إذا ذهبوا إلى الشّرق[1].

وفي القرآن الكريم: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (**الزّمر 69**)

وجاء في معجم متن اللّغة: "استشرق" طلب علوم الشّرق ولغاتهم (مولّدة عصرية) ويقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة[2].

1- ينظر،ابن منظور،لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص2244.

2- رضا أحمد،معجم متن اللغة،موسوعة لغوية حديثة،مجلّد03، دار مكتبة الحياة، بيروت،1378ه/1959م، ص310.

ب –**اصطلاحا:** هو «علم يدرس لغات شعوب الشّرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم»[1]، وهو يعني بالدّراسات الغربية المتعلّقة بالشّرق وخاصّة الإسلاميّ منه في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وحضارته بصفة عامّة ذلك لأنّ:«الوسيلة لدرس كيفية النّفوذ المتبادل بين الشّرق والغرب إنّما هو "علم الشّرق" بل نستطيع أن نقول إنّ غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورا على مجرّد درس اللّغات أو اللّهجات أو تقلّبات تاريخ بعض الشّعوب، كلّا بل من الممكن أيضا أن نقول أنّه بناء على الارتباط المتين بين التمدّن الغربي والتّمدن الشرقي» [2].وذلك خدمة لأغراضه الخفية وهي محاربة الإسلام والمسلمين بتنصير شعوبهم واستعمار بلدانهم.

ج –وهناك تعريفات أخرى تعبّر بطريقة فريدة عن أيديولوجية معيّنة كما هو الحال عند "ادوارد سعيد" الذي يقول : «إنّ الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلّل بوصفه المؤسسة المشتركة للتّعامل مع الشّرق،التّعامل معه بإصدار تقديرات حوله،و إجازة الآراء فيه،وحكمه، وبإيجاز الاستشراق كأسلوب غربي للسّيطرة على الشّرق واستبتائه وامتلاك السّيادة عليه»[3].

1- فوزي، فاروق عمر،الاستشراق والتاريخ الإسلامي،القرون الإسلامية الأولى،دراسة مقارنة بين وجهة النّظر الإسلامية ووجهة النّظر الأوربية،الأهلية للنّشر والتّوزيع،ط.1، 1998م، لبنان، ص30.

* كان الهدف من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كلّ الشّرق والشّرقيين،مسلمين وغيرهم للتمويه عن الهدف الرّئيسي المتمثّل في دراسة كلّ ما يتعلّق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراضهم التّنصيرية والاستعمارية تحضيرا لمحاربة الأمّة الإسلاميّة وتحطيمها وتفتيت وحدتها/ينظر،الميداني،عبد الرّحمان حسن حبنكه،أجنحة المكر الثلاث، ص120.

ونجد المستشرق الألماني "يوحنا رايسكة" في مقدمة كتابة"المدخل العام إلى التاريخ الإسلامي" 1747م يرفض المصطلح السائد – شرقي – لعدم دقته، ويقترح استبدالها بعبارة (محمدي أو مسلم)، فالأمر يتعلق حسب رأيه بتاريخ المسلمين عموما، وليس في الشرق فقط، بل وفي إفريقيا وأوروبا أيضا –ينظر، عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز دراسات العالم الإسلامي ط. 1، 1991م، ص 196.

2- سما يلوفتش أحمد،فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،2001،ص 24.

3- سعيد ادوارد،الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء، ترجمة: كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية،ط6،2003، ص17.

أمّا "المستشرق" فهو كلّ عالم غربيّ يعمل على دراسة الشّرق كلّه في لغاته وآدابه وأديانه وحضاراته[1]، ويعرّف أيضا بأنّه :«كل من تجرّد من أهل الغرب لدراسة بعض اللّغات الشّرقية، وتقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمّة أو أمم شرقية،من أجل أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها وآدابها أو غير ذلك من مقوّمات الأمم»[2].

عمد المستشرقون إلى دراسة العلوم الإسلاميّة فوقّفوا أعمارهم خدمة لأهدافهم،وهم يحتلّون مكانة رفيعة من الإعجاب والإجلال في أوساط الغرب، يُقام لآرائهم ونظرياتهم في البحوث الإسلاميّة في الشّرق وزن كبير، وقد«ظلّت الدّراسات الإسلاميّة لمدّة طويلة مشروعا أوربيا لا يرتبط فقط بكتابات أدبية نقدية، ودراسات تاريخية، وبخاصّة في الدّراسات الكلاسيكية والانجليزية، ولكن ترتبط بالحقيقة التي مفادها أنّ ثمّة مواجهة في تاريخ معظم الدّول الأوروبية مع الشعب الإسلاميّ على الأرض الأوروبية، أو في البحر المتوسّط أو في مستعمراتها» [3]، وهكذا استمرت جهود المستشرقين مركزة على دراسة الإسلام، ولغته، وترجمة القرآن الكريم، وكل ما يتعلق به.

1- ينظر،عميرة عبد الرّحمان،الإسلام والمسلمون بين أحقاد التّبشير وضلال الاستشراق،دار الجيل، بيروت،د.ط، ص90.

2- قميحة جابر،أعداء الإسلام ووسائل التّضليل والتّدمير،دار التّوزيع والنّشر الإسلامي،مصر،ط1، 1423ه/2002م،ص89.

3- حسين آصف، صراع الغرب مع الإسلام،استعراض للعداء التّقليديّ للإسلام في الغرب،تر.مازن مطبقاني،دار الوعي للنّشر والتوزيع،ط1، 1434هـ، ص79.

لمحة حول نشأة الاستشراق:

يصعب علينا تحديد تاريخ معيّن لبداية الدّراسات الاستشراقية لكن المؤكّد عندنا أنّها بدأت برحلات الرّهبان الغربيّين إلى الأندلس إبّان عظمتها ومجدها ، والتي أبهرتهم حضارتها وأذهلتهم علومها، فراحوا يتثقفون في مدارسها، وينهلون من مواردها، وكان من أبرزهم الرّاهب الفرنسيّ "جربرت Gerber" الذي انتخب بابا لكنيسة روما سنة "999م"، بعد عودته من بعثته التّعليمية في الأندلس، وأيضا "بطرس المحترم" أوّل من عَنِيَ بترجمة القرآن الكريم[1].

نشأت الدّراسات الاستشراقية نشأة كَنَسِيَة رُوّادها رهبان وقساوسة عملوا على نشر الثقافة العربية وعلومها في أوساطهم الغربية التي تبحث عن عوامل تحضّر المسلمين ونبوغهم، وأسباب نهضتهم ومجدهم من أجل فكّ طلاسم هذا السِّر الكامن وراء القوّة الحضارية والفكرية النّادرة الوجود التي ميّزت الحضارة العربية الإسلاميّة في أوجّ قوّتها وعنفوانها والتي تستمدّها من الإيمان والعلم، فبعد فشل الغرب في الحروب الصّليبية عَلِمَ يقينًا أنّ الصّراع العسكري لم ولن يُفضي إلى النتيجة المرجوّة منه لذلك عمد إلى دراسة علمية تضمن الغوص والوصول إلى أعماق العالم الإسلاميّ فِكرا وعقيدة، هو غزوٌ آخر في ثوب جديد يُظهر عكس ما يُضمر.

1- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكة،أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، التّبشير، الاستشراق، الاستعمار،دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط.8، 1420هـ/2000م، ص . 122.

أمّا الغرب المسيحيّ فيؤرّخ لبدء الاستشراق بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام "1312م" بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية والعبرية والسّر يانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولنيا وسلامنكا[1].

استمرت جهود المستشرقين في دراسة الإسلام ، و لم يعد الاستشراق محصورا على دواعي الانتفاع بعلم العرب ومدنية الشرق، بل خرج عنها إلى دواعي أخرى تنصيرية واستعمارية، وحتى سياسية وتجارية، وفي القرن الثامن عشر تمّ استعمار العالم الإسلامي والاستحواذ على الكثير من مخطوطاته وخيراته، وفي الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أوّل مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م[2].

1- ينظر،فوزي ،فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي،القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع،ط1،لبنان،1998م، ص 31.
2- ينظر، المرجع نفسه،ص31.

المبحث الأول: نظرة المستشرقين للغة العربيّة:

لكلّ أمّة حضارة تمجّدها وتفتخر بها وتروي إلياذها عبر الأجيال ، فالحضارات «كيانات ثقافية وليست كيانات سياسية أو هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضمّ الجماعات العرقية والدّينية والأمم وفيها يعرف النّاس أنفسهم بالنّسب والدّين واللغة والتاريخ والقيم والعادات...إلخ» [1] ولأنّ اللغة سبيل الحضارة حيث كانت تنقش على الجدران والآثار وتنقل العلوم والأسرار تحتّم دراستها.

وأمّا اللغة العربية فوعاء شامل لكامل مقوّمات الشخصيّة العربية الإسلاميّة، ولا سبيل للتّسلّل إلى المسلمين إلّا بمعرفة لغتهم وتعلّمها ودراستها وفهمها والتّعمق فيها لأنّها أهمّ عناصر قوّتهم،تمثّل بوابة علومهم، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنّ اللغة العربية هي مفتاح الشّرق، فمن خلالها يمكن الولوج إلى هذا العالم الذي بقي ثابت الأركان عصيّا على الغرب طيلة قرون عديدة، فقد كانوا ولا ريب متعطّشين لهذه العلوم،منبهرين بهذه الثقافة، ومذعنين لهذا الحكم ذلك لأنّه «لا سبيل لإرساء نهضتها-أي أوربا- إلّا على أساس من التّراث الإنساني الذي تمثّله الثقافة العربية فتعلّموا العربية،ثمّ اليونانية، ثم اللّغات الشرقية للنّفوذ منها إليه» [2]، ولقد كانوا في دأبهم المتواصل يحاولون ما استطاعوا من قوّة إضعاف هذه اللغة، وتوسيع الهوّة بينها وبين أهلها.

فقد واجه الغرب المسلمين مواجهة فكرية خفية دون سلاح ، لأنّهم اقتنعوا بأنّ المواجهة المسلّحة لم تعد تجدي نفعا، ومن ثمّ فلا بدّ من طريقة أخرى أكثر نجاعة وأمضى في بلوغ الهدف،

1- عفيفي أحمد، اللغة وصراع الحضارات، ص29.
2- العقيقي، نجيب، المستشرقون،ج1، ص 104.

فكّر لويس التاسع بجديّة وعمق وتمحّص حتّى انتهى به فكره إلى وضع خطة مبدئية للسّياسة التي تمكّن أوربا المسيحية من مواجهة الإسلام والمسلمين، هذه الأخيرة قامت على أمور أربع وهي:

أوّلا: تحويل الحملات الصّليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه لا فرق في الهدف إنّما يكمن الفرق في نوع السّلاح المستخدم، ويتمثّل سلاح الحملات الجديد في الدّس والمكر بين العرب، وإثارة الخلافات والشبهات والفتن بينهم ، والحرص على بقاءها ملتهبة بين صفوف المسلمين.

ثانيا: العمل على تجنيد المنصّرين الغربيّين في معركة سلمية هادئة تستهدف تعاليم الإسلام وأهمّ مقوّماته ومنها لغته، للحدّ من انتشاره، ثمّ القضاء عليه معنويّا.

ثالثا: تفعيل سياسة الإغراء وذلك باستخدام مسيحي الشرق وذو النفوس الضعيفة لتنفيذ أهداف الغرب.

رابعا: إنشاء قاعدة مركزية للغرب في قلب الشرق العربيّ دعامة لسياسته، ومنطلقا لتحقيق مراده كيما يحاصر الإسلام في بلاده.[1]

فإذا ما تمّ لهم ما خطّطوا له من غزو فكريّ وثقافيّ كانت ضحيتهم مركبا ذلولا يصرّفها طوع بنانه، ومرتعا سهلا يفعل به ما يريد.

1- ينظر،بصري أحمد،آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم-دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنّشر،ط.1، 2009، الرّباط، ص21.

علم الغرب كما قالت "زيغريد هونكه": «بأنّ كل الشعوب التي حكمها العرب اتّحدت بفضل اللغة العربية والدّين الإسلاميّ وذابت بتأثير قوّة الشخصية العربيّة من ناحية وتأثير الرّوح العربيّ الفذّ من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم» [1]، وأدركوا أيضا أنّه ما دامت الأمّة الإسلامية على صلة وثيقة باللّغة العربية فإنّها ستبقى مرتبطة بالقرآن الكريم والإسلام معتزة به،خادمة له، متوحّدة بدينها ولغتها، هذه الوحدة التي تقض مضاجعهم وتجافي جنوبهم ف« الحركات الإسلاميّة تتطوّر عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدّهشة فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبيّن المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمر فالحركات الإسلاميّة لا ينقصها إلّا وجود الزّعامة لا ينقصها إلّا ظهور صلاح الدّين الجديد» [2]، فهم يدركون أنّ وحدة الأمّة الإسلاميّة تمثّل قوّتهم وعلوّ شأنهم ومن أهمّ دعائم هذه الوحدة اللغة العربيّة.

فالصّراع إلى هذا النّحو صراع حضاري من أهمّ وسائله لغة الآخر-أي العدو- التي تعتبر مفتاح الدخول إلى هذه الحضارة بغية مسخها وطمسها أو إيقاف مدّها على أقل تقدير، ونتيجة لهذا وجب على أوربا تعلّم اللغة العربية حتى تحقّق أهدافها ومراميها كونها لغة الدين الإسلاميّ، ولغة مجده وتراثه، ودراستها دراسة مستفيضة «فقد وجد الطلبة الانكليز في الهند لدى دراستهم لغات مسلمي الهند ومدنيتهم، أنّ أبحاثهم وتنقيباتهم تحتّم عليهم دراسة العربية التي هي أساس

1- زينغريد، هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص. 13.

2- نجا فاطمة هدى،نور الإسلام وأباطيل الاستشراق،دار الإيمان،لبنان،ط.1، 1413هـ/1993م، ص 209.

الثقافة الإسلاميّة في أيّ لغة من اللغات» [1]، ومن ثمّ تنبّهوا إلى أهمية اللغة بوصفها سلاحا فتّاكا يضاهي الأسلحة الحربيّة.

ومن أعمالهم «إنشاء مدارس لغات يتم فيها تأهيل الموظفين والضباط والمفاوضين والأطّباء والمراسلين،وكذلك الفتيات الأوروبيات التي يمكن تزويجهن لاحقا بزعماء شرقيّين» [2] فمع تغيّر سلاح الحرب تغيّر الجنود كذلك، من منصّرين في زيّ أطّباء وموظّفين،ومفاوضين في صورة فتيات أوربيات، هذه الجهود كلّها مبعثها الخوف من توسّع رقعة الإسلام الذي أشعّ نوره في جميع بقاع العالم.

تيقّن الغرب بأنّ الانتصار على اللغة العربية هو انتصار على الإسلام، ورأى بأنّها هي التي أخذت بالعرب قدُما نحو المجد والكمال لما وصلت إليه المدنية الإسلامية ، حيث جعلت من بغداد ودمشق وقرطبة حواضر للعلم والثقافة،بلغت هذه المدن أوجّ رقيّها فذاع صيتها وتهافت المستشرقون والغربيون إليها من كل مكان وفرادى وجماعات ولا مجال للشكّ «في أنّ دراسة اللغة العربيّة هي الأساس الرّصين لدراسة الحضارة العربية والتعمّق في فهم العالم العربي» [3] وبدت لهم "اللغة العربية" مفتاحا للغز الشرق يلجون بها إلى حضارته ودينه وثقافته، ووسيلة لفهم أفكاره وأسلوب عيشه وأسراره والدّخول إلى أعماق أعماقه لأنّها ملاك كل ذلك، فالصّراع صراع لغوي بالدرجة الأولى يفضي إلى صراعات كبرى تنحدر عن هذا الصّراع.

1- عمايرة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات العربية،عمان،دار حنين،1992م/1412هـ،ط.2،ص 20.
2- المرجع نفسه، ص19.
3- م.ن، ص 16.

مفهوم الصّراع اللغويّ:

يعرّف الصّراع اللّغويّ بأنّه «خلق شعور قوميّ وإيجاد روح الانتماء والولاء للغة ما ضدّ لغة أخرى، بالتّحريض ضدّها والمساعدة على ازدرائها،والحثّ على هدم لغة الآخر والنّيل منها بإضعافها، وخلق الكراهية للتّحدّث بها» [1]، وسببه التّعصب، والإيمان بضرورة هدم الآخر بأيّ وسيلة، وذلك استهانة بقيمه ومبادئه وثقافته، وهو نوع من أنواع صراعات الحضارات إن لم يكن أهمّها «فكل حضارة ترى نفسها مركزًا للعالم وتكتب تاريخها وكأنّه الدّراما الرّئيسية في التاريخ الإنسانيّ»[2]، فطبيعة هذا الصّراع هو إلغاء ثقافة الآخر وهويته وفكره ولا يكون ذلك إلّا عن طريق اللغة، والنّتيجة تحسم بالبقاء للأقوى لغة وفكرا وثقافة.

ذكر ابن حزم في كتاب "الإحكام" سنة من سنن الكون في سقوط اللغة، فقال: «إنّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنّما يقيّد لغة الأمّة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم، وأمّا من تُلِفَتْ دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخاطر، وربّما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم،ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضّرورة»[3].

1- عفيفي، أحمد، اللغة وصراع الحضارات،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة، د.ط، د.س، ص03.

2- المرجع نفسه، ص39.

3- محمد الخضر حسين،في العربية وتاريخها،المكتب الإسلامي،مكتبة دار الفتح،دمشق،ط02، 1380هـ/1960م، ص21.

فاللغة ناقلة للثقافة، حاملة لروح الحضارة التي تعبّر عنها هذه اللغة،فهي المحركة لفعل المعرفة، ومن خلالها نتعرف على الآخر وبها يتم الهجوم عليه،يقول **مارك دانروز** (Mark Andrews) «إنّ وراء اللغة ثقافة،والمطلوب منّا هو العثور على استراتجية لا دفاعية فقط،بل البحث عن استراتيجية هجومية»[1]، أصبح الصّراع اللغوي من أخطر الصّراعات الفكرية بين الأمم التي يكيدها العدو فيخطط إلى إلغاء الآخر واقتلاع جذور تاريخه من خلال إدراك الغير ثمّ الهجوم عليه في مواطن ضعفه.

ويرى اللّغويون بأنّه لا يمكن للّغة أن تتغلّب على لغة إلاّ إذا توفرت الشروط الآتية:[2]

1 -أن تكون اللّغة الغالبة، لغة شعب مُتحضّر، أرقى من الشعب المغلوب، في حضارته وثقافته، وأقوى منه سلطانا وأوسع نفوذا.

2 -أن تبقى غلبة الغالب زمانا كافيا، مع استمرار قوّته، لتتمكّن اللّغة الغالبة من بسط نفوذها، ويتم لها نصر حقيقيّ.

3 -أن تكون هناك جالية كبيرة العدد والنّفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التّي غلبت لغتها، وتمتزج بأفراد هذا الشّعب، ولا تعيش إطلاقا في عزلة عنه.

1- عفيفي أحمد، اللغة وصراع الحضارات،ص12.

2- عبد التّواب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي، ص 177.

المبحث الثاني: دواعي اهتمام المستشرقين باللغة العربيّة:

تعدّ اللغة مدخلا من أهمّ مداخل الاستشراق حتّى قال أحدهم «الاستشراق علم يختصّ بفقه اللغة خاصّة»[1]، وتتجلّى العلاقة القوية بين الاستشراق واللغة العربية في الاهتمام الكبير، والواضح الذي أولاه المستشرقون لهذه اللغة من خلال تعلّمها ودراستها كونها سلاحا من أقوى الأسلحة التي تغزو الأفكار والمبادئ والأصول ذلك أنّ: «اللغة فكر وثقافة ودين وعبادة» [2] ويجدر بنا القول بأنّ تقسيمنا لدواعي الاستشراق لتعلّم اللغة العربية وتعليمها لا يعني فصل هذه الدّواعي عن بعضها البعض، فهي غالبا ما تتداخل وتتعاون لتصير كتلة واحدة تعبّر عن الرّوح الاستشراقية التي وإن اختلفت اتّجاهاتها فهي تستهدف دائما العالم الشرقيّ الإسلاميّ بشكل أو بآخر.

وفي ما يلي محاولة للوقوف على أهمّ الدّواعي التي دفعت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللغة العربية وتعلّمها:

1 -**الدّواعي الحضاريّة.**

2 -**الدّواعي العلميّة.**

3 -**الدّواعي التنصيريّة.**

4 -**الدّواعي الاستعماريّة. – الجزائر.أ نموذج.**

1- عمايرة، إسماعيل أحمد،المستشرقون والمناهج اللغوية،دار حنين،عمان،ط.2، 1992م، ص15.

2- الجندي،أنور،أخطاء المنهج الغربي الوافد،في العقائد والتّاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ،الموسوعة الإسلاميّة العربية ،دار الكتاب اللبناني، ط.1،1974م ،ص256.

1-الدّواعي الحضاريّة:

كانت العلاقة بين الشّرق والغرب عبارة عن صراع مسلّح دائم متواصل عبر التّاريخ،يلهب ويخمد،يشتّد ويضعف،غير أنّ هذا الصّراع لم ينفع أوربا في بدايته فقد «كان من نتائج اصطراع الشّرق والغرب منذ قرون مضت،وإلقاء العرب الرّعب في قلوب الأوروبيّين، أن صار الأوربيّون يشعرون بمذلّة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرّروا من سلطانها إلّا منذ زمن قريب» [1] ذلك أنّ الإسلام ارتقى بالمسلمين، فقوّى إيمانهم، فعظمت شكوتهم،فلا يثنيهم عن عزيمتهم شيء، فالشّهادة في سبيل الله سبيلهم إلى الجنّة يتخص لها أنفسهم وأموالهم.

واحتل الشرق مكانة رفيعة في العلم فبينما كانت أوربا غارقة في ظلمات الجهل وغياهب الظّلام، كان العلم في بلاد المسلمين منارا يُهتدى به، وسبيلا يُقتدى به،لقد كان علم المسلمين بالنّسبة إليهم كنسبة النّور السّاطع في الظّلام﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾(هود24) ذلك أنّ «الحضارة الّتي أقامها العرب في أقلّ من مائة سنة، وهي من أنضر الحضارات الّتي عرفها التّاريخ،ليس ممّا يأتي عفوا، وأنّه كان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدّما، وكان للعرب، عدا الآثار القليلة الّتي كشف عنها، لغة ناضجة وآداب راقية...فالعرب الذّين هذا شأنهم كانوا لا ريب، من ذوي القرائح الّتي لا تتم إلّا بتوالي الوراثة وبثقافة سابقة مستمرة، والعرب الذين صقلت

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص12.

أدمغتهم على هذا الوجه استطاعوا أن يبدعوا حضارتهم الزّاهرة بعد خروجهم من جزيرتهم في مدّة قصيرة»[1].

و لم تتفطّن أوربا في العصور الوسطى إلى ضرورة تعلّم "اللغة العربية"، وهذا ما نصّ عليه قول المستشرق **رينو** (Reinaud) حينما صرّح قائلا:«والمسيحيّون من جهتهم لم يكونوا ليفكّروا في تلك العصور الّتي ساد فيها الجهل والبربرة في بلدهم في تعلّم اللّغة العربيّة، والتاريخ لا يحدّثنا في هذا السّياق إلّا عن كاهن واحد وهو رئيس"سانت جال" واسمه هارتموت Hartmote الّذي كان درس في حوالي سنة 880م اللّغة العربية إلى جانب العبرية واليونانية»[2] فجهلهم باللّغة العربية أدّى بهم إلى جهل الإسلام وما جاء فيه من سماحة وعدل، وإلى عدم فهم كتابه العزيز، دستور المسلمين، يقول **بلاشير** (Blachère) «جهلهم بالعربيّة قد منع عنهم كلّ اتصال مباشر بالرّسالة القرآنية»[3]،كما يؤكّد على ذلك أيضا المستشرق الإنجليزي **اربري** Arberry الّذي عاب على الصّليبيين عدم انتفاعهم بالنّاحية الثّقافية في حرب الأعداء فيقول:«ولكن من الغريب أنّ المحاربين الصّليبيّين يبدو كأنّهم أهملوا فرصتهم لتعلّم لغة أعدائهم»[4].

واستمرّ الحال على ما هو عليه مدّة طويلة«ودامت همجية أوربة البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، و لم يبد في أوربة بعض الميل إلى العلم إلّا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثّاني عشر

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب ص13.

2- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار البشير، الأردن،ط.1، 1417هـ/1996م،ص22.

3- المرجع نفسه، ص22.

4- عمايرة،إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللّغوية، ص18.

من الميلاد، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولّوا وجوههم شطر العرب الّذين كانوا أئمة وحدهم»[1].

ويُقِرُ هذه الحقيقة **يوهان فوك** (Johan Vuk) بقوله:«ثمّ أخذ بعض أهل العلم يؤمّون الشرق،ليحصلوا على مخططات عربية من استانبول، ودمشق وغيرها من مدن الشرق، ولتعلّم اللّغة العربية في هذه المنطقة»[2]، وأصبحت حضارة العرب قِبلة لأوروبا التي أيقنت أخيرا أنّ المعرفة هي السّلاح الوحيد الذي يمكّنها من مواكبة الشّرق،وتحقيق مآربها،ومن ثمّ يقول **ديتريش** (Dietrich) «أخذت(أي أوربا) تبحث في حضارات الشرق، وتخضعها لدراسة علمية موضوعية، ولذلك كانت دراسة اللّغات والتعمق فيها ضرورة لا مناص منها»[3]، فعمدت إلى دراسة اللّغة العربية مفتاح الولوج إلى حضارة الشرق وفهم تراثه وثقافته،لتتحوّل المعركة مع المسلمين بعد ذلك من حرب سافرة مسلّحة، توقظهم من سباتهم وتعيدهم إلى أسس دينهم وتبعث فيهم الأنفة والنّخوة إلى حرب خفية مقنّعة تخامر عقولهم وتأخذ بأفئدتهم،تمثّلت في غزو فكريّ ونفسيّ وحضاريّ وعقائديّ، فقاعدة المخطّطين تقول:«إذا أرهبك سلاح عدوّك فأفسد فكره ينتحر به»[4] هذه إذن معركة الحضارات تستلزم دراسة اللغة العربية وإتقانها والغوص في علومها وجواهرها كيما يتسنى للآخر أن يفهم الحضارة الإسلامية التي طالما دوّخته وسلبت لبّه وذهبت

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص586.

2- عمايرة،إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللّغوية، ص18.

3- المرجع نفسه ، ص18.

4- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكة،أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، التّبشير، الاستشراق، الاستعمار،ص24.

بمجده فيعمل جاهدا على إيقاف مدّها، وإحداث جوّ الاضطراب فيها، إن لم يتمكّن من استئصالها كلّيا.

واستأثرت العربية باهتمام الكنيسة لشرح الغامض من نصوص الكتاب المقدّس، فالإقبال على العربيّة لم يكن عبثا أو صدفة، فقد شهد العصر الوسيط للعرب بالعلم بالعلوم القديمة من أدب، وفلسفة، وفلك، ورياضيات...فكان رقيّهم عنوان حضارتهم، واتّجهت أنظار الزّائرين والمتتلمذين نحوهم، وشدّت إليهم الرّحال[1]. فالعربية في ذلك الزمان لغة الرّقيّ والحضارة والمدنية، بوابة الخلاص من الجهل والتّخلف إلى نور العلم والمعرفة، وبدا الانتقال من الحضارات الأخرى إلى الحضارة العربيّة، انتقالا من الخمول إلى النّشاط ومن الظلام الدّامس إلى النّور المبين.

تمّ إنشاء مكتب للمترجمين في طليطلة عام "1130م" ينقل أهمّ كتب العرب إلى اللّاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة "ريمون Raymond"، و لم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب،كالرّازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد...إلخ إلى اللّغة اللاّتينية، بل نقلت إليها أيضا كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم الخاصّة ككتب أفلاطون، أرسطو، أقليدس[2]، وهكذا استعان الأوربيّون بالعربية لمعرفة الفلسفة اليونانية،يقول **آربري:** «كان من فخارها-أي العربية-أنّها صارت الواسطة الّتي نقل بها أرسطو و جالينوس اللّذان كانا قد آلا إلى

1- ينظر، فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين،نقله عن العربية، عمر لطفي العالم،دار المدار الإسلامي،ليبيا،ط.2 ، 2001م، ص. 10.

2- ينظر،لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص .587.

النّسيان»[1]. وقد بيّن **ألبرت ديترش** الظروف التي أرغمت أوروبا على المواجهة الثّقافية التي تفرض معرفة اللّغة بوصفها سلاحا مهمّا في هذا المجال حيث قال:«عندما توغّل الأتراك حاملوا لواء الإسلام وقتذاك في قلب أوربا، شعرت أوربا بضرورة دراسة لغات العالم الاسلاميّ»[2] حتّى تعرف طرق تفكيرهم وتتمكّن من مواجهتهم.

كانت قرطبة قِبلة لطلاب العلم شرقا وغربا تدهشهم بمدارسها العليا ومكتباتها العظمى التي جمع لها الخليفة الحكم الثاني، نصف مليون من الكتب القيّمة، وكذلك مكتبة القاهرة التي حوت مليونين ومئتين من المجلدات، فما كان منهم إلّا الدهشة والذهول يقول **جربرت فون أورياك Gerbert Von Aurillac** الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام "999م" باسم البابا سلفستر الثاني متحسّرا «إنّه لمن المعلوم تماما أنّه ليس ثمّة أحد في رومة له من المعرفة ما يؤهّله لأن يعمل بوابا لتلك المكتبة،وأنّى لنا أن نعلم النّاس ونحن في حاجة لمن يعلّمنا، إنّ فاقد الشيء لا يعطيه»[3] هكذا توالت اعترافات الغربيّين عن فضل العرب ولغتهم عليهم، وعلى حضارتهم ومدنيّتهم، يؤكّد على هذا المعنى **جواهرلال نهرو** (Jawaharlal Nehru) فيقول في كتابه "**لمحات عن تاريخ العالم**" مشيدا بفضل علماء المسلمين الأوائل«كانوا بحقّ آباء العلم الحديث، وإنّ

1- عمايرة، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللّغة، دار البشير،الأردن،ط1 ،1417هـ/1996م، ص.379 .
2- المرجع نفسه، ص379.
3- هونكه، زيغريد، شمس الغرب تسطع على الغرب، ص353.

بغداد تفوّقت على العواصم الأوروبية ماعدا قرطبة عاصمة اسبانيا العربية،وإنّه كان لابدّ من وجود ابن الهيثم وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر جاليلو وكبلر وكوبرنيق ونيوتن»[1] .

واتّصل الغرب بالحضارة العربية اتّصالا فعليّا ملموسا مع ظهور طلائع المستشرقين وجلّهم من الرّهبان،ك ان من أوائلهم **جربر دي اورلياك** (**938-1003**) **Jerbert De Oralliac** وهو من الرّهبانية البندكتية (المؤسسة عام 529م)، قصد الأندلس وتعلّم على يد علمائها، حتّى أصبح أوسع عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، وبفضل تفوّقه هذا تدرّج في السّلك الكهنوتيّ حتى انتخب حِبرًا أعظم باسم سلفستر الثاني 999م، فكان أوّل بابا فرنسي، فأمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في "روما"مقر خلافته، والأخرى في "رايمس" وطنه، وهو من بثّ الأعداد العربية في أوروبا، وقد ترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية، وله دراسة عن أقليدس بالعربية[2].

هكذا كانت ثقافة العرب وحضارتهم نبراسا يهدي التّائهين، وجوهرا يَسُرُ النّاظرين، وأمّا لغتهم فالسّبيل القويم أثّرت في اللّغات اللّاتينية، فألّف **دوزي** و **أنجلمان** (Dozy and Angelman) معجما في الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية، وأثّرت في الفرنسية، حتى قال **سيديو**(Sejdiu) «أنّ اللّهجات السّائدة لولاية أوقِرن وولاية ليموزان

1- المطغي، عبد العظيم إبراهيم محمد، افتراءات المستشرقين على الإسلام،عرض..ونقد،مكتبة وهبة، القاهرة، ط.01، 1413هـ/1992م، ص142.

2- ينظر، العقيقي، نجيب، المستشرقون،ج1،ط.04، دار المعارف، ص110.

الفرنسيتين محشوّة بالكلمات العربية، وأنّ أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربيّة» [1]، أمّا **زيغريد هونكه** فتقول:«أجل، إنّ في لغتنا كلمات عربيّة عديدة، وإنّنا لندين-والتاريخ شاهد على ذلك-في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيّنت حياتنا بزخرفة مُحبَّبة إلى النّفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوما من الأيام قاتما كالِحًا باهتًا»[2]، وقلّ من المستشرقين من يُقِر بفضل العرب ولغتهم.

وبعد، فإنّ الحضارة الغربيّة مدينة في تقدّمها وتحضرها للمدنية العربية وإن كانوا يجحدون ذلك ويرفضونه فهناك من بني جلدتهم من يعترف بفضل العرب على الغرب، فهذا **غوستاف لوبون** يعترف بأنّه « إذا كانت هناك أمّة نقرّ بأنّنا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الأمّة، لا رهبان القرون الوسطى الّذين كانوا يجهلون حتّى اسم اليونان، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثّمينة اعترافا أبديًّا. .

ويقول **مسيو ليبري** (Monsieur Libériens) «لو لم يظهر العرب على مسرح التّاريخ، لتأخّرت نهضة أوربا في الآداب عدّة قرون» [3]. ثمّ يضيف في موضع آخر«كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم،وإنّ هذا التّأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم،وإنّ العرب هذَّبُوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرّومان بتأثيرهم

1- لوبون، غوستاف،حضارة العرب، ص457.
2- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ص20.
3- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص588.

الخلقيّ، وإنّ العرب هم الذين فتحوا لأوربا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلميّة والأدبيّة والفلسفيّة بتأثيرهم الثقافي،فكانوا ممدّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون»[1].

ونختم بقول كويلر يونج Guyler Young أستاذ العلاقات الأجنبيّة بجامعة "برنستون" في محاضرة ألقاها في مؤتمر الثقافة الإسلاميّة في واشنطن عام "1953م" وكان موضوع المحاضرة "أثر الثقافة الإسلاميّة في المسيحية": «وبعد...فهذا عرض تاريخي قصدت به التّذكير بالدّين الثّقافي الذين ندين به للإسلام، منذ أن كنّا نحن المسيحيّين داخل هذه الألف سنة نسافر إلى العواصم الإسلاميّة، وإلى المعلمين الإسلاميّين، ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة الإنسانيّة ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا وبربحه وسنكون مسيحيّين حقًّا إذا نحن تناسينا شروط التّبادل وأعطينا في حبّ واعتراف بالجميل» [2]، فحضارة المسلمين كانت سخية معطاءة على الشّعوب كلّها.

1 -الدّواعي العلميّة:

لما كانت اللغة ركيزة أساسية من ركائز الأمّة بأبعادها الحضاريّة والاجتماعيّة، فقد سايرت العربية تقدّم العرب العلميّ وحياة العربيّ المتعلّقة ببيئته التي تفرض عليه التّأمل والتّفكير فقد «عاش العربيّ في أرض قاحلة، تلهب الشمس رمالها، فاتّخذ النّجوم دليلا، والعلم مرشدا، واستطاع أن يجمع علم العالم في أقل من مائة عام، كما استطاع أن يفتح نصف العالم في أقل من مائة عام

1- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص601.

2- المطغي، عبد العظيم ابراهيم محمّد، افتراءات المستشرقيين على الإسلام، عرض..ونقد،ص 142.

أيضا، وترك لنا في حمراء غرناطة آثار علمه وفنّه، آثار مجده وفخاره» [1]، وامتاز العربي بحبّ المعرفة والتّطلع إلى الآفاق البعيدة، فنهل من بحارها، وأضاف إليها ذلك لأنّ «الشغف بالعلم، والتّعطش الدّائم لارتياد مناهله، صفات امتاز بها هؤلاء العرب، وهي التي تمدّ عبقرياتهم بالقوّة ويعشقون الحرية ويتطلّعون دوما إلى المثل العليا بدون تعصّب ولا تزمّت» [2]، لذا أخذ العلم النّصيب الأوفر من المسلمين إبّان عصورهم الزّاهية، فحفظوا للعالم العديد من المعارف والثقافات والعلوم التي كان مآلها الضّياع والهلاك لولا التّراجم العربية التي مكّنت العالم الحديث من الاطّلاع عليها.

ولولا اللغة العربية التي انتشرت بإقبال الناس عليها فرادى وجماعات يتدارسونها، وينهلون من علومها، لما قامت لهذه العلوم والمعارف قائمة وفي هذا الشأن يؤكّد الإبراهيميّ: «إنّ كثيرا من العلوم التي بُنِيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منّا ومنهم، وإن المنصفين ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقّها من التّمجيد والاحترام، ويعترفون لعلماء الإسلام بأنّهم أساتذتهم في هذه العلوم عنها أخذوها وعن لغتهم ترجموها وإنّهم يحمدون للدّهر أن هيّأ لهم مجاورة المسلمين...» [3].

وفي الوقت الذي كانت تشهد فيه اللغة العربية مع أهلها أوجّ ازدهارها وعنفوانها، كانت أوروبا في المقابل غارقة في أوحال الجهل وغياهب الظلام، والحقيقة «بأنّ عهد الجهالة قد طال في أوربا العصور الوسطى وأنّ بعض العقول المستنيرة فيها لما شعرت بالحاجة إلى نفض الجهالة عنها،

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، رابطة العالم الإسلاميّ، ربيع الآخر 1416هـ، العدد. 160، ص 06.
2- المرجع نفسه، ص 06.
3- الإبراهيميّ، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 377.

طرقت أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه لأنّهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد»[1]، ويؤكّد على ذلك غوستاف لوبون حين يقول: «لم يكن عند أولئك البرابرة ما يفيد الشرق و لم ينتفع الشرق منهم بشيء في الحقيقة» [2]، فلم يكن في وسعهم مَدُ يد المساعدة للعرب لأنّهم كانوا أدنى منهم ثقافة وحضارة.

واعترف بعض علماء الغرب بأنّ الحضارة العربية الإسلاميّة كانت نبراسا للعلم ينهل منه الغرب المظلم العلوم والمعارف حتى بلغوا ما هم عليه الآن من التقدم والازدهار «فإلى العرب، وإلى العرب وحدهم، لا إلى رهبان القرون الوسطى ممن كانوا يجهلون حتى وجود اللغة اليونانية، يرجع الفضل في معرفة علوم الأقدمين، والعالم مدين لهم على وجه الدّهر لإنقاذهم هذا الكنز الثمين، وأنّ جامعات الغرب لم تعرف لها، مدّة خمسة قرون، موردا علميّا سوى مؤلّفاتهم وأنّهم هم الذين مدّنوا أوربا مادّة وعقلا، وأخلاقا، وأنّ التاريخ لم يعرف أمّة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنّه لم يفقههم قوم في الإبداع الفني»[3].

بينما كانت هذه «اللغة – العربية – في القرون الوسطى يوم كان العالم كلّه يتخبّط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته» [4]، وما لبثت العربية أن أصبحت لغة العلوم على امتداد العالم، وكل من يريد ارتياد هذه العلوم يتحتّم عليه العبور إليها عبر جسر اللغة العربية لأنّها «لغة الدّراسة والبحث للكثير من العلماء والفلاسفة الأوروبيّين الذين

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 58.

2- لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص 346.

3- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية،ص.59/58.

4- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج.1،ص.378.

مهّدوا لعصر النّهضة التي أدّت بدورها إلى انطلاق أوربا ذلك الانطلاق لم يكن ليتمّ لولا منطلقه الحقيقيّ ألا وهي الحضارة الإسلاميّة التي كانت لغتها العربية» [1]، حيث أنارت الحضارة العربية الإسلامية الدّرب لأوروبا فكانت بمثابة النّور في العتمة، وانقشعت بها غياهب الجهالة في كل مكان حلّت بها، فأخرجت العالم من الظلمات إلى النّور.

ومهما يكن فإنّ «العربية لم تخدم مدنية خاصّة بأمّة، وإنّما خدمت المدنية الإنسانية العامّة، مدنية الخير العام والنّفع، و لم تخدم علما خاصّا بأمّة خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة»[2]، فتجسّدت العربية في ذلك المورد العظيم الذي لا بدّ من الغوص في مكنوناته للنّهل من كنوزه ومعارفه.

أعجب الأسبان بثقافة العرب وحضارتهم وأرسلت الدول الأوروبيّة الأخرى الرّهبان والقساوسة لطلب العلم والمعرفة من الجامعات العربية المنتشرة في ربوع اسبانيا وخاصّة جامعة قرطبة التي كانت قِبلة طلاب العلم يفدون إليها من جميع الأصقاع [3]. وهكذا تمّ لهم تعلّم اللغة العربية، اللغة العالمية في تلك الفترة الزّمنية، وتعلم العلوم المدوّنة بها، وممّا ساعد على ذلك حِرصُ المسلمين على نشر هذه العلوم بدافع من دينهم السّمح.

1- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، ص 41.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.1، ص 378.

3- ينظر، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة، ج.1، دار المدار الإسلاميّ، ط.1، 2002 م، ص.41

و لم يقتصر العرب على «ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها، كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألّفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه النّاحية، ولقد كان العرب أساتذة للأمم المسيحيّة عدّة قرون، وإنّنا لم نطلّع على علوم القدماء والرّومان إلا بفضل العرب، وأنّ التعليم في جامعاتنا لم يستغن عمّا نُقِلَ إلى لغاتنا من مؤلّفات العرب» [1] هكذا أشاد المستشرق غوستاف لوبون بفضل العرب في نشر العلوم وفتح الجامعات في البلاد المفتوحة.

ولا جرم أنّ اللغة العربية هي «التي سهّلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ومهّدت لها الطرائق المؤدّية إليها حتى أخذت كل أمّة حظها منها» [2]، فأصبح الأوروبيّ وهمّه الوحيد محاكاة العربي المسلم في تفكيره، وأسلوب عيشه، والتّحدث بلسانه، حتى ينتمي إلى المثقفين المتحضّرين بإتقانه اللغة العربية.

هذه الصّورة المشرقة للعالم الإسلاميّ ساءت بعض الغربيين وضاقت صدورهم بها حتى صاح أحدهم قائلا «وا أسفاه، إنّ الجيل الناشئ من المسيحيّين الأذكياء لا يحسنون أدبا غير الأدب العربيّ واللغة العربية، وإنّهم ليلتهمون كتب العرب، ويجمعون منها المكتبات الكثيرة بأغلى الأثمان، ويترنّمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في ما يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنّها شيء لا يستحق منهم مؤنة الالتفاف» [3]، وبلغ إعجاب الغرب بالحضارة الإسلاميّة ولغتها مبلغا عظيما، لما تحمله في طيّاتها من كنوز العلم والمعرفة.

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 59.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.1، ص 378.

3- العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار النهضة، مصر، طبعة خاصّة، 1998م، ص 59.

وأصبحت اللغة العربية «في النّصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدّن، وحملت لواء التقدم الصّحيح وحافظت على تفوّقها واحتلالها مركز الصّدارة بين جميع الألسن الأخرى»[1]، وبات واجبا على كل طالب شغوف بالعلم تعلّم العربية أوّلا لتحصيل ذلك العلم، ومن هؤلاء العالم الإنجليزي روجر بيكون Roger Bacon (1215 – 1292م) الذي درس اللغة العربية وعلومها، وكان دائم التّصريح بأنّ تعلّم اللغة العربية وعلم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقّة[2].

فرضت العربية نفسها على جميع البلاد التي فتحها المسلمون وقامت مقام اليونانية واللاتينية والسّريانية... وغيرها، وحتى البلاد التي احتفظت بلغتها على نحو الفرس والتّرك لم تجد بُدا من اتّخاذ العربية لغة للعلم والأدب، وقبل مُضي القرن الثاني الهجريّ دوّنت علوم الفرس والهنود واليونان جميعها باللغة العربية [3]. وأدركت أوروبا أنّها لا تستطيع أن تنهض وتتخلّص من الحكم العربيّ المسيطر عليها والجاثم على أنفاسها إلا بالعلم مصدر قوّة المسلمين الذي به جثت أوروبا تحت أقدامهم ولا سبيل إلى مجابهتهم إلا بالحذو حذوهم.

أصبح الشرق قِبلة علميّة للشباب الغربيّ المتعطّش للنّهل من روافده التي لا تنضب «فهرع العلماء إلى طليطلة، وقرطبة واشبيلية وغرفوا من معين الثقافة العربية، وساعدت حركة الترجمة التي

1- الشرقاوي، محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 40.
2- ينظر، المرجع نفسه، ص 41.
3- ينظر، المرجع نفسه، ص.42.

قام بها اليهود إلى نقل العديد من الكتب العربية القيّمة إلى اللغة اللاتينية» [1] وتوالت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وتعرّف الغرب على هذه الثروة العلميّة الزّاخرة، واعتمدوا عليها في بناء حضارتهم، وكوّنوا طليعة من المستشرقين متخصّصة في الدّراسات الإسلاميّة.

بيد أنّ الدافع إلى هذه الدراسات، لم يكن دافعا علميّا محضا، وإنّما كان وسيلة للدافع الحقيقيّ، فمعرفتهم لعلوم المسلمين وثقافتهم تؤدّي بهم تدريجيا إلى فهمها، وبالتالي مقارعتها والرّد عليها.

ومن هؤلاء الذين اتّجهوا إلى بلاد المسلمين لأخذ العلم "إدلار" (Adalar) الذي درس في الأندلس وسوريا، وكان ذلك في القرن الثاني عشر، فترجم إلى اللاتينية كثيرا من الكتب الفلكية، والرياضية عن العربية، ونجد كذلك:"دانييل أوف مورلي" (De Daniel Morley) الذي استهان بالجامعات الغربية فغادرها متّجها إلى الأندلس، وكان ذلك في القرن الثاني عشر أيضا [2] وكان يبحث عن فلاسفة العالم الأكثر حكمة.

وانحصر عمل المستشرقين في هذه الآونة على ترجمة الكتب العربية، حيث يقول غوستاف لوبون: «ولم يظهر في أوربة، قبل القرن الخامس عشر من الميلاد، عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب، وعلى كتب العرب وحدها عوّل روجر بيكن وليونارد الييزي وارنون القيلنوقي وريمون لول وسان توما وألبرت الكبير...إلخ، قال مسيو رينان: «إنّ ألبرت الكبير مدين لابن سينا

1- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلاميّة،ص42.

2 – عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ص32.

في كل شيء، وإنّ "سان توما" مدين في جميع فلسفته لابن رشد» [1]، وبقيت كتب العرب خاصّة العلميّة منها، المصدر الوحيد للتّدريس في جامعات أوربا، ودام تأثير العرب في العلوم إلى أيامنا هذه على نحو كتب "ابن سينا "في الطب، والتي شرحت في أواخر القرن الماضي في مونبلييه[2].

أمّا الفيلسوف الفرنسي "ارينيه جينو" (René Guénon) الذي أسلم وتسمى "عبد الواحد يحيى" فيقول: «والأثر الواضح الذي يثبت لنا انتقال المؤثّرات الثقافية من المسلمين إلى أوربا هو تلك الكلمات العربية الأصل التي تستعمل لنقل الأفكار» [3] فقد غزت المفردات العربية البلدان الأوروبية، فاقتبست فرنسا وإيطاليا من العرب الكثير من المصطلحات "البحرية"، مثل: Amiral, Chaloupe, Felouque, Boussole، وأخذوا عن حكومة بغداد وحكومة قرطبة التعابير الإدارية، مثل: Bazar, Aides, Taille, Tarif ، والصّيد: Chasse, Maute, Laisse، وأهمّ من ذلك كلّه مصطلحات العلوم، فعلم الفلك مملوء بالتّعابير العربية، مثل: Azimuts, Z'enith, Nadir، وأسماء الكواكب: Aldébaran, Rigel، وكذلك الأمر بالنسبة للرياضيات والطب والكيمياء[4]...

واعترف عدد من المستشرقين بفضل العرب في تكوّن الحضارة الغربية، نذكر منهم "بريفولت" Brevoltالذي يقرّر في حسم وإصرار: «إنّ ما يدين به علمنا (أي علم أوربا) لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير سالفة، إنّ العلم يدين للثقافة

1 – لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 589.

2 – ينظر، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 589.

3 – الشرقاوي/ محمود، الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، ص 59.

4– ينظر، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص 457.

العربية بأكثر من هذا: إنّه يدين لها بوجوده» [1]، أمّا "سيديو"(Sejdiu)، فيصرّح: «إنّ العرب المسلمين كانوا أساتذة أوربا كلّها في جميع فروع المعرفة، وإنّ ما شيّد من المدارس والجامعات في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة ما بين الشرق الأقصى وبين هركول (مضيق جبل طارق) ناشرا آثار العلم العربي في كل مكان، عاملا على تجديد الدّم في عروق العالم، ونحن مدينون للعرب في الحقل العلميّ»[2]، إذن فالمسلمون العرب هم مصدر الحضارة الأوروبيّة ومنبعها، ما يبرز عطاء الإسلام وسخاءه على الإنسانيّة جمعاء.

وفي المقابل بذل عدد من المستشرقين حياتهم وجهدهم في خدمة العلوم الإسلاميّة، بروح علميّة مجردة، دفعهم إلى ذلك ذوقهم وشغفهم بالعلم، تمكنوا من إبراز كثير من نوادر العلم والمعارف، من هؤلاء نذكر "آرنلد" (Arnold) صاحب الكتاب القيّم "الدّعوة إلى الإسلام"، و"إدوارد لين" (Edward William Lane) صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـــ: "Arabic-English l'exicon" لشرح المواد العربية بالإنجليزية، شرحا موسّعا يعتمد عليه، ويستفيد منه كثير من علماء اللغة العربية والنّحو، إلى جانب المستشرق "أ.ي ونسنك" O.Ä. Wansink صاحب المعجم المفهرس العام التفصيليّ الذي وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدوّنة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة، وكتب السّيرة والمغازي المشهورة،

1- الجندي، أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط، 1397هـ/1978، ص 372.
2- المرجع نفسه، ص 373.

هذا الكتاب الذي نقله إلى العربية "فؤاد عبد الباقي" وسمّاه "مفتاح كنوز السّنة" [1]، هذه المؤلّفات جميعها تدل على عناء المؤلّفين وجهودهم الجبّارة التي يعتقد على الأرجح أنّها متجرّدة، خالصة من الأهواء مصاحبة للحقّ.

وبقيت اللغة العربية لقرون عديدة لغة العلم الأولى في العالم بأسره إلى أن بدأت شمس الحضارة العربية بالغروب، وبدا نجمها بالأفول، وذلك بعد سقوط الأندلس، لتشرِق بعد ذلك في أوربا وتنقلب الآية.

2 -الدّواعي التّنصيريّة:

تبنّت الكنيسة البدايات الأولى للدّراسات الاستشراقيّة، وليس أدلّ على ذلك من تهافت الرّهبان والقساوسة بشكل خاص على تعلّم اللغة العربية، ومختلف العلوم المتعلّقة بها فلم يكن الاستشراق «عملا علميّا محضا،بل إنّ المراد منه هو الرّد على الإسلام، والتبشير *بالنّصرانية بين المسلمين،ذلك بتراجم عربية للإنجيل» [2]، يقول **يوهان فوك** «وقد كانت فكرة التّبشير هي الدّافع

1- ينظر، النّدوي، السّيد أبي الحسن الحسيني، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، إعداد سيد عبد الماجد الخوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط.01، 1423هـ/2002م، ص 29.

* مصطلح "التّنصير"هو المصطلح الذي يُعبّر بحقّ عن جوهر هذا الهجوم الصّليبي،وليس "التبشير" الذي أطلق على حركة نشر المسيحية قبل الإسلام،وانتهى دور هذه الشارة الدّالة على الدّعوة للدّيانة المسيحيّة ببعثة النّبيّ محمّد ﷺ «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»(آل عمران-85)، ينظر:ممدوح حسين،مدخل إلى حركة التّنصير،دار عمّار،عمّان،ط.1، 1416هـ/1995م،ص.06.

2- الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكريّ، مطبعة المدني،القاهرة، ط.01، 1416هـ/1995م،ص17.

الحقيقيّ خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية» [1]، وذلك بسبب تلاشي الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوّة السّلاح.

إنّ عجز الحروب الصّليبيّة عن تحقيق النّصر على العالم الإسلاميّ وديانته أرغم الغربيّين على التّفكير في خطّة أخرى أنجع تمكّنهم من هدفهم ،تمثّلت في حركة التّنصير والتي تحتّم بداهة تعلّم لغة الآخر ولا يتأتّى ذلك إلّا إذا حذ ق المنصّر اللغة العربية، واطلع على التّعاليم و الأحكام الإسلاميّة من خلال كتابه المقدّس[2]. وهذه الجهود إنّما تبذل لإيجاد الثغرات التي تمكّنهم من التّسلّل إلى أفكار المسلمين وبثّ الشكوك في نفوسهم لتذليل المهام للمنصّرين.

وأخشى ما يخشاه المنصّرون هو-وحدة المسلمين- تحت لواء القرآن الكريم وسنّة نبيّه الأمين معتصمين بحبل الله، مستميتين طلبا للشّهادة في سبيله فإذا «اتّحد المسلمون في إمبراطورية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أمّا إذا بقوا متفرّقين،فإنّهم يظلّون حينئذ قوّة وبلا تأثير» [3]،فهم يرون أنّ «الخطر الحقيقيّ كامن في نظام الإسلام،وفي قوّته على التّوسّع والإخضاع» [4] كما يرون كذلك أنّ «هناك عداء من النّصرانية للإسلام بسبب أنّ

1- فوك،يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربيّة والإسلاميّة حتى بداية القرن العشرين،نق:عمر لطفي العالم،دار المدار الإسلاميّ، ط.1، 2001م، ص 16.

2- ينظر، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج.1، ص 264.

3- قميحة، جابر،أعداء الإسلام ووسائل التّضليل والتّدمير،دار التوزيع والنّشر الإسلاميّة،مصر،ط,1 ،1422ه/2002م ،ص93.

4- المرجع نفسه،ص 94.

الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدّا منيعا في وجه انتشار النّصرانية،ثمّ امتدّ إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها»[1]، وتمثّلت أهداف المنصّرين في:

1 - تفكيك وتفتيت وحدة المسلمين.

2 - التنفيس عن عقدة الهزائم التّاريخية التي مُنِيَ بها الصّليبيون من قبل ،والتّرويح عن عقدة النّقص التي كانت تعتريهم تجاه المسلمين.

3 - الثّأر من الإسلام باعتباره حاجزا منيعا يقف في وجه انتشار المسيحية.

وكل هذه الأهداف تصب في بوتقة واحدة وهي كسر شوكة المسلمين والتّمكين للزّحف الأوروبيّ نحوه.

وقد لاحظ الباحث الفرنسي **هنري دي كاستري** (Henry Castries) «أن استعصاء المسلمين على التنصر بواسطة المرسلين، واستحالة إخضاعهم بالقوّة هما السّببان اللّذان يعترضان تنصّرهم»[2] الأمر الذي دفع المبشّرين إلى «الاعتراف بوجوب العدول عن الوعظ المباشر»[3] رغم كونهم «متمسّكون برسالتهم،و لم يملّوا من الجهاد في سبيلها أمام صلابة الإسلام» [4]،من أجل ذلك سلكوا طرقا وأساليب ملتوية بزرع الشّك والرّيبة في قلوب المسلمين،وبثّ روح الهزيمة في نفوسهم.

1- قميحة، جابر، ص.94.

2- خليل عماد الدين،نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله،دار النّفائس،لبنان،1420ه/1999م،ص 26.

3- المرجع نفسه ،ص 26.

4- المرجع نفسه ،ص 27.

ولأنّ الأمّة الإسلاميّة إنّما تستمدّ قوّتها وصلابتها من الإسلام الذي هو حصنها الحصين، ودرعها المتين، دستوره القرآن، ومنهجه السّنة النّبوية الشريفة،قال ﷺ «تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي»[1] ، لذلك فقد صوّبت السّهام نحوهما للتّشكيك والتّضليل وبعث الوهن في صفوف المسلمين بإبعادهم عن دينهم، لأنّ الإسلام بذاته هو روح كلّ مقاومة مادام مرتبطا بالأصلين الخالدين القرآن والحديث.

كان أوّل من حمل اللّواء -التّنصيريّ- هو رئيس "ديكيلوني cluny"، والمعروف ب"بطرس المبجّل" Petrus Venerabilis" الذي اقتنع بأنّ محاربة «هرطقة/بدعة محمّد؟ !» بقوّة السّلاح لا تجدي نفعا بل يجب أن تحارب بقوّة الكلمة،وهذا الأمر يتطلّب معرفة حقيقيّة للخصم[2].

بدأ بطرس خطّته بترجمة القرآن الكريم* إلى اللّاتينية،موكّلا هذا العمل إلى راهبين كانا مُلمين باللغة العربية،أحدهما إنجليزي يدعى "روبرتوس كيتينسيس" والآخر يدعى "هيرمان الدّاليماتي" اللّذان وافقا على ترجمة الكتاب مقابل مبلغ مغرٍ من المال [3]، هذه الترجمة التي حملت في طيّاتها أخطاء جسيمة معنى ومبنى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (التّوبة 32)

1- الحسينيّ، عبد الله بن محمّد بن الصّديق، الكتر الثمين في أحاديث النّبيّ الأمين،عالم الكتب،بيروت،ط.02، 1403هـ/1983م،ص230،رقم الحديث 1427.

2- ينظر،فوك، يوهان، الدراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، نق:سعيد حسين بحيري، محسن الدّمرداش، زهراء الشرق القاهرة ، ط.1، 2006، ص 75.

*سيأتي مبحث حول ترجمة القرآن الكريم وبيان مناهج المستشرقين في ذلك.

3- ينظر،فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ص 17.

توسّعت فكرة التّبشير في القرن الثالث عشر الميلادي من خلال نشاط جماعة الرّهبان الدّومنيكان والفرنسيسكان بوصفهم وعّاظا رحالة ،ومحاربة الكفر بوسائل الوعظ والإفهام والأحاديث الدّينية تطلّب الاهتمام بمعارف الخصم والوقوف على حججهم [1] ،وأمّا دليلهم إلى ذلك فهو اللغة العربية.

ويتحدّث المستشرق الألماني"رودي باريت" (Rudy Barrett) عن مدى توافق الاستشراق مع التّنصير في القرن الثّاني عشر وما بعده،حديثا صريحا عن الجهود المبذولة لدراسة العربية: « وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التّبشير،وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدّين المسيحيّ» [2]، وإذ ذاك كان لزوما على المنصّرين معرفة اللغة العربية لتحقيق أهدافهم الكامنة في:

1 -فهم أفكار خصومهم عن طريق التّرجمة، فتنافسوا في ترجمة القرآن، والسّيرة النّبوية الشّريفة غير أنّ هذه التّرجمات كانت أسيرة الهوى لا ترقى إلى مستوى الموضوعيّة.

2 -بثّ ونشر أفكارهم، من خلال ترجمة الإنجيل إلى العربية [3]، حيث يقول أحدهم: «لابدّ من إحلال الإنجيل محلّ القرآن الكريم في أيدي المسلمين وترجمته إلى لغاتهم ولهجاتهم المحلّية في عالمهم

1- فوك، يوهان، الدّراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، ص87- بتصرّف.

2- نقلا عن، عمايرة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية العربية،ص26.

3- ينظر، عمايرة إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية العربية ،ص27.

الإسلاميّ كافّة، مع التّركيز على القارّة الإفريقية، ومنع إذاعة القرآن الكريم وتحفيظ الإنجيل عبر البثّ الإذاعيّ التّنصيريّ الموجّه للعالم الإسلاميّ»[1].

وعن هذين هدفين يتحدّث يوهان فوك:«كان أوّل من اعتنى باللغة العربية علماء الكنيسة المسيحيّة الذين بذلوا جهدهم في درس لغة المسلمين غير أنّ هدفهم لم يكن علميّا، بل إنّهم أرادوا الرّد على الإسلام على أساس تراجم لاتينية للقرآن و"هداية" المسلمين بواسطة تراجم عربية للإنجيل والكتب الأخرى،أي أنّ غرضهم كان بعيدا عن تحقيق عادل ودراسة علميّة»[2].

أمّا الرّاهب "بطرس المبجّل" فقد كشف عن مخطّطه التّنصيريّ بتوجيهه خطابا للمسلمين«إنّي لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسّلاح إنّني أوجّه إليكم كلمات فقط، بغير عنف وبتعقّل وهدوء ومن غير كراهية وحبّ كبير» [3] وفي مقاله في تبرير إقدامه على ترجمة القرآن الكريم: «وهذا هو الشّأن في العمل الذي أقوم به هنا،فإذا لم يكن بهذا الطّريق إعادة المسلمين إلى المسيحيّة الصّحيحة،فلا أقلّ من أن يستفيد العلماء المسيحيّون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيّين السرّج الذي يمكن أن تغيّر هذه الصّغائر عقيدتهم»[4]، وهكذا تمثّلت أهدافه في:

1 -تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم.

2 -حماية بني جلدتهم من الدّخول في الإسلام.

1- خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا ع182، 1418هـ،ص128.

2- نقلا عن، خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ص27.

3- عمايرة، إسماعيل، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، بحث في الجذور التّاريخية للظّاهرة الإستشراقية، دار حنين، ط.2، 1412هـ/1992م، ص28.

4- المرجع نفسه، ص29.

3 -إيقاف مدّ الدّين الإسلاميّ.

ومن أولئك الذين حذوا حذو "بطرس" واتّخذوا من اللغة العربية سلاحا للتّنصير نذكر:

رايموند لولوس (Raymond Lulle): مبصّر كرّس نفسه للتّنصير، ورأى بأنّ الإسلام هو أخطر خصم على الكنيسة، وأدرك أنّ المسلمين لم يكونوا دونه في حرارة الإيمان، وأنّ الذي يريد إقناعهم بصحّة العقيدة المسيحية لابدّ له من الاستعداد لحوار مرهق ومشادّات كلامية حامية [1].من مؤلّفاته : «المنطق في الحوار مع الكفرة» Petitio pro conversione infidelium الذي قدّمه سنة 1294 للبابا كولستين الخامس Coelestin V، أوصى فيه بتعليم اللغة للمبشّرين[2].

روجر بيكون :(1214هـ/1294م)، يعدّ من أهمّ الدّعاة المتحمّسين الذين نادوا بضرورة تعلّم لغات المسلمين بهدف التّنصير، لتوسيع رقعة العالم المسيحيّ، وقد ذهب مذهبه وآزره **رايموند لول Raymond lull** (1235-1316م)، وهذا العمل يتم وفق شروط ثلاثة[3]:

1 -معرفة اللّغات الضرورية.

2 -دراسة أنواع الكفر وتمييزها عن بعضها البعض.

3 -دراسة الحجج المضادة للردّ عليها.

1- ينظر،فوك، يوهاك، الدّراسات العربية في أوربا، ص91،92.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص 96.

3- ينظر، زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ص28.

فلم يكن للرّهبان المنصّرين تحقيق أهدافهم وبلوغ غاياتهم إلّا عن طريق تعلّم اللغة العربية لغة القرآن والمسلمين «ومن هنا جاءت الدّعوة لتعلّم اللغة العربية للإطّلاع على الثقافة المدوّنة بها بُغية تمثّلها أوّلا، واستيعابها ثانيا، ومحاربة الإسلام بها ثالثا» [1]، كونها المفتاح الرّاشد لولوج الحضارة الإسلاميّة، والتّعرّف على مبادئ ومعتقدات المسلمين حتى يمكنهم التّصدّي لهم والرّد على أتباعهم.

وبمقتضى ما سبق أقرّ مجمع فيينا المنعقد سنة "1311م" بضرورة تعيين رجال كاثوليك في كلّ جامعة من الجامعات الخمس وهي: «باريس،أكسفورد،بولونيا،سلمنكا،والجامعة البابوية»،معلمين لليونانية والعبريّة والعربية والكلدانية [2] ما يؤكّد على ضرورة الأخذ بناصية اللغة بالنّسبة للمنصّرين حتى يتمكّنوا من مناظرة علماء المسلمين، والرّد عليهم بالأدلّة والبراهين.

واستغلّ المنصّرون البعثات التّجارية لغاياتهم «فبينما كان التّاجر يسعى في تحصيل النّفع المادّي في علاقاته بالشّعوب الشّرقية،إذ بالمبشّر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثا تارة أخرى، وقد امتلأ حماسا للذّهاب إلى كلّ العالم والتّبشير بالإنجيل وأدرك أنّ مسعاه هذا يحتّم عليه تعلّم لغة الآخر وطرق تفكيره،خاصّة بعدما وجد الدّاعي المسيحيّ نفسه وجهاً لوجه أمام دين تبشيري آخر هو الإسلام» [3]، ارتبط المنصّرون بالتّجارة على سبيل التّمويه والتّضليل لإخفاء مقاصدهم الحقيقية.

1- الحاج،ساسي سالم،نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الاسلاميّة ،ج.1،ص45.

2- ينظر،فوك، يوهان،الدّراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين،ص97.

3- عمايرة،إسماعيل أحمد،المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللّغوية،ص25 بتصرّف.

وقد تمخّض على كلّ ما سبق إنشاء أوّل كرسيّ للّغة العربية في "الكوليج دي فرانس " بباريس سنة "1539م" والذي تولّى إدارته **جيوم بوستل Guillaume Postel**[ت 1581]، الذي أسهم في إثراء دراسة اللغات والشّعوب الشرقية في أوربا، وكان يفتخر باستغنائه عن المترجمين عند تنقله بين البلدان، وتظهر له قيمة معرفة اللغة العربية في «..أنّها تفيد بوصفها لغة عالمية في التّعامل مع المغاربة والمصريّين والسّوريين والفرس والأتراك والتّتار والهنود، وتحتوي على أدب ثريّ، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كلّ أعداء العقيدة النّصرانية بسيف الكتاب المقدّس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها وعن طريق معرفة لغة واحدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كلّه»[1]. وبقي الهدف المنشود بالنّسبة لهم هو توسيع حدود الكنيسة، ونشر المسيحيّة في أوساط المسلمين، وأصبح مصطلح "مستشرق" يدلّ على طابع كنسيّ «والمدلول الأصلي لاصطلاح "مستشرق" كان سنة "1638م" أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية»[2] و تجلّى لنا الاستشراق في زيّ التّنصير وكأنّهما قرينان لا يستغني أحدهما عن الآخر.

كما عملوا على إنشاء مدارس غربية تستقطب طلابا عربا جاؤوا من مختلف بقاع الأرض لنفث سمومهم التّنصيرية، ومن ثمّ التّشويش على أفكارهم ومعتقداتهم،فهم يرون بأنّ« المدارس أقوى قوّة لجعل النّاشئين تحت تأثير التّعليم المسيحيّ،وهذا التّأثير يستمر حتّى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم» [3]، فهم لا يتوقّفون عند هذا الحدّ بل يجدّون لتولّي هؤلاء

1- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص30.
2- ابن شنب، محمّد،سلسلة محاضرات الملتقى الدّولي محمّد بن شنب والاستشراق، ص374.
3-شاكر،محمود،أباطيل وأسمار،ص202.

الطّلاب رئاسة بلدانهم فينتقل التّأثير من الفرد إلى المجتمع بكامله،ويقودون العالم الإسلاميّ على مراد الغرب.

ويصرّح أحدهم «يجب أن نشجّع إنشاء المدارس،ونشجّع على الأخصّ التّعليم الغربيّ،إنّ كثيرين من المسلمين قد زُعزِع اعتقادهم حينما تعلموا اللّغة الإنجليزية،إنّ الكتب المدرسية الغربية،تجعل الاعتقاد بكتاب شرقيّ مقدّس أمرا صعبا جدّا» [1]، فهم يركّزون جهودهم ومساعيهم في حذاقة وذكاء حتّى تجد أفكارهم إلى قلوب الآخرين سبيل القبول والإعجاب وينبعث فيهم دافع النّحو نحوهم.

ويتأكّد لنا دائما أنّ «الاستشراق لم يكن حركة نزيهة منذ البداية،إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النّصرانية» [2] فالعامل التّنصيري واضح وجليّ لا غموض فيه، يهدف إلى نشر المسيحية وتبليغ دعوتها، وفي المقابل تصوير الإسلام بما يثبت فضل المسيحية عليه ، وفي الجانب الآخر أصبح «المسيحيّون الذين يتكلّمون العربية من أهل اسبانيا يتمتّعون بنفوذ قويّ» [3].

ونشأ عن اهتمام المستشرقين باللّغة العربية وضع دراسات مقارنة بين الإسلام والنّصرانية،كما فعل "هنكلمن" (Henkelman) (1652-1695م) الذي حاول عرض

1- شاكر، محمود،أباطيل وأسمار ،ص202.

2- الدّيب، عبد العظيم،المنهج عند المستشرقين،د.ط، ص 345.

3- عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية، ص21.

شيء من حياة المسيح عليه السّلام، وحياة الرّسول محمّد ﷺ، مع ترجمة نصوص من القرآن الكريم، وأخرى من التوراة، ونشر ذلك كلّه بالعربية في كتاب واحد ليطّلع عليه القارئ العربي [1]، ذلك أنّ «العالم الغربيّ لن يدّخر وسعا في تنصير المسلمين!!... ولن يطيب نفسا حتّى يُرفع الصّليب في سماء [مكّة المكرّمة]، ويُقام قداس "الأحد في المدينة المنوّرة"» [2] و كلّ هذه الجهود في سبيل خدمة أعمالهم التّنصيرية التي حالت دون نجاحها وتحقيقها -اللّغة العربية- التي شكّلت جدارا سميكا، وسدّا منيعا يصعب ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال 30).

4 -الدّواعي الاستعماريّة:

إذا كان رقيّ أيّ لغة من اللّغات عنوان رقيّ أمّتها النّاطقة بها، فانحطاطها كذلك انحطاط لأمّتها، أمّا ثروتها العلميّة والمعرفيّة فعنوان مجدها وسُؤددها «وليس في العالم أمّة عزيزة الجانب تقدّم لغة غيرها على لغة نفسها»[3]، ولا يخفي على ذي بال أنّ العدوّ الأساسي للغرب هو الإسلام.

ولأنّ أحكم عروة كانت تربط العالم الإسلاميّ، على اختلاف ألسنته، وأجناسه في قارتيّ آسيا وإفريقيا، هي لغة العرب التي بها نزل القرآن، فإنّ التعليم الذي فرضه الاستعمار الغازيّ على

1- ينظر، عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات اللغوية، ص27.
2- خضر، عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ص177.
3- الرّافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ج.03، ص30.

العالم الإسلاميّ اعتمد أوّل ما اعتمد على محاربة اللّغة العربيّة أينما كانت وحيثما وجدت [1].يقصد بذلك تفتيت أركان الهوية لزعزعة مقوّمات الانتماء .

ولأنّ شأن اللّغة عظيم «وما ذلّت لغة شعب إلّا ذلّ، ولا انحطّت إلّا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبيّ المستعمِر لغته فرضا على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها،فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد أمّا الأوّل فحبسُ لغتهم في لغته سجنا مؤبّدا،وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها،فأمرهم من بعدها لأمره تبع» [2]،يذكّرنا حديثه هذا بقوله تعالى في سورة النّمل (الآية34): ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ ﴾ وكذلك فعل المستعمِر بالبلدان العربيّة الإسلاميّة.

ما فتئت القوّات الاستعمارية تعمل على محاربة اللّغة العربية الفصحى بمُختلف الوسائل لتحقيق هدف سحيق محيق هو إبعاد المسلمين عن مصادر التّشريع الإسلاميّ،وعلى رأسها القرآن الكريم بشتّى الوسائل الممكنة، من ذلك فرض المستعمر لغته كلغة إجباريّة في المدارس،وذلك منذ المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الجامعية واعتبروها اللّغة الأولى في البلاد،أمّا العربية فتهمل بحجّة أنّها

1- شاكر، محمود، أباطيل وأسمار، ص204.

2- الرّافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ص23.

لغة وطنيّة معروفة لا حاجة لتعلّمها [1] وفي هذا الصّدد فإنّهم يمزجون بين العامية والفصحى بغرض إنشاء جيل جديد متقن للّغة المستعمِر،مضطرب في لغته الأصل يرطن فيها كما ترطن الأعاجم.

أمّا الخطوة الثانية فتتمثّل في جعل لغة المستعمِر لغة دوائر الحكومة، ودواوين الدّولة وحرمان الموظّف من وظيفته ما لم يتقن لغة المستعمِر، وهذا الإكراه يصبو إلى صهر الشعب المغلوب صهرا تامّا، وسلخه عن مبادئه ومقوّماته،إن لم نقل استئصاله من جذوره.

وأمّا الاستشراق فلم يتأخّر عن تقديم خدماته للحركات الاستعمارية التي أحسّت ب«حاجة كبيرة ومُلحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لأيديولوجيا الخصوم»[2]، فقد كان عليه تمكين الدّول المستعمِرة من دراسة نفسيات الشعوب، وفهم تيارات فكرها وذوقها ودينها لتذليل عملية السّيطرة عليها، فمثّل الرّائد الأساسيّ للفكر الاستعماريّ.

خدم الاستشراق الحركات الاستعمارية خدمات جليلة فلم يكتف ب«مجرّد إضفاء طابع التّبرير العقليّ على المبدأ الاستعماريّ...فقد كان التّراث الاستشراقيّ بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشّرق وأوديته من أجل فرض السّيطرة على الشّرق، وإخضاع شعوبه وإذلالها»[3].

ولم يدّخر المستشرقون جهدا في خدمة الاستعمار فقد شكّلوا المحور الذي يوجّه مسيرته نحو عالم الشرق الذي عملوا على صهر مبادئه وقوميّته وحاولوا جهدهم إذابته في روح المستعمِر حتى

1- ينظر، الميداني،عبد الرّحمان حسن حبنكه، أجنحة المكر الثلاثة، ص355.
2- جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت ، تراث الإسلام،ج.1،ص33.
3- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص50.

لا يجد أهله حرجا في أن يكون ذليلا مستحقرا،مسلوب الذّات والوطن والثّروات،مترو ع الأنفة والكرامة،وعلى هذا يفرض المستعمِر لغته لتكون لغة التّعليم في المستويات كلّها.

وقد نجح في بعض البلدان العربيّة الإسلاميّة التي أصبحت أجيالها لا تتقن إلّا لغة مستعمريها بل وابتعدت عن لسانها العربيّ الأصيل ابتعادا كبيرا،حتّى أنّ الواحد منهم لا يُحسن تلاوة سورة من سور القرآن الكريم، أو قراءة حديث للنّبيّ ﷺ ،أو حتّى كتاب باللغة العربية مهما كانت عباراته سهلة طيّعة [1]. وصدّق الرّافعي حينما قال: «فاللّغات تتنازع القوميّة،ولهي-والله- احتلال عقليّ في الشعوب التي ضعفت عصبيّتها» [2]، فهي تمثّل محور الصّراع على البقاء الذي لن يكون إلّا للأقوى والأجدر بذلك.

ويمكن تلخيص خطوات المستعمِر ضدّ الشعوب المستعمرَة في النّقاط الآتية:

1 -فرض التّعليم بلغة المستعمِر في مختلف المراحل ولجميع المواد.

2 -فرض لغة المستعمِر كلغة رسمية للبلاد، أمّا العربية فهي اللّغة الثانية، وهذا ليس إلّا تمهيدا لمحوها ودحضها.

3 -الاستهانة باللّغة العربيّة وازدراؤها بُغية التّنفير منها وتجفيف معِينها، وبثّ روح الكراهية حِيالها، وفي المقابل تزيين وتنميق لغة المستعمِر والتّوجيه لعلومها وفنونها، وربط المنافع الاقتصادية والعلميّة بها.

1- ينظر، الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكه، أجنحة المكر الثلاثة، ص 355.

2- الرّافعي،مصطفى صادق،وحي القلم،ج.03،ص30.

4 -جعل لغة المستعمِر لغة رسمية لدوائر الدّول المغلوبة ودواوينها.

5 -حصرُ الوظائف والأعمال على الذين يتقنون لغة المستعمِر [1]، وأمّا الاستشراق فلا يعدو كونه دليلا مساعدا للمستعمِر يطوّع له السّبيل كي يلتفّ على الشّرق ويتسلّط عليه.

ويؤكّد "الرّافعي" على استهداف المستعمِر للّغة فجاء على لسانه «لا جرم كانت لغة الأمّة هي الهدف الأوّل للمستعمرين، فلن يتحوّل الشعب أوّل ما يتحوّل إلّا من لغته، إذ يكون منشأ التّحوّل من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه» [2] فاللّغة هي الرّابط القويّ والمتين الذي يربط الشّعوب بماضيها وأمجادها وتراثها.

ويبرّر" أنور الجندي" العداء السّافر للّغة العربيّة كونها روح الأمّة ومزاجها، والقضاء عليها قضاء على روح الأمّة وإفسادها، فحيثما كان الإسلام كانت اللّغة العربيّة،من أجل ذلك عمد إلى تمجيد اللّغة العربية، والمعاهد الإسلاميّة كالأزهر [3]. ذلك أنّ فكر الأمّة مرتبط بلغتها وضرب المسلمين في لغتهم-لغة القرآن الكريم-التي بنوا بها بلادهم وشيّدوا أمجادهم وحضارتهم،ضرب لأهمّ مقوّمات الأمّة، فقد تعرّضت للهدم من طرف الاستعمار الظّاهر والخفيّ وحروبه المعلنة ومخططاته الهادفة لتمزيق هذه اللّغة المجاهدة وإزاحتها من واقع أمّتنا.

1- ينظر،الميداني،عبد الرّحمان حسن حبنكه،أجنحة المكر الثلاثة، ص356، وللتوسّع، ينظر أيضا، نجا فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص212.

2- الرّافعيّ، وحي القلم،ج.03، ص29.

3- ينظر، الجندي، أنور، التّبشير والاستشراق والدّعوات الهدّامة، موسوعة مقدّمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلاميّ متكامل، دار الأنصار، القاهرة، د.ط، د.ت، ص110.

ولعلّ ما يخطّطه المستعمِر من مجهودات جبّارة لهدم اللّغة العربيّة وتقويضها لدى الشّعوب المستعمرَة يُبرّر ما تملكه اللّغة من خطورة باتت تهدّد مصالح الاستعمار بشتّى أنواعه،فهو يعمل على محاربتها ودحضها بشتّى الطّرق والأساليب،وذلك لأنّ نكوس اللّغة يتبعه بالضّرورة نكوس أمّتها في مبادئها وقيمها وتراثها الذي لا يمكن حفظه إلّا باللّغة، فكانت الخطة الأبعد مدى والأعمق أذى .

محاربة الاستعمار الفرنسي للعربيّة في الجزائر: -أنموذجا-

اتّبعت فرنسا في معركتها مع اللّغة العربية في الجزائر سياسة الكيل بمكيالين.

أ -سياستها مع الجزائريّين:

بينما كانت فرنسا تحارب هذه اللّغة عند أهلها فتحرم أبناءها من تداولها وتدارسها بغرض هجرانها ومحوها، وذلك بتشويهها مُدّعية احتقارها بعدم كفاءتها في تحصيل العلوم ومجاراة العصر، بهدف تحطيم البنية التّحتيّة للشّخصية الجزائرية الكامنة في لغته،لغة دينه وأجداده لتنشئة جيل جديد بعيد عن أصوله، جاهل بتراثه وثقافته، ضعيف الشّخصية، فاقد الهويّة، مستعينة في ذلك بالدّراسات الاستشراقية التي كانت«عونا لإخضاع الأراضي المستعمرَة، ووسيلة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية[1]» من خلال تصويغ هذا الاستعمار على أنّه لصالح الدّول المستعمرَة، فمنذ احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر وهو يعمل على «محو الإسلام لأنّه الدّين السّماوي الذّي فيه من القوّة

1- حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام،استعراض للعداء التّقليدي للإسلام في الغرب،تر.مازن مطبقاني، دار الوعي للنّشر والتّوزيع، ط.1، 1434هـ ، ص.68 .

ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللّغة العربية لأنّها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنّها دعامة الإسلام»[1] وقد سلك إلى ذلك الطرق كلّها ظاهرها وباطنها وخبيثها.

فلم يكن غرض فرنسا من استعمار الجزائر نهب الثّروات، واغتصاب الأراضي فقط، بل تعدّاه إلى فرنسة العقل العربيّ الجزائريّ، فسلكت فرنسا إلى ذلك كلّ سبيل وسعت كلّ مسعى، شمل كلّ الميادين بوضع برامج تعليمية تنسجم وأغراضها للسّيطرة على هذا الشعب وتضليله وتجهيله من أجل مسخ معالم هويته وتفتيت أركانها، فجاءت خطّتها على النّحو الآتي:

1 -منع استعمال اللّغة الفرنسية منعا باتّا في المجالات الرّ سمية وفرض الفرنسيّة بديلا عنها فالاستعمار يرى: «أنّ الجزائر لن تكون فرنسية فعلاً إلّا إذا أصبحت لغتنا (الفرنسية) هي السيّدة وانتشرت فيها الفنون والعلوم التي شرّفت بلادنا[2]».

2 -غلق الكتاتيب القرآنية، ومكاتب التّعليم الدّيني العربيّ والضّن بالرّخص، واضطهاد المعلّمين والتّضييق على العلماء والمرشدين بموجب قرار (08 مارس 1938م)[3]، والذي ينصّ على اعتبار اللّغة العربيّة لغة أجنبية في الجزائر، محظور تعليمها في المدارس سواء كانت حكومية أم شعبية.

3 -تأليف الكتب المدرسيّة باللّهجة العاميّة عند اقتضاء الضّرورة وضع كتاب باللّغة العربية[4].

1- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار البشير الإبراهيمي، ج.5(1954 – 1964) دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997، بيروت، ص151.
2- سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج.4، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1996م، ص26.
3- ينظر، عبد الحميد بن باديس،آثار الإمام،مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية،ج.6،ط.1، 1415هـ/1994م، ص298 .
4- ينظر، عفيفي أحمد، اللّغة وصراع الحضارات، ص 22.

4 -استلاء الإدارة الفرنسيّة على مؤسّسات التّعليم العربيّ في الجزائر وتحويلها عن أغراضها،حتّى يقول أحدهم: «لقد أطفأنا الشّموع (وهو يعني المدارس) التي جئنا لنضيئها»[1] وهاهو حاكمهم ينادي بأعلى صوته «يجب أن نزيل القرآن العربيّ من وجودهم،ونقتلع اللّسان العربيّ من ألسنتهم،حتّى ننتصر عليهم»[2].

وأمّا الفرنسية فيحثّون على تعلّمها وتعليمها بل ويخصّصون الجوائز القيّمة لناشريها «علّموا لغتنا وانشروها حتّى تحكم الجزائر فإذا حكمت لغتنا حكمناها فعلا» [3] وهذا ما يؤكّد طبيعة هذا الصّراع اللّغويّ، وهذه الدّعوة المتسلّطة التي تصرّ على اجتثاث مقوّمات الهوية .

بلغ هذا الصّراع «درجات من القوّة والضّعف حسبما شاء الاستعمار،وقد وصل ذلك أقصى درجات العنف في الجزائر حيث أبيدت اللّغة العربيّة كلية،و لم تعد تمثّل إلّا حلقات صغيرة من المناهج باعتبارها لغة أجنبية،أمّا اللّغة الرّسمية الأساسية فهي الفرنسية» [4].لأنّ القضاء على اللّغة العربية قضاء على الوحدة العربية وتمزيق للمبادئ الإنسانية في أبعادها الغائرة،وبالتّالي تأمين مصالح الاستعمار الذي «ألّح عليها (العربية) عن قصد وتعمّد حتى كاد يزهق روحها، لإيقانه بمبلغ تأثيرها

1- سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج04، ص43.
2- محمّد إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل،الكلمة للنّشر والتّوزيع، ط.1، 1421ه/2000م، ص59.
3- عفيفي،أحمد،اللّغة وصراع الحضارات،ص23.
4- الجندي،أنور،معالم الفكر العربي المعاصر،مطبعة الرّسالة،د.ط،ص204.

في تثبيت الرّوابط بيننا»[1] وقد أوشك أن يبلغ مبتغاه لولا وعي الشعب الجزائريّ وإدراكه أبعاد هذا الصّراع.

واكب الاستشراق الحركات الاستعمارية في كلّ أدوارها، وأصبحت آراء المستشرقين الأساس القويم الذي تحذو حذوه،وتسير وفقه فهي تعمل على «الفهم في بعض الحالات من أجل السّيطرة والتّلاعب، وأحيانا دمج ما يعد بوضوح عالما مختلفا»[2].

ما انفك المستعمِر يحارب العربية على أنّها عقبة ومرجعية وتخلّف، وأنّه لا سبيل إلى الارتقاء والسّمو إلّا باحتقارها وازدرائها وبالتّالي البحث عن بديل يتمثّل في تبنّي قشور الحضارة الغربيّة التي إن تمّ لها ذلك أعادت صنعهم في مصانعها الفكريّة في جامعاتها لدى مستشرقين همّهم الوحيد غسل الأدمغة العربية المسلمة وتشكيلها في قوالب تتماشى وأهدافهم ومخطّطاتهم العدائيّة،تتعارض وأصولنا العربية،ومبادئنا الإسلامية،ثمّ لا يلبثون يرجعونهم إلينا أشباه عرب،لسانهم عربيّ، وروحهم غربيّة، فهم مبرمجون للتّنديد والاستخفاف بمقوّمات الأمّة الإسلاميّة بشتّى الوسائل.

واجه المستعمِر مقاومات عنيفة ضدّه تجلّى لنا أنّ «أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسيّ في المغرب هي اللّغة العربيّة، بل العربية الفصحى بالذّات فهي التي حالت دون ذوبان

1- الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار البشير الإبراهيمي، ج.5، ص 294

2- حسين،آصف، صراع الغرب مع الإسلام،ص68.

المغرب في فرنسا، وهي التي بلورت الأصالة الجزائرية،ومثّلت عاملا قويّا في بقاء الشّعوب العربية»[1].

وأمّا الجانب الجزائريّ فقد كان واعيا بالسّلاح الجديد الذي صُوِّب نحوه يضربه في أعزّ عزيز عليه،وأقدس مقدّس لديه،وهو لغة دينه وقرآنه منشأ هويته وكيانه،وها هو "عبد الحميد بن باديس" ينبِّه لخطورة هذه المعركة قائلا: «إنّ الدّولة الجزائريّة لم تزل بالرّغم من استعمارها ما دامت تحافظ على لغتها العربية»[2].

جاهد"عبد الحميد بن باديس "رئيس جمعية العلماء المسلمين جهاد المستميت، ومن جملة ما طالب به وعمل على تحقيقه: «تعتبر اللّغة العربية رسمية مثل اللّغة الفرنسية، وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسميّة وتعامل صحافتنا مثل الصّحافة الفرنسيّة وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرّة مثل اللّغة الفرنسيّة» [3]، وكان يحثّ طلّابه على التّحدّث بالعربية الفصحى وبيّن لهم قوّتها قائلا:«إنّ الاستعمار حاول مرارا عندنا أن يوهم النّاس بأنّ اللّغة الفصحى لم تعد صالحة في هذا الزمن،فقرّر تعليم العامية في برامج مدارسه بدلا من الفصحى،ولكنّه ما لبث أن فشل في محاولته، ولاسيما بعد أن رأى الفصحى قد أصبحت لغة الصّحافة والخطابة والمدرسة فعدل عن خطّته وأبقى عليها في مدارسه الرسميّة»[4].

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص.
2- المرجع نفسه، ص304-بتصرّف.
3- عبد الحميد بن باديس،آثار الإمام،ج.6، ص381.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«فلم تستطع فرنسا في الجزائر، بعد قرن ونصف من الاحتلال، "استيطان"وجدان الجزائريين، لقد ظلّوا، داخل لغتها، خارج سلطة مخيالها» [1].وإذا كانت سياسة المستعمِر على هذا النّحو في معاركه مع اللّغة العربيّة عند أبنائها الجزائريّين، فهل سلك السّياسة نفسها مع غيرهم من الأوربيّين؟

ب –سياستها مع الأوربيّين:

على العكس من سياستها مع الجزائريين تماما، صبّت فرنسا جلّ جهودها في تعليم الأوربيّين النّازحين إلى الجزائر اللّغة العربيّة،وقد كان رِهانها على جهود مستشرقيها ودورهم بقدر رِهانها على قوّة أسلحتها وجيوشها.

بدأت المعرفة الفرنسية للّغة العربيّة في الجزائر بتجنيد فرقة من المترجمين لمرافقة الحملة، وسمّيت «فرقة المترجمين العسكريّين» تكوّنت من قساوسة ومدرّسين وتجّار... وبعضهم من تلاميذ سلفستر دي ساسي * Silvestre De Sacy عميد مدرسة اللّغات الشرقية بباريس، والبعض الآخر

1- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء، تقديم: بنكراد سعيد، مستقبل اللّغة العربية،نهضة الشرق العربيّ وموقفه إزاء المدنية الغربية، وزارة الثقافة والفنون، قطر، 2013، ص18.

*- **البارون دي ساسي .De Sacy S (1758–1838)**: ولد في باريس، درس العربية والعبرية والفارسية والتركية ولما بلغ32 من عمره كان في طليعة المستشرقين العالميين، ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب (1785)، ولقّب بالبارون بأمر إمبراطوري (1813) جزاء جهوده وخدماته، يعتبر منشئ علم الاستشراق بأوربا،من مؤلّفاته قاموس عربيّ–فرنسيّ،شجّع إنشاء كرسيّ العربيّة في الجزائر الذي تولّاه عدد من تلاميذه،على رأسهم بريسنيه bresnier ،لكنّه لم يزر الجزائر، من آثاره: ثلاث مذكرات قدّمها إلى المجامع العلمية عن مصر منذ الفتح الإسلامي إلى الحملة الفرنسية، والتشريع العربي. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص807. ينظر، يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص536.

مترجمون شرقيون أمثال زكّار * الذي تعاون مع "دي ساسي " على ترجمة البيان الفرنسيّ للجزائريّين قبيل نزول الحملة[1].

وبعد الحملة احتاج المستعمِر إلى تعلّم العربيّة لأنّها الوسيلة المثلى للتّعرّف على البلاد وطبائع أهلها، ويصرّح بذلك أحد المستشرقين «لقد كان على "السّادة الجدد" (يعني الفرنسيين) أن يستعملوا اللّغة العربيّة في الإدارة وفهم السّكان،ولا يمكن مطالبة المنهزمين (يعني الجزائريّين) بتعلّم لغة الغزاة فورا ، بالإضافة إلى أنّ نشر اللغة العربية بين الضّباط والموظفين كان يعتبر وسيلة قويّة للتّقارب بين الأعراق (races) التي يبعدها عن بعضها الأصل والدّين والعادات» [2] فدراستها المعمّقة تسمح للمستعمِر التّقرّب أكثر من الشّعب الجزائري«الذي دعينا ليس فقط لحُكمِه ولكن لإدخاله بالتّدرّج إلى عالم أفكارنا وحضارتنا» [3] ثمّ يضيف «أنّ دراسة أدب الجزائريّين سيؤدّي إلى معرفة عبقريّتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثّر، ومعرفة كتبهم في العلوم والتّاريخ والفقه والدّين، ومن ثمّ معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم» [4].

ويبيّن هرخرونيه (Hrkhrunet) أهداف الاستشراق الخادمة للاستعمار ف«كلّما كانت العلاقة بين أوربا والشّرق المسلم حميمة،كلّما كان ذلك أدعى لسقوط الدّول الإسلاميّة في

* جان شارل زكّار،ولد بدمشق سنة 1789 ثمّ أصبح قسّيسا في إحدى كنائس مرسيليا، وعند الإعداد لحملة الجزائر سمّي مترجما مع بقائه على وظيفته الدّينيّة.

1- ينظر،سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج.4،ص23.

2- المرجع نفسه،ص24.

3- م.ن،ص25.

4- م.ن ، ص25.

القبضة الأوربيّة، وممّا يهمّنا نحن الأوروبيّين أكثر أن نتعرّف على الحياة الفكريّة،والتّشريع الدّيني، والخلفيات المفاهيمية للإسلام» [1] فالمستشرقون يعملون على تذليل الصّعوبات وتعبيد الطّرق للمستعمِر كي يسهل عليه غزو الأفكار قبل غزو الأمصار والاستحواذ على الثّقافات الإنسانية قبل الثّروات المادية.

فتحت هذه الحملة على الجزائر للمستعمِر فضاءا رحبا ومجالا جديدا وهو التّنقيب في التّاريخ الجزائريّ حتى يُبرّر التّواجد الفرنسيّ فيها،وطبقا لهذا تمّ تنصيب لجان عملية les comités scientifiques تتكوّن من أثريين ومؤرّخين وجغرافيّين ولغويّين للبحث والتّنقيب، وقد أشار **بوري دوسان فنسان** Bory De Saint Vincent إلى أنّه يجب إرسال علماء متخصّصين ذوي مهارات كبيرة في استعمال اللّغة العربيّة لأنّها أداة مهمّة للبحث عن تاريخ الجزائر من أجل إعطاء صورة واضحة لا غموض فيها[2].

أوّل من كُلِّف بتدريس الأوربيّين العربيّة في الجزائر هو "**جوني فرعون**" من مواليد 1803م بالقاهرة، وقد ألّف كتبا عديدة لتلاميذه منها كتاب النّحو العربيّ وهو مكتوب بالعامية وعنوانه "النّحو الابتدائي للعربيّة الدّارجة أو الجزائرية لاستعمال الفرنسيين" صدر سنة 1832م وُصفت دروسه بالنّاجحة حسب مصادر فرنسية.ورغم الجهود الجبّارة التي قام بها لتدريس العربيّة للأوربيّين إلّا أنّه بقي عنصرا غريبا في نظر فرنسا،فعند تأسيس أوّل كرسيّ للّغة العربيّة بالجزائر chaise de

1- حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، ص69.

2- ينظر، بن شنب، محمّد، سلسلة محاضرات الملتقى الدّولي محمّد بن شنب والاستشراق المنظّم بولاية المديّة من07 إلى 10 ديسمبر 2014، شيكو للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2015م، ص333.

langue Arabe سنة 1832م، تولّى **بريسنيه Bresnier** المنصب كونه مستشرق مختّص وفرنسيّ أصيل[1].

قسّم **بريسنيه** دروسه إلى قسمين:الأوّل خاص باللّهجة الجزائرية مع تعلّم الحروف العربيّة والثّاني خاص بالرّاغبين في تعلّم الكتابة، ورأى أن يقضي الدّارس سنة كاملة في تعلّم الفصحى قبل دراسة العامية ليقينه بأنّها الرّابط الموحّد للأمّة الإسلاميّة ف« اللّغة العربية ليست وسيلة فرنسا للاتّصال بعالم الأهالي (الجزائريّين) فقط بل بالعالم العربيّ الإسلاميّ الأجمع»[2].

وممّا يجدر التّنبيه إليه أنّ جهود هذا المستشرق ما هي في الحقيقة إلّا تنفيذ لمخطّطات الإدارة الاستعماريّة،فقد جاء في رسالة المتصرّف المدنيّ بريسون Bresson «إنّ إنجاز الاستعمار colonisation يتوقّف على نجاح برينيه في مهمّته، وإنّ الحكومة لم تختره لذلك إلّا لثقتها فيه وتقديرها له وعليه أن يُثبت ذلك،كما عليه أن لا ينسى أنّ الدّرس الذي يلقيه في اللّغة العربيّة ليس درسا عاديا،لأنّه درس جاء بعد احتلال الجزائر فاكتسب بذلك أهمية سياسية ومنفعة عظيمة،وعلى "برينيه" أيضا أن يعمل على توسيع المعرفة في العربيّة الدّارجة وأن لا يقتصر في ذلك على لهجة مدينة الجزائر بل عليه أن يفعل نفس الشّيء مع لهجات التّل وقبائل زواوة وقبائل السّهول والجبال

1- ينظر،سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ص27،28.
2- المرجع نفسه،ص31.

عندما تستطيع فرنسا الوصول إلى هذه المناطق» [1]،مع العلم أنّ الا ستعمار الفرنسيّ حينئذ (1837 م) كان مقصورا على بعض المدن السّاحليّة .

وفي سنة 1846 م أحدث كرسيّ جديد للّغة العاميّة في الجزائر وكرسيّين آخرين في كلّ من وهران و قسنطينة[2]، وكان تدريس العاميّة باللّغة الفرنسية هو الوسيلة التي اتّبعها أساتذة الكراسيّ لدمج الأوربيّين مع الجزائريّين لمعرفة أفكارهم وحاجاتهم وأصبح إتقان العربيّة فيما بعد ميزة تعطي صاحبها الأفضليّة في التّوظيف في الجيش الفرنسيّ حسب إعلان وزارة الحربيّة 1853 م[3] .

لم يكن اهتمام المستعمِر بالعامية الجزائرية أقلّ جهدا من اهتمامه بالفصحى حتّى يتسلّل إلى أعماق الفكر الجزائريّ ،فها هو "ماشويل" Machuil الذي تولّى تدريس العامية الجزائرية يصرّح «لو لم نكن في الجزائر ولو لم تكن لدينا حاجة ملحّة للاتّصال بالأهالي عن طريق اللّسان لكنّا من الذين يؤيّدون البدء بدراسة الفصحى التي هي واحدة ،وهي نفسها بالضّبط في كلّ البلدان التي فيها القرآن هو القانون الدّينيّ» [4] على أساس أنّها لغة الدّين والعلوم والعامل المشترك بين بلدان العالم العربيّ والإسلاميّ جميعها.

1- سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج.4، ص.32.
2- ينظر، المرجع نفسه، ص 34.
3- ينظر، م.ن، ص37.
4- م.ن، ص 38.

وتعدّ الفترة (1880-1905م) بمثابة العصر الذّهبيّ للمستشرقين الفرنسيّين في الجزائر ، حيث انعقد المؤتمر الرّابع عشر للمستشرقين العالميّين في ربيع عام 1905م حضره ما يقارب خمسمائة شخص[1].

فالاستشراق بهذا المفهوم خطة استعمارية تهدف إلى معرفة الشعوب الإسلاميّة فكريا وعلميا وثقافيّا بغرض دراسة عوامل القوّة لديهم لإضعافها وشلّها، وإدراك نقاط الضّعف واغتنامها واستغلالها، ومن ثمّ إثارة الشّكوك والاضطرابات تمكينا لسياسة الغرب للسّيطرة على البلاد الإسلاميّة بأقلّ الجهود،وفي المقابل فإنّ الاستعمار لم يتنكر لخدمات المستشرقين التي بفضلها حقّق ما عجزت عنه الجيوش الجبّارة،فأجزل لهم العطاء وأغدق عليهم الأموال ورفع عنهم الحواجز.

وخلاصة القول: فإنّ الاستشراق بجميع اتّجاهاته في حاجة مُلحّة إلى تعلّم اللّغة العربيّة، فالذي اتّصل من المستشرقين بالحركات الاستعماريّة احتاج إلى اللّغة العربية للتمكّن من التّفاهم مع أهل البلاد المستعمرَة، ودراسة عاداتها،ورسم خططها، للتّغلغل فيها والسّيطرة عليها، وأمّا من كانت خلفياتهم ثقافية، دون أن تكون لهم طموحات استعمارية، فاحتاجوا أيضا لمعرفة اللّغة العربيّة للوقوف على معاني القرآن،والحديث والسّيرة، والتّاريخ الإسلاميّ، بُغية معرفة سُبل إدخال الثقافة البديلة إليه[2].

1- ينظر سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص43.
2- ينظر، عمايرة، اسماعيل أحمد،بحوث في الاستشراق واللّغة، ص385.

من أجل ذلك بُذلت الجهود الجبّارة وأنفقت الكنيسة والحكومات الأموال الطّائلة لإجراء دراسات عربيّة صارمة وجادّة في المجالات جميعها،وغدت العربيّة سلاحا أساسيا لجلّ المتخصّصين في الدّراسات الإسلاميّة.

المبحث الثّالث: معارك المستشرقين مع اللّغة العربيّة

تناولنا في المبحث الأوّل أهمّ الدواعي التي أدّت بالمستشرقين إلى الاهتمام باللغة العربية، وكيف وقّفوا أعمارهم وبذلوا الأنفس والأموال لخدمة أغراضهم غير أنّ دوافع هؤلاء المستشرقين إلى ركوب هذا المركب الوعر إنّما كان ضرورة تحمِلهم عليها خدمتهم لبني جلدتهم بما أوجبه عليهم الصّراع المحتدم قرونا بين الإسلام والمسيحية، فانطلقوا يكتبون ما يكتبون حاملين هموم هذا الصّراع ومسلكهم في ذلك الغاية تبرّر الوسيلة.

فما هي أهم المعارك التي خاضها المستشرقون ضدّ اللغة العربية؟ وما هي أهمّ الأساليب التي انتهجوها لتحقيق مآربهم وبلوغ مراميهم؟

1 -الدّعوة إلى العاميّة:

دعا الاستشراق إلى اتّخاذ العامية * لغة للعلم والفن والأدب، زاعما بأنّ الفصحى تهدم قوّة العرب الاختراعية، ما يستلزم تحرّرهم من سيطرتها. هذا التّحرّر الذي يأخذ بأ يديهم إلى التقدم والازدهار. و«ترجع بدايات الدعوة إلى اللغة العامية إلى أوائل القرن الثامن عشر عندما أخذت دول أوربا تنشئ المعاهد الخاصّة لتدريس اللهجات العربية العامية، والغرض من ذلك تخريج

*- العامية: ظهرت العامية في العصر الإسلاميّ و لم تكن موجودة قبل ذلك وقد بدأت العامية في الأمصار الإسلاميّة أوّل ما بدأت لحنا صرفا فكانت قريبة من الفصيحة في عوام الحجاز والمصريين، البصرة والكوفة حتى القرن الثالث يقول عنها الرافعيّ: "...وهذه هي اللغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطري وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقوّمة لها، وعادت لغةً في اللحن بعد إن كانت لحنا في اللغة..." ينظر، الرافعيّ، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج1، ص 158.

السّفراء والقناصل والجواسيس الذين يوفدون إلى البلدان العربية» [1] وذلك بعدما أعجزهم قوّة اللغة الفصحى وتوحّدها، أمام ضراوة الحرب الاستشراقية المغرضة.

جدّ الاستشراق لتحقيق غايته في تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم، فأسند تعليمها في البداية إلى أبناء العرب، على نحو:"محمد عباد الطنطاوي" مؤلّف كتاب "أحسن النّخب في معرفة كلام العرب" الذي قام بتدريس اللغة العربية ولهجاتها في جامعة "بطرسبرج" في روسيا، وأيضا: "ميخائيل الصّباغ" صاحب كتاب "الرّسالة التّامة في كلام العامّة والمناهج في أحوال الكلام الدّارج"، وقام أيضا بتدريس العربية ولهجاتها في باريس، وكان دافعهم إلى هذا العمل تسهيل دراس ة اللغة العربية على الطلاب الأجانب [2]. بيد أنّنا نرى أن التيسير والتسهيل لا يكونان بتعليم العامية، وإنّما يكون ذلك بعرض قواعد اللغة العربية عرضا سليما ميسّرا .

أمّا المستشرقون الذين ألّفوا كتبهم فيما بعد فقد فعلوا ذلك من أجل «القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها... لأن روح العداء للعربية الفصحى والرغبة في إقصائها عن الميدان الأدبي لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب واستغلالهم لدراسة العامية في بثّ هذه الرّوح بين أبناء العربية» [3] كل هذه الجهود من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها. ففي ذلك

1- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط.1، 2002، ص104.

2- سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ط، 2001، ص 669.

3- المرجع نفسه، ص 670، للتّوسع، ينظر: زكريا سعيد نفوسه، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة،الإسكندرية، ط.1، 1383 هـ/1964م، ص 12/11.

إهدار لثقافتنا برمّتها وإلغاء لرصيد روحيّ وفكريّ ليس من السّهولة التخلي عنه ،وأمّا غطاؤها الأيديولوجي فكثيرا ما استتر ستار العلم .

وهكذا بدأت حملات مسعورة تكشف من ناحية عن جمود الفصحى وتعقّدها وبداوتها وتخلّفها عن حاجة العصر وتلقي عليها مسؤولية ما كان من تخلّفنا وانحطاطنا،وتدعو من ناحية أخرى للعامية وتضيف إليها مزايا من الفصاحة والسّهولة والمرونة والقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية .

أعداء العربية الفصحى:

أوّل من خدم الدّعوة إلى العاميّة المستشرق الألماني **"وليم سبيتا"** * الذي شغل منصب مدير لدار الكتب المصرية، وقام بتأليف "قواعد اللغة العربية العامية في مصر" عام 1880م، الذي جاء في مقدّمته: «وأخيرا سأجازف بالتّصريح عن الأمل الذي راودني على الدّوام طول مدّة جمع مادّة هذا الكتاب، وهو أمل يتعلّق بمصر نفسها، ويمس أمرا بالنسبة لها وإلى شعبها، يكاد يكون مسألة حياة أو موت، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلّم العربية يرى إلى حدّ تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة، ففي مثل تلك الظروف لا يمكن

*- **سبيتا W. Spitta (1853 – 1883)**: أتقن اللغات الشرقية على "فلاشير" في لايبزغ، ونال الدكتوراه برسالة عن (تاريخ أبي الحسن الأشعري ومذهبه) سنة (1876)، وفي السنة نفسها عيِّنَ مديرا لدار الكتب المصرية (الكتبخانة الخديوية)، فراح يفهرس مخطوطات العربية، ومن أعماله: (قواعد اللهجة العربية العامية في مصر)، وهي أول دراسة للهجات العربية في مصر. ينظر، العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج. 2، دار المعارف، ط.5، القاهرة، 2006، ص 398.

مطلقا التفكير في الثقافة الشعبية»[1]، والغريب في الأمر أنّه أصدر كتابه هذا قُبيل سنتين فقط من الاحتلال الانجليزي، وتحدّث في مقدّمته أيضا عن فتح العرب لمصر، وانتشار العربية فيها، وقضائها على القبطية مُثيرا بذلك النّ عرة العصبية العرقية لمصر ضدّ اللغة العربية،ثمّ اختتمها بفكر ة اتّخاذ العامية المصرية لغة أدبية[2].

كان من مكر هذا المستشرق أن أقام في حيّ شعبيّ في مصر « لكي يستقي العامية من منابعها الأصلية ولا يدوّن إلّا ما يسمعه، ثمّ يدوّن ما يسمعه بأذنه على كم قميصه خوفا من أن يلاحظه أحد المتكلّمين فيفقد طبيعته وحريته في الكلام»[3]، هكذا كان أسلوبه في الكيد للغة العربية بسبب عدائه الشديد لها فهو القائل: «إنّ اللغة الفصحى عبءٌ خطيرٌ على رجل الشعب العادي» [4] كما اتّهمها بعرقلة التقدم العلميّ «إنّ أمل التقدم في مصر ضعيف طالما أنّ العامّة تتعلّم اللغة الفصيحة العربية – لغة القرآن – كما هي في الوقت الحاضر» [5] واقترح بأن تنحصر اللغة الفصحى في الصّلاة وكأنّها لغة طقوس دينية لا أكثر.

و لم تسلم حتى حروفها – العربية – من لذعات انتقاداته وافتراءاته «وطريقة الكتابة العميقة أي بحروف الهجاء المعقّدة يقع عليها بالطبع أكثر قِسط من اللوم في كل هذا... وبالتزام الكتابة

1- شاهين، عبد الصّبور، عربية القرآن، مكتبة الشباب، 2009، د.ط، ص 159.

2- ينظر، نجا فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص 213.

3- الجندي، أنور، التبشير والاستشراق والدعوات الهدّامة، دار الأنصار، القاهرة، م05، د.ط، د.ت، ص 109.

4- منصور، خيري، الاستشراق والوعي السّالب، د.ط، د.ت، ص293.

5- الميداني، عبد الرّحمن حسن حنبكه، أجنحة المكر الثلاثة، الاستشراق، التبشير الاستعمار، ص392.

العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقيّ ويتطوّر» [1] وما هذه الحجج إلا ترهات وخرافات وأكاذيب ملفّقة من أعداء يتربصون بالإسلام وأهله وبكل ما يتعلّق به، محاولين بذلك إبعاد المسلمين عن قيمهم ومبادئهم وشخصيتهم قالتين بذلك روح العروبة فيهم في ثياب الواعظين الناصحين.

ومن ثمّ عمل " **سبيتا**" على إيجاد تراث للعامية، فعكف على جمع ونشر العاميات من الأحاديث والفكاهات والكلمات، وجعلها مادّة خامّا لمن جاء بعده، ونهج نهجه، كما عمل على وضع حروف إفرنجية للعامية المصرية لغرض إحيائها، وألّف في صرفها كتابا، وكذا في أمثالها وقصصها العامية، وعمل على نشرها باللغتين الألمانية والفرنسية لتحفيز أوربا على تنفيذ مشروع تعليم اللّغة العامية بالحروف الأجنبية وجعلها لغة العلم والتّعليم.[2]

إثر هذه الدّعوة التي جاء بها "**سيبتا**" تناول الباحثون الأوروبيّون دراسة – اللهجة المصرية – فجاء كتاب "اللهجة العربية الحديثة في مصر" للألماني **كارل فولرس*** Vallers سنة 1890م،

1- عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت، ط.1،1385هـ/1965م،ص 51.

2- ينظر، الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 131.

*- **كارل فولرس Karl Vollers (1803)**: تخرج من جامعة بون سنة 1827، وسافر إلى باريس ليتتلمذ عند دي ساسي، وفي سنة (1830) نال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هاله، وسنة (1833) عين أستاذ اللغات الشرقية في جامعة حسين. ينظر، بدوي، عبد الرحمن موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.3، بيروت، 1993، ص.419 – 420.

استنبط فيه حروفا لاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها، للإشارة فقد تُرجِم هذا الكتاب إلى الإنجليزية من قِبل: "**بوركيت** Burkitt's "[1].

ثمّ جاء كتاب "العربية المحكية في مصر" لــ: " **سلدن ولمور**" (Selden Moore) سنة 1901م، دعا فيه إلى هجر الفصحى، واتّخاذ العامية بدلا عنها، وكذلك اتّخاذ الخط اللاتيني مكان الخط العربيّ، وهو يتوعّد: «إنّ لغة الحديث ولغة الأدب ستنقرضان وستحل محلها لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتّصال بالأمم الأوروبية» [2]، وكلماته هذه تنبؤ بما هو أعظم لأنّها تفضي إلى هجر العربية هجرانا تامّا سواء الفصحى أو العامية، فهو يحلم بأن تكون اللغة الأجنبية هي السّائدة في العالم العربي الإسلاميّ وما هذه الخطوات إلا تمهيدا للضّربة القاضية.

بعدها جاء كتاب "المقتضب في عربية مصر" لصاحب يه: فيلوت D.L. Phillott وباولA. Powell، محاولة منهما تسهيل دراسة العامية المصرية التي وردت في الكتاب [3] وهذه الكتب في مجملها تدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وتشكو من صعوبة النّحو وقواعده، وهي دعوات باطلة تحمل في طيّاتها التآمر ضدّ الفصحى تحت شعار البحث العلميّ لدراسة لهجة محلية من اللهجات العربية.

1 – ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار النّشر والثقافة ، الاسكندرية ،ط.1 ،1383هـ /1964م، ص 25.

2 – عطار، أحمد عبد الغفور، الزّحف على لغة القرآن، ص 51.

3 – ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص 30.

ونشط في هذا المجال مهندس الرّيّ الإنجليزي " **وليم و يلكوكس**"* (William Willcocks) الذي وفد إلى مصر في بداية الاحتلال البريطاني لها نشط في محاربة الفصحى وإقصائها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية محلها، من خلال محاضراته المعنونة: «لِمَ لَمْ توجد قوّة الاختراع لدى المصريين الآن» [1]، حيث يزعم أنّ العائق الرئيسيّ المانع من الاختراع والتقدم لدى المصريين هو اللغة الفصحى، فقد جاء أثناء حديثه: «أعتبر أنّ المصدر الأساسي لتخلف المصريين هو اللغة الفصحى، واللغة المصرية لا علاقة لها باللغة العربية، ولكنّها على علاقة باللغة (البونية) التي هي أساس اللغة المصرية وهي لغة دخلت مصر قبل أن تدخل العربية الفصحى بألفي سنة!» [2] .

ويضيف قائلا: «العربية الفصحى يتعلّمها المصري كلغة أجنبية ثقيلة وهي لا تصل إلى القلب أبدا وهي عقبة في سبيل تقدّم المصريين، إنّ دراستها مضيعة للوقت وموتها محقّق كما ماتت اللغة اللاتينية» [3]، فأمّا قوله بموت اللغة العربية، فقد ضمن الله لها الحفظ والبقاء، فجاء في محكم تنزيله:

*- **ويلكوكس William Willcocks** : مهندس بناء بريطاني (1852 ــ 1932) عمل في مصر والعراق وتركيا في إنشاء قطاع الري. أنشأ في مصر سدة أسوان وأثناء عمله في العراق سدة الهندية. ترجم الإنجيل للهجة المصرية وكان من أول الدعاة لتبنيها بدلا من العربية الفصحى في مصر كلغة للكتابة والقراءة إضافة لكونها لغة للتخاطب. ألّف كتاب بعنوان "جنة عدن ــ إلى عبور الأردن) وزعم فيه أن جنة عدن المذكورة في الكتب المقدسة موجودة في جنوب العراق، حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات .صمم و أنشأ المهندس الإنجليزي الجنسية قناطر أسيوط بين عامي 1898 و 1903 على نهر النيل و على بعد 530 كم إلى الشمال من سد أسوان و شيدت هذه القناطر من أجل تحويل جزء من مياه النهر إلى المياه المنخفضة في أكبر قناة للري في مصر و هي المعروفة باسم "الترعة الإبراهيمية" و التي تمتد من أسيوط إلى الجيزة شمالا بطول 350 كم تقريبا و كان المقاول الرئيسي للمشروع هو المقاول الإنجليزي شركة "ميسر زوآيرد"، كان من أشد الحاملين على العربية الفصحى والمنادين باتخاذ العامية بدلا منها. ينظر: ويليام_ويلكوكس https://ar.wikipedia.org/wiki/

1- ينظر: زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية ، ص 32.

2- منصور، خيري، الاستشراق والوعي السّالب، ص 295/294.

3- الجندي، أنور، أخطاء المنهج العربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص 258.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر، 09)، وأمّا غايتهم من ترويج مثل هذه الأفكار فبعث روح التّخاذل، وشعور بالنّقص في نفوس المسلمين ، وحمِلهم من هذا الطريق على الرّضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية.

ومن المراوغات التي قام بها هؤلاء المستشرقين إجراء المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية، وشتّان بين الثرى والثريا – فأمّا اللاتينية فلغة أمّة انتهت بانتهاء أمّتها، وأمّا العربية فلغة أمّة حيّة لا تنتهي ولا تزول فهي خالدة خلود الرّسالة الرّبانية .

وادّعى "**ويلكوكس**" أيضا أنّ العربية سبب تخلّف المصريين والحاجز الذي يحول دون تطوّرهم «قضيت عشر سنوات حيث كنت في خدمة الحكومة المصرية وأنا أشرف على مدرسة الهندسة، وأمتحن طلبتها، وكنت أجد بين الطلبة من يعدون حقّا من الأذكياء، ولكنّهم كانوا يسيرون في دروسهم ببلاده، لأنّهم كانوا يقرؤون باللغة الفصحى المصطنعة، وليس باللغة المصرية الحيّة»[1]، ويضيف ساخرا «...فإنّ قوّة المصريين الذهنية يستنفذها على الدّوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة،ثمّ هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغة الفصحى وهذا العمل ضرب من التقتّخر الذهني»[2]. ومن ثمّ فلا سبيل للتقدم والازدهار إلا بالتخلي على العربية الفصحى، استجابة لنصيحته: «وأقول لكم إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتم هذه الضعيفة تنجحون»[3] فهو ينادي بالتقعيد

1 – شاهين، عبد الصّبور، عربية القرآن، ص168.

2 – عطار، أحمد عبد الغفور، الزّحف على لغة القرآن، ص54.

3 – الفيصل، سمر روحي، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د.ط، د.س، دار النشر، ص20.

للعامية لمرونتها وسهولتها واتّخاذها لغة الكتابة والعلم والأدب، و يُرجع تخلّف المجتمع العربيّ كلّه لعقم الفصحى التي لا تلبي حاجيات العرب ، وهنا تحضرني أبيات" للبشير الإبراهيمي " ردّ فيها على افتراءات المستشرق **ألفرد بيل** Alfred Bel، أحسبها تصلح لمثل هؤلاء المستشرقين وهذه بعض من أبياتها:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْمَغْـرُورِ ∴ وَمَا أَتَى مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ

مَعْـلُومَةُ الْآرَاءِ وَالْأَنْـظَارِ ∴ عَارِيَةُ السَّوْءَاتِ لِلنُّظَّارِ

جَانَبْتَ الْحَقَائِقَ الْمَلْمُوسَةَ ∴ وَجَافَتِ الْوَقَائِعَ الْمَحْسُوسَةَ

ضَمَّنْـهَا أَحْكَامَهُ عَلَى الْأُمَمْ ∴ تَبًّا لَهُ مِنْ حَاكِمٍ وَمَا حَكَمْ

عَـــدَا عَلَى التَّارِيخِ وَهُوَ أَبْلَجُ ∴ لَكِنْ بَيَانَ الْمُفْتَرِينَ لَجْلَجُ

وَأَنْـكَرَ الْخَصَائِـصَ الْمُسَلَّمَةْ ∴ لِمَنْ غَدَوْا نُورَ الْعُصُورِ الْمُظْلِمَةْ

وَمَنْ يَكُنْ ذَا نَسَـبٍ لَصِيـقِ ∴ أَزْرَى بِـكُلِّ نَسَبٍ عَرِيـقِ

نَغَـارُ عَلَى أَحْسَـابِنَـا أَنْ تُمْتَهَنْ ∴ وَالْحُرُّ عَنْ مَجْدِ الْجُدُودِ مُؤْتَمَنْ

أَنْكَرْتَ فَضْلَ الْعَرَبِ فِي مَا ابْتَكَرُوا ∴ مِنْ صَالِحَاتٍ شَأْنُهَا لَا يُنْكَرُ

أَنْـكَرْتَ مَا شَـــادُوهُ لِلْحَضَارَةِ ∴ وَمَا كَسَوْهَا مِنْ حُلَى النَّضَارَةِ[1]

1 - الإبراهيمي، أحمد طالب، آثار الإمام محمد الإبراهيمي، ص 413 – 414.

ومهما يكن فإنّ هذه الدّعوات انصبت في جلّها ترسم صعوبة العربية الفصيحة، صعوبة تعلّمها من جهة، وتعليمها من جهة أخرى، فأمّا الأولى فمردودة عليهم ذلك لأنّ لكل ل غ قواعد وبنى ومتون عسيرة المنال، وإلاّ لكان النّاس سواسية في درجة إتقان لغات أممهم، وأمّا الثانية فلا علاقة بينها وبين صعوبة الفصيحة.

ونسأل هؤلاء الجاحدين ومنكري الفضل:

أليست هذه اللغة الفصحى هي التي شددتم الرّحال لتتعلموها؟

أليست هي التي أذهبت عقولكم وسلبت لبّكم فتنافستم في تعلّمها وإتقانها؟

أليست هذه اللغة هي التي حملت العلوم والمعارف التي كنتم تجهلونها؟

أليست هي التي أخرجتكم من غيبهان الجهل إلى سناء العلم؟

وإن كانت كما تزعمون فلماذا شيّدتم المدارس والجامعات لتعليمها؟

واليوم تجحدونها وتنكرون فضلها وتجابهونها بالظلم والعدوان، قال جل وعلا:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل:14) وإذا سلمنا بأنّ العربية الفصحى لغة ميّتة جامدة متخلّفة، تجاوزها التقدم العلمي، فأيّ فائدة ترجى من اللهجات المتعدّدة أو العامية؟ وأيّ إضافة مهمّة ستضيفها؟ خاصّة إذا علمنا بأنّ العامية هي: «لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي، وهي إلى ذلك مضطربة كل الاضطراب

في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها... وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكري المنظّم»[1].

فلا يخفى على ذي بال أنّ العامية غير ثابتة في البلد الواحد، ناهيك على أنّها قابلة للتّغيّر والتّطوّر في مفرداتها ودلالاتها بشكل سريع، فكيف الحال بالنّسبة لعامّة الشعوب الإسلاميّة؟ وكيف تقوم للوحدة العربية قائمة بعد اختلاف ألسنتهم؟ فالعامية لا تسعفنا بأيّ حال من الأحوال في مفرداتها وقواعدها بما يضبط تفكيرنا. فاستعمال العاميات المختلفة يؤدي بالضرورة ولو بعد زمن إلى تمزّق الوحدة العربية، وهو ما يرومه أعداء العروبة والإسلام لتشتيت أهلها وإضعاف شوكتهم ولا عجب في أنّ اللغات كلّها تحوي هذا الازدواج اللغوي (الفصحى، العامية)، فلماذا انحصرت هذه الدعوات على اللغة العربية فقط؟ في حين لا نسمع من يحثّ على استعمال اللهجات العامية في اللغات الأخرى كالفرنسية أو الانجليزية مثلا.

لم يركن طرح "**سبيتا**" ومن نحا نحوه أبدا إلى الموضوعية العلمية لأنّ النزول بلغة الكتابة إلى لغة الحديث واستعمال العامية مكان الفصحى «حل ساذج هدّام لا يكاد يستحق عناء المناقشة، وهو لا يقوم في الواقع إلا على مجرد الرّغبة الآثمة في القضاء على أهمّ دعامة من دعائم الثقافة في الأمم العربية»[2]، وما هذه الدّعوات إلّا سهام مسمومة لا يعقلها إلّا ذوو الألباب، أساسها أنّ العربية الفصحى كانت ولا تزال مشروع النّهضة والوحدة العربية، ولما أدرك هؤلاء الغربيون

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ، ص122.
2- المرجع نفسه، ص 122.

أهميتها وعاينوا حالها وتنبؤوا بمستقبلها، عمدوا إلى وأدها سالكين في ذلك سُبل التشكيك بها والتّخويف منها والادّعاء عليها.

أهداف المستشرقين من الدّعوة إلى العامية: وتتلخص أهم أهدافهم في النقاط الآتية:

أوّلا: نقل العامية من المستوى المنطوق إلى المستوى المكتوب، في مجالات البحث والعلم، والتأليف والأدب والإدارة...إلخ، ومن ثمّ إحلالها محل العربية الفصحى.

ثانيا: هجر العربية الفصحى هجرا تامّا، حتى يسهل القضاء عليها، ممّا يؤدّي إلى غربة العرب في ديارهم عن دينهم وتراثهم وثقافتهم، وبالتالي سلخ هوية الشخصية العربية.

ثالثا: نشر اللغات الأجنبية والترويج لها، واعتمادها لغة التعليم للسّيطرة على العرب، وغزوهم غزوا فكريا، فلا تقوم لهم بعده قائمة.

رابعا: القضاء على وحدة الفكر العربي، وبالتالي القضاء على وحدة الأمّة الإسلامية.

لقد اختاروا أشدّ الطرق فتكا بالدين في صورته القرآن الكريم، وأنجعها وأفعلها في قتل الشخصية العربية المسلمة وتدمير فكرها، ومحو مقوماتها، فالدّافع الكبير من هذه المحاولات كلّها هو استئصال اللغة العربية من جذورها، فبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس، فنجد " **سرخنت** Sarkhant" مثلا «يتحمل رياح السّموم اللافح ويكافح المتاعب في الصّحاري والقفار من أجل جمع القصائد الشعبية والأمثال العامية في حضر موت، والدكتور "***مانسنج*** **Mancing**" أقام في

مصر عشرين عاما ليجمع الأمثال العامية المصرية ويتّجه إلى البوادي في بلاد العرب لتسجيل الأغاني والأزجال والمواويل»[1].

وكشفت هذه المحاولات عجز العامية عن معالجة الموضوعات الرّفيعة، ومن ثمّ بروز الحقيقة الواضحة وضوح الشمس، في عدم وجود لغتين، إحداهما فصحى، والأخرى عامية، بل هي اللغة العربية، واللهجة العامية، وإذا كانت العامية مرحلية فإنّ الفصحى هي الامتداد الطبيعي للفكر الإسلامي، والثقافة العربية، فالعامية إقليمية تتعدّد لهجاتها في البلد الواحد، وأمّا الرّوائع فلا تكتب إلا بالفصحى[2]، وكأنّما هذه الدّعوات إلى العامية ما هي إلا استدراج وتمهيد لغزو أعظم، لأنّ العامية التي لا ترقى إلى مستوى العربية الفصحى لا يمكنها البتّة منافسة اللغات الأجنبية أو حتى الصّمود أمامها.

2 دعوى صعوبة النّحو:

من الدّعاوي المغرضة التي ما ينفك يردّدها المستشرقون، و أعداء اللغة العربية، هي دعوى صعوبة النّحو، التي تحمل في طيّاتها التّحلل من القوانين والأصول التي حفظت اللغة نحو خمسة عشر قرنا ويزيد، فكأنّما القرآن أنزل فينا اليوم، وكأنّ شعراء العربية، وفقهاءها وفلاسفتها وكتّابها، و...كتبوا ما كتبوا بالأمس القريب، وكأنّما المتنبي والبحتري يخاطبان جيلنا الحاضر لا فرق بينهما وبين شاعر معاصر كالبارودي أو شوقي أو حافظ[3].

1 – الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتّاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص 263.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ص 262.

3 – ينظر: الجندي، أنور، أخطار المنهج الغربي الوافد، ص 262.

أدرك الغرب خطورة اللغة العربية في توثيق روابط الوحدة الإسلامية، فهذا زعيم المبشّرين "**زويمر**" (Zwemer) يحذّر من أنّ «اللغة العربية هي الرّباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم» [1] وذلك إشارة إلى ضرورة ضرب هذه اللغة بمعاول الهدم التي ترخر في كيانها الشامخ، مستترة تحت شعارات عديدة كتبسيطها أو تطويرها.

وممّا لا شك فيه أن الهدف الحقيقيّ الكامن وراء دعوى تطوير اللغة، وصعوبة النّحو هو فكّ العروة الوثقى بين اللغة والشريعة الإسلامية وتمزيقها، فما إن تتحوّل اللغة عن أصولها حتى تضيع شريعتها وتنهار، لأنّ: «دعائم علم الأصول إنّما هي فهم لغة العرب: لغة القرآن والرّسول بما وضع لها من القواعد الصّرفية، والنّحوية، وضوابط علوم البلاغة، وإذا اضطربت هذه الضوابط، وتلك القواعد بالإزالة والوضع انهدم علم الأصول، وتداعت دعائمه...» [2]

فهذه القواعد تمثّل مقياسا ودليلا على تطوّر الأمّة من ضعفها لأنّه «بمقدار ما في الجماعة في نواحي التحضر، وأنواع التمدين، وضروب الاجتماع يكون نصيب اللغة أيضا من مقدار اصطناع القواعد، وفنون التنسيق، ونمو الجمال فيها إذ هي كائن حيّ يحيا بحياة النّاطقين بها، ويرقى برقيّهم ويضعف ويموت بضعفهم وموتهم» [3]، فهذه القواعد هي العمود الأساسي لحفظ اللغة العربية.

1- الجندي، أنور، التبشير والاستشراق والدعوات الهدّامة، ص 110.

2- الجندي، أنور، أخطار المنهج الغربي الوافد، ص 273.

3- العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السّامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، المطبعة الأميرية، ط.1، 1354هـ/1935م، ص 08.

وتجسّدت مجهودات المستشرقين في تبسيط اللغة وتطويرها في عدّة أشكال أهمّها:

1 -إلغاء صورة الإعراب في الكلام العربي، واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات [1]، هذا الحديث وإن كان في ظاهره التّسهيل على المتحدّث بالعربية فإنّه يميّت هدم الأركان والأسس التي بنيت عليها هذه اللغة المجيدة من خلال إلغاء علم الإعراب أحد دعائم اللغة العربية وركائزها حتى أنّ الصّاحبي بوّب له في كتابه "في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" ، بابا جاء فيه: «من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»[2]، فإلغاؤه يؤدي إلى الجهل بمعاني القرآن الكريم، فإذا ما ألغي الإعراب تلاشت أحكامه، واندثرت وفقدت اللغة أصولها التي بها يستقيم الكلام.

وبالمثال يتضّح المقال: فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر:28)، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (البقرة:124)، فإذا ما ألغينا الإعراب وسكّنا أواخر الكلمات، تصوّرت الأذهان في الآية الأولى، أنّ الله هو الذي يخشى العلماء، وليس العكس، وتهيّأ لها في الآية الثانية أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي ابتلى ربّه وليس العكس،

1- ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكه، أجنحة المكر الثلاثة، التبشير، الاستشراق، الاستعمار، ص383.

2- الصّاحبي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1418هـ/1997م، ص 43.

مع أنّ العكس في كلتا الآيتين هو الصّحيح المراد به، وهنا تتجلى أهمية الإعراب التي تكمن في فهم معاني القرآن الكريم، وإدراك مواطن جماله فـــ: «الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى ترجع إليه»[1]، فالمعنى لا يتضّح إلا من خلال الإعراب.

2 -التّشكيك في أصالة الإعراب: وتزعّم هذه القضية المستشرق **كارل فوللرز** – Karl Vallers الذي يرى بأنّ «النّص الأصليّ للقرآن، قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية، التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النّهايات المسمّاة بالإعراب» [2]، فهو يُنكر تماما أن تكون هذه اللغة هي نفسها التي كانت على عهد النّبيّ محمد ﷺ بيد أنّ «فن القواعد اللغوية الذي يسمى الآن في اللغة العربية بالنّحو والصّرف و ما يتبعها من قواعد تكوين الجملة وترتيب العبارة قديم بقدم اللغات نفسها»[3].

وقد حذا حذوه المستشرق " **بارل كاله** Paul E. Kahle، في فصل من كتابه "الذخائر القاهرية" بعنوان "نص القرآن العربي"، حيث يرى أنّ: «الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولا، إلا إذا كان يُقرأ في الواقع بدون إعراب، وأريد أن يقرأ بالإعراب الذي عدّ في

1- الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، د.ط، د.ت، ص23.

2- عبد التّواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، الخانجي، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص 377.

3- العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السّامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، ص08.

وقت متأخّر، من مظاهر الصّحة اللغوية» [1]، فهو يُنكر على العربية مزيّة من أهمّ المزايا التي توشّحت بها والتي تنتظم فيما تنتظم على قوانين نظم الكلام، كما ألفناه في عصور العربية الأصلية.

ويذهب بعض المستشرقين إلى ردّ النحو العربي إلى أصول يونانية، أو سريانية، أو هندية أو لاتينية، فمن الذين قالوا بالتأثير اليوناني على النّحو العربي، الفرنسي " **ارنست رينان**"، والألماني "**هوفمان**"، فذهبا إلى أنّ مصطلحات الإعراب والصّرف والقياس والحركة، مصطلحات يونانية، وتقسيم الكلام عند "سيبويه" تقسيم يوناني[2]، كل ذلك من أجل التشكيك في أصالة النّحو العربي.

3 -حذف بعض قواعد النحو، أو تعديلها من ذلك حذف باب الممنوع من الصرف، واعتبار الكلمات جميعها مُتصرّفة، إلغاء جمع التّكسير، إلغاء قاعدة التّخالف بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث[3]، اتّهمت العربية بالجمود والعقم، وبعدم صلاحيتها إلا لمجتمع بدويّ لأنّها لا تستطيع مواكبة التّطور، ومسايرة العصر.

وممّا لا يخفى على ذي بال أنّ هذه الدّعاوي جميعها، من إبطال النّحو، وقواعد الإعراب، أو تطوير النّحو، ما هي إلا شبهة من شبهات الغرب لزعزعة أركان اللغة كونها أهمّ دعائم الفكر العربي، لأنّ هذا الإعراب الذي يُعدّ حجرة عثرة على الجاهل بالعربية فيتّهمه بالصّعوبة والتّعقيد، هو في الحقيقة لا ينحصر عليها بمفردها وإنّما ينال الكثير من اللغات و «هناك لغات كثيرة لا تزال تحيا بيننا، وفيها من ظواهر الإعراب المعقّد ما يفوق إعراب العربية بكثير، فهذه هي اللغة الألمانية

1- عبد التّواب، رمضان، فصول في فقه اللغة، ص 380.

2- ينظر: حسن محمد، خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط.01، 1997م، ص 114.

3- ينظر: نجا، فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص 231.

مثلا تقسّم أسماءها اعتباطا إلى مذكر ومؤنث، وجنس ثالث لا تعرفه العربية وهو "المحايد" وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة أربع حالات إعرابية» [1]، فلماذا يصرفون نظرهم عنها ويصوّبون سهامهم دائما إلى اللغة العربية؟

إنّ هذا الإعراب في لغتنا هو المعين على النّطق الصّحيح، والفهم القويم وكذلك الكتابة السّليمة، وتمسّكنا به تمسّك بتراثنا وأصالتنا، وما هذه الافتراءات عليه من طرف المستشرقين، وكأنّه داء خطير يُراد الفتك به إلا من أجل إنشاء نشئ جديد خالي الوِفاض من اللغة العربية.

3 مزاعم إصلاح الخط العربيّ:

توالت الهجمات المختلفة للمستشرقين على اللغة العربية فـــ: «حتى خطّها، الذي شرّق وغرّب، واستحسنته أمم غير عربية، فكتبت به لغاتها، لم يسلم هو أيضا من الطعن فيه، والإدّعاء بأنّه هو سبب تأخّر العرب، وبذل الجهود في محاولة تنحيته عن السّاحة، وأن يستبدل به الخط اللاتيني» [2]، حيث ألحّ الغربيّون، وبالغوا في الإلحاح على كتابة العربية بالحروف اللاتينية بحجّة أنّ رسم الخط العربيّ مشكلة تعيق الناطق العربي عن التّقدم، وتعرقل المسيرة العلمية لديه.

غير أنّ الحقيقة الخافية وراء مخطّط تغيير الحرف العربي هو الحيلولة بين الأمّة العربية وتراثنا «حتى إذا ضاعت اللغة، وضاع الخط العربيّ، فقد تهدّمت آخر حصون الدّين الإسلاميّ، وتحطّمت أقوى قلاع هذا الشّرع الشّريف» [3]، فإذا كان المستشرق الانجليزي " **جب**" يرى بأنّ الوحدة

1- الطناجي، محمود محمد، في اللغة والأدب، دراسات وبحوث، ص 541.
2- عبد التّواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، الخانجي – الرفاعي، ط.1، 1403هـ/1982م، ص 165.
3- المرجع نفسه، ص 165.

الإسلامية «من أهمّ مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلاميّ واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة» [1]، ومن ثمّ فإنّ نتيجة تغيير الخط العربي بالخط اللاتيني وخيمة جدا، وذلك لأنّ الكنوز القيّمة التي خلّفتها الآداب الإسلاميّة في الدّين والفقه، والآداب والعلوم، كلّها مدوّنة بالخط العربيّ الأصيل.

ويؤكّد هذه الحقيقة "حسن المعايرجي " بقوله: «لقد رأيت بعيني أكواماً من أمّهات الكتب بالحرف العربي في إحدى الدّول الإسلاميّة يأكلها الإهمال والعفن، لأنّها لا تجد من يعرف فكّ طلاسمها التي استغلقت على الجيل الجديد» [2].

وهذا أهمّ هدف يرومه أعداء اللغة العربية، وها هو المستشرق "**كامغماير** Kamgmaar " الذي سرّه ما رآه في تركيا من غياب السّمت الإسلاميّ، وذهاب اللغة العربية، والحرف العربي، بل وقد أثلج صدره، فيصرّح مُبتهجا: «إنّ قراءة القرآن الكريم العربي،وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية» [3].كما قام المنصّرون الألمان في شرقي إفريقيا باتّخاذ الحرف اللاتيني مكان الحرف العربيّ، من أجل و قف الزّحف الإسلامي [4]. محاولين بذلك النّفوذ والنّخر في كيان الإسلام من خلال لغته.

ويحضرني هنا قول " **فندريس**" وهو أحد علماء اللغة الفرنسيين عن المحاولات التي من شأنها إصلاح الخط الفرنسيّ الذي به الكثير من العيوب كالحروف التي تكتب ولا تنطق، بالإضافة إلى

1- الطويل، السّيد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص102.
2- المرجع نفسه ، ص103.
3- م.ن، ص.ن.
4- م.ن، ص.ن.

نطق معين بصور مختلفة من الرّموز «فإذا قمنا بإصلاح شامل دفعة واحدة، كنّا قد استبدلنا مكان اللغة المكتوبة، التي تعوّدنا عليها لغة كتابية أخرى جديدة، ويترتّب على هذا أن نطرح وراء ظهرنا دفعة واحدة، جميع المطبوعات التي نشرت بالفرنسية منذ قرون، وهو أمر مستحيل، هذا إلى أنّ مثل ذلك العمل، يوجب على جيل أو جيلين من الفرنسيين أن يتعلّموا لغتين، بدلا من لغة واحدة، وإنّ هذا من العادات والتقاليد الأدبية ما لا يستطيع المرء أن يُغيّره بجرّة قلم واحدة» [1].هذا بالنسبة للغة الفرنسية والخطّ الفرنسي فكيف إذا كانت اللغة هي اللغة العربية، والخط هو الخط العربي، وعاء الوحي الإلهي وحافظ التراث الإسلاميّ، وعنوان الشخصية الإسلامية، ولسان الرسالة العالمية، لأنّ «مكان اللغة العربية من الإسلام، هو مكان اللسان من الإنسان، وإذا كان اللسان هو سبيل الإفصاح عن مكنونات الإنسان وأسراره، وطريق وضوحه وجلائه، ووسيلة فهمه وفض مغاليقه، فإنّ العربية كذلك هي الطريق الأمثل إلى فهم الإسلام، واكتناه ما فيه من قيم وتعاليم وجواهر...» [2]

ونخلص إلى أن الغرض الدقيق والأساسي من البحث في تغيير الحروف العربية أو إصلاحها، ما هو في الحقيقة إلا محاولة للفصل بين الشعوب العربية وثروتها الإسلامية، وقطع الصّلة تماما بين الأجيال القادمة والقرآن الكريم، و أحاديث الرّسول الأمين، و سائر الكتب الإسلامية المخطوطة بالخطّ العربيّ، و عليه فإنّ «اللّسان العربيّ، وهو لسان الدّين» كما يقول الأفغاني«يجب أن يكون في المحل الأرفع من اهتمام سائر المسلمين، لا العرب منهم فقط، لأنّ اللّسان العربيّ لسان الدّين

1- فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدّواخلي – محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت، ص413.

2- عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط2، 408 هـ/1988م، ص 176.

الطّاهر، والأدب الباهر، وديوان الفضائل والمفاخر» [1] فاللّغة العربيّة بقواعد نحوها،وخطّها الأصيل لغة لا تعادلها أيّة لغة أخرى.

ويبدو لنا من خلال هذا البحث تدرّج واضح في مخططاتهم بدءاً من صعوبة الفصحى والدّعوة إلى استبدالها بالعامية،إلى صعوبة النّحو ومحاولة إلغائه ،وصولا إلى الخط العربي بإلغائه وإحلال الحرف اللاتيني محلّه (اللغة ثمّ النّحو ثمّ الخطّ)، هي في الحقيقة جملة قضايا يريدون بها تخطيطا مُعيّنا، ولأنّ "الهوية قلعة حصنها الثقافة وسياجها اللغة" [2]، فقد وجدوا بأنّ ضرب اللغة هو أفضل وسيلة لإضعاف روح الإسلام وتشويهه وتجريده من مضمونه وجوهره، وتعكير صفو وشفافية وروحانية هذا الدّين الذي بات يقض مضاجعهم فأرادوا تشويه لغته حاملة لوائه من خلال أفكارهم المضلّلة .

4 إنشاء المجلات:

تكاتفت الجهود وأنشئت المجلات لتكثيف الضّربات على اللّغة العربية، من أهمّها:

1)مجلّة المشرق: وتصدر هذه المجلة عن الآباء اليسوعيين بلبنان باللّغة العربية، يُديرها آباء كلية "القدّيس يوسف" ببيروت بعد أخذها الموافقة البابوية ب "روما" سنة" 1898م"، وأمّا عن الغاية من إنشائها،فيقول مؤسّسها "لويس شيخو" في مقدّمة الجزء الأوّل: «هذا وإنّ اسم مجلّتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا، ويقوم مقام لائحة مُطوّلة، إذ آثرنا باختياره أن نُبيّن لأهل الوطن أنّ جلّ

1- عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني، المرجع السابق، ص .176.

2- المسدّي،عبد السّلام ،العرب والانتحار اللغوي ،دار الكتاب الجديد المتحدّة ،ط.1،2011 م،ص.85.

مرغوبنا التّحرّي لكل الأبحاث المتعلّقة بالشرق والطّوائف الشرقية وتفضّلها على ما سواه»[1].عملت هذه المجلّة على نشر الفكر الاستشراقيّ، والترويج له،من خلال إحياء القوميات للتفرقة بين المسلمين،والدّعوة لاعتناق المسيحية،وتحسين صورة الغرب المستعمِر.

موقفها من اللّغة العربية:

ما انفكت المجلة تردّد دعوات المستشرقين المضادة للفصحى والدّاعية إلى اتّخاذ العامية لغة للعلم والأدب فجاء فيها«يأنف أغلب الكتبة من استعمال اللّغة العربية العامية لنشر أفكارهم وترويج مقاصدهم، على أنّ لهجة العوام في بعض الأحيان أقرب إلى نوال المرغوب وأقوى فعلا في القلوب،فإنّ الأدباء يجدون فيه تفكّه للأرواح، أمّا الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وأمثاله المعتادة،فتؤثّر فيه أقوال الكاتب ومضامين تحريراته» [2]. وكأنّها تعبّد الطّريق للمستشرقين ينفذون من خلالها إلى العالم الإسلامي.

اتّهمت المجلة في إحدى مقالاتها والمعنون (في أهمية جمع خواص الكلام الدّارج) للألماني "مرتين هرتمن"، الفصحى بالعجز عن التّفكير، فهي لا تعد و أن تكون في نظر المجلة لغة صناعية لا تفهمها العامّة، متضمّنة ألفاظا لغوية وتراكيب وضعية واصطلاحات مبدعة، منقولة بالتّرجمة عن كتب أجنبية، وربّما قلّدت اللسان المترجم عنه بطريقة مغايرة لروح اللسان العربي[3].

1- المشرق، مجلة كاثوليكية، تحوي مباحث علمية دينية وفنيّة،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1898م،ج.1،ص 03.
2- سرى طارق،المستشرقون ومنهج التّزوير والتّلفيق في التّراث الإسلامي،مكتبة النّافذة،ط.01، 2006م، ص.106.
3- ينظر، المشرق، ج.1، ص 791.

كما امتهنت الخطّ العربيّ، فجاء فيها: «أنّ الكتابة العربية قاصرة عن تصوير بعض ألفاظ العامّة ولا تفي حروفها الثمانية والعشرون برسم أصوات تجري في لهجة القوم» [1]، وفي المقابل أشادت بأعمال المستشرقين في هذا المجال: «فاجتهد بعض المستشرقين في درس هذا اللسان الدّارج وجمع خواصه والمقابلة بين فروعه المختلفة، نخصّ منهم بالذكر وتستين (Wetzstein) وستومه (Stumme) وسبيتا (Spitta)، ولهم في ذلك تآليف حسنة»[2]، ومن ثمّ فقد تبنّت المجلة الفكر الاستشراقي المعادي للغة العربية الفصحى، وكيف لا يكون موقفها كذلك والقائمون عليها مسيحيون، يعادون الإسلام في أبهى وأنضر صوره وهي لغته لغة كتابه المنزّل؟

وهنا يطرح السّؤال نفسه، إذا كانت العامية بالقيمة التي يتحدّثون عنها، والمكانة التي يصوّرونها لنا، فلماذا لم تكتب هذه المجلة مقالاتها وبحو ثها بهذه اللغة العامية بل وارتضت الفصحى تكسو صفحاتها؟ وإذا كان خطّها بتلك الصّورة التي يصوّرونها لنا، فلماذا يعتمدونه في كتاباتهم ويرضونه ناقلا وناشرا لأفكارهم؟ إلا إذا كان أصحاب هذه المجلة غير مقتنعين بأفكارهم ولا مؤمنين بما ينشرونه مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فكبر مقتا أن يقولوا ما لا يفعلون.

2) مجلة المقتطف: صدر أوّل عدد لهذه المجلة سنة "1876م" حملت هذه المجلة أيضا راية "سبيتا"، في دعوته إلى العامية، وراحت تردّد أقواله، وتروّج لأفكاره تحت إشراف صاحبها "يعقوب صروف" فصاغت بأسلوبها آراء "سبيتا"، وتولّت نشر أفكاره دون أن تذكر بأنّها

1- ينظر، المشرق، ج.1، المرجع السابق، ص 793.
2- م.ن، ص 791.

تتبناها[1]، ومن العجيب أنّ هذه المجلة أيضا ومنذ صدورها لم تكتب بحثا واحد باللغة العامية التي تدعو إليها قال تعالى﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ (إبراهيم/46).

ذلك أنّ ما يترتّب عن استعمال العامية وانعزال اللغة الفصحى وإبعادها عن مسرح الحياة العلمية والأدبية، هو ضعفها، وهوانها، بل والقضاء على مقوماتها الأساسية، وبالتالي هدم أهمّ عمود للوحدة الثقافية والفكريّة لدى العرب.

عمل المستشرقون على دحض اللغة العربية بشتى الوسائل وبذل وا في سبيل ذلك النفس والنفيس، واتّهموها بأنّها سبب ضعف وتخلّف العرب. فروّجوا لنشر العاميات المحلية ونادوا إلى الكتابة بها، كما دعوا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وتفطّن "جمال الدين الأفغاني" لهذا الخطر، فنبّه إليه وحذّر منه «يتّخذ الغربيّون في الشرق أساليب عجيبة للقضاء على الرّوح القومية وقتل التّربية الوطنية وتقويض الثقافة الشرقية، فتراهم يزيّنون للشرقيّين أن يُنكروا على قومهم كل مأثرة ويلقون في روعهم أن ليس في لغتهم العربية أو الفارسية أو الهندية آداب تؤثر ولا مجد يذكر، ويوهمونهم أنّ قصارى المجد للإنسان الشرقي في النّهاية أن ينفر من سماع لغته وأن يتباهى بأنّه لا يُحسن التّعبير بها. وأنّ ما تعلمه من الرّطانة الغربيّة هو غاية ما يُستطاع بلوغه من الثقافة الإنسانية»[2] إلى أن يقول: «ألا ليت الشرقيّين يدركون أنّه لا لسان لهم، وعدم وجود

1- ينظر: عطار، أحمد عبد الغفور، الزّحف على لغة القرآن، ص52.

2- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط.1، 2002م، ص 100.

لسان القوم يعني أنه لا تاريخ لهم ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم فيهم أساطين يحمون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم»[1]، لقد وجّهوا سهامهم لتطول كل شيء، العقول والأفكار والمبادئ من أجل تحطيم هذه اللغة – العربية – التي ذنبها الوحيد أنّها وعت وحي الرّحمان، فانتشرت بين الشعوب الإسلاميّة انتشار النّور في الظلمة.

1- محمد عللوه، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، ص 101.

المبحث الرابع: رؤى استشراقية منصفة

بينما تعالت أصوات المستشرقين بهدم اللغة العربية وإزاحتها من العالم الشّرقيّ، زاعمين عدم كفاءتها، واستحالة مواكبتها للتقدّم العلميّ، إلى غير ذلك من الاتّهامات الباطلة والدّعوات المغرضة، إذ برزت من بين ظهرانيهم كوكبة أخرى تعترف للعربية بقوّتها ومجدها، وتحمد لها خصائصها وفضائلها،وتشدّ أزر أهلها للتّشبّث بها والمحافظة عليها وذلك لأنّ «الحقّ ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء»[1].

وانقسم المستشرقون إلى فريقين «متّفقان في الاعتقاد بجمال هذه اللغة والاعتراف بمزاياها على العلم والمدنية، مختلفا الدّواعي والبواعث في معاملتها، فريق ينظر إليها نظر الهون والمصلحة فينادي بموتها ويعمل على موتها ويزهّد فيها النّاس ويتجنّى عليها وينحلها العيوب، وفريق ينظر إليها نظر العلم المجرّد فيتعلّمها بإخلاص ويحضّ على تعلّمها ويشيد بذكرها في المحافل والكتب» [2]، وسواء كان الفريق المنصف دفعه تجرده العلميّ إنصاف العربية، أو جرى الحقّ على لسانه فما استطاع عن البوح به بدّا، فقد استنكر الدّعوات الملفّقة باللغة العربية ونادى بمحاربتها والتّصدّي لها وطفق ينسف الدّعوات التي بناها الفريق الأوّل.

1- الجوزيّ، ابن القيّم، الفوائد، دار الكتاب الحديث، د.ط،1433هـ/2012م،ص143.

2- الإبراهيمي، أحمد طالب،آثار الإمام محمّد الإبراهيميّ، ص380/379.

1 -الدّعوة إلى العامية:

يرفض "هنري فليش"* استبدال العامية بالفصحى مصرّحا بوضوح أنّه «ليس من المعقول أن نُقِرَ وجهة النّظر القائلة بصرف الجهود وإخلاصها للعاميات،فإنّ معنى ذلك أنّنا نتجاهل "واقعا" لغويا،لا نملك إلّا أن نصفه هنا بالخلود،هو واقع"العربية الفصحى" التي نصوغ بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد،بل وحياتنا الرّاقية»[1]،ثمّ يضيف جادّا: «إنّ بحثا عن "العامية" – مهما بلغ- لن يجد طريقه إلى اهتمام الجماهير العربية المثقّفة التي تتكلّم "العامية"، بل سيظل حبيسا بين دفتيه...فبحوث "العامية" على أهميّتها...بحوث "ميّتة"»[2]، لقد هدّم هذا المستشرق دعوة "سبيتا" وأعوانه بجرّة قلم.

ويقرّر "فندريس" بوضوح «والواقع أنّنا لا نعلم إطلاقا لغة قد قصّرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التّعبير عنها»،ثمّ يحذّر قائلا: «فلا تنصت إذن إلى أولئك المؤلّفين العاجزين الذين يحمّلون لغاتهم مسؤولية النّقص الذي في مؤلّفاتهم، لأنّهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النّقص» وبالتّالي فإنّ :«طاقة اللغة تتوقّف على عدد الذين يمارسونها ودرجة تعلّمهم»[3]، وبالتالي فإنّ القائل بقصور اللغة العربية يشكو من قصور في تفكيره وتعبيره. وجاء على لسان"يوهان فوك"

*- **هنري فليش Henry Fleche**: ولد سنة 1904م، وهو مستشرق فرنسي، نال الدكتوراه في الآداب من السّوربون، وعيّن أستاذا بجامعة القديس يسف ببيروت منذ سنة 1945م، ليلقي محاضرات في فقه اللغة العربية والساميات فيها، واللهجات الحديثة، أشهر مؤلفاته: العربية الفصحى. ينظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص.800.

1- فليش هنري، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللّغوي، تح:شاهين عبد الصّبور، مكتبة الشّباب، د.ط، ص13.

2- المرجع نفسه، ص 15(بتصرّف).

3- قندريس، اللغة، تع:عبد الحميد الدّواخليّ،محمّد القصاص، ص 421.

في كتابه – العربية دراسات في اللغة والأساليب-أنّ «هذه اللغة الفصحى تعدّ-كما يقول"بريتوريوس" Pretorius لغة فنيّة خالصّة، وتعلو بما لها من طبيعة مميّزة على كلّ اللّهجات»[1].

2 دعوى صعوبة النّحو:

يقول المستشرق الألماني "فولفديتريش فيشر "Wolfdietrich Fischer"*، الملقّب ب"عاشق اللغة العربية"«وبعد اطّلاعي على عدد من اللّغات الشرقية كالتّركية، والفارسية أعجبتني اللغة العربية إعجابا كبيرا وذلك لأنّني رأيت أنّ بناءها اللّغوي ونظامها النّحوي يعدّان من أوضح اللغات في العالم، ولأنّها لعبت دورا هامّا في نقل المعارف والعلوم إلى الحضارات الأخرى»[2] ويؤكّد على سهولة النّحو العربي قائلا: «أمّا ما يتعلّق بالنّحو والقواعد فإنّني أعتقد أنّ نحو اللغة الألمانية أصعب من نحو اللغة العربية،وأعتقد أنّ الدّارس للنّحو العربيّ يستطيع أن يفهمه بصورة جيّدة،ومن غير صعوبات كبيرة تذكر»[3] وكأنّي به ينسف كل ما جاء به أعداء النّحو العربيّ.

أشرف هذا المستشرق على خمس وثلاثين رسالة في مرحلة الماجستير، وعشرون رسالة في مرحلة الدكتوراه، أهمّ المواضيع التي عالجتها هذه الرّسائل تدور حول تاريخ اللغة العربية بالإضافة

1- فوك يوهان، العربية دراسات في اللغة والأساليب، تر: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخاجي، مصر، 1400هـ/1980م، ص 09.

*- **فولف ديتريش فيشر Wolfdietrich Fischer**: ولد سنة 1928، متخصص في اللهجات العربية الحديثة، لقب بعاشق اللغة العربية، زار القاهرة، دمشق، بيروت، ترأس مؤتمر المستشرقين الألماني في جامعة "أرلنغن" سنة 1977 من أبرز مؤلفاته: أسماء الإشارة في اللهجات العربية الحديثة، والصفات الدالة على الألوان والأشكال في لغة الشعر العربي القديم، وأشرف على تحرير كتابي: الأساس في فقه اللغة العربية، ودراسات في العربية. ينظر، مجموعة من الكتاب، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفديتريش فيشر، ص (395 – 407)

2- الأيوبي، هاشم إسماعيل، أبحاث عربية في الكتاب التّكريمي للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر، ص 397.

3- المرجع نفسه، ص. 399.

إلى بعض الدّراسات في الحضارة الإسلامية، ومن أبرز عناوين هذه الرّسائل:"لحن العوام ومقامات بديع الزّمان الهمذاني"،"الجود والبخل في الشعر الجاهليّ"،"اسما الفاعل والمفعول في نصوص العربية القديمة"،"دراسة نحوية للصّفات في العربية القديمة"[1]...

وأمّا عن أصالة-الإعراب- فيقرّ المستشرق برجشتراسر * G Bergstrasser ،في كتابه التطوّر النّحوي للغة العربية، قائلا: «والإعراب ساميّ الأصل،تشرتك فيه اللغة الأكديّة، وفي بعض الحبشية، ونجد آثارا منه في غيرها أيضا» [2]،ويذهب مذهبه المستشرق "نولدك ه Noldeke" الذي يؤكّد على أنّ الإعراب كان موجودا في عهد النبيّ محمّد ﷺ ف«من الخطأ الشّنيع، الاعتقاد بأنّ اللغة الحيّة في عهد النبيّ محمّد ﷺ، لم يكن فيها إعراب، فإنّ العلماء في عصر هارون الرّشيد، قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائِقه لدى البدو» [3]، ذلك أنّه «لو كان النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أو أحد معاصريه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب، لكان من غير الممكن أن تضيع الرّوايات الخاصّة بذلك،دون أن يبقى لنا آثار منها»[4].

1- ينظر، الأيوبي، هاشم إسماعيل، أبحاث عربية في الكتاب التّكريمي للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر، ص. 401 .

*- **برجشتراسر ي، Bergstrasser**: درس بجامعة ليبزيج (1904)، حيث تلقى الفلسفة واللغات السّامية على "أوجيست فيشر"، حيث نال الدّكتوراه (1911)، التي تضمنت –حروف النفي في القرآن- وشهادة الأستاذية في اللغات السامية والعلوم الإسلامية (1912)، ورحل إلى تركيا وفلسطين، ودرس لهجاتها العامية. قدم مصر أستاذا وألقى في جامعتها سلسلة محاضرات في تطوّر النحو في اللغة العربية، من آثاره معجم قرّاء القرآن وتراجمهم، اللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين. ينظر، العقيقي، نجيب محفوظ، المستشرقون، ج. 2، دار المعارف، ط5، 2006، ص450.

2- برجشتراسر، التطوّر النحوي للغة العربية، صح:رمضان عبد التوّاب،مكتبة الخانجي، القاهرة،1414ه/1994م، ص 116.

3- عبد التوّاب، رمضان،فصول في فقه العربية، ص 381.

4- المرجع نفسه،ص 381.

ومن الذين دافعوا أيضا عن أصالة الإعراب المستشرق "يوهان فوك" الذي يقول : «احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرّف الإعرابيّ، بسمة من أقدم السّمات اللّغوية، التي فقدتها جميع اللغات السّامية...وقد احتدم النّزاع حول غاية بقاء هذا التّصرّف الإعرابيّ في لغة التّخاطب الحيّ. فأشعار عرب البادية- قبل الإسلام وفي عصوره الأولى- ترينا علامات الإعراب مُطّردة كاملة السّلطان» [1]، ثمّ يستطرد: «كما أنّ الحقيقة الثابتة، من أنّ النّحويّين العرب،كانوا حتّى القرن الرّابع الهجريّ، العاشر الميلادي على الأقلّ، يختلفون إلى عرب البادية، ليدرسوا لغتهم، الأمر الذي يدلّ على أنّ التّصرّف الإعرابيّ كان في أوجّ ازدهاره آنذاك، بل لا نزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة، من لهجات العرب البداة، ظواهر الإعراب» [2]، وعن أهمية الإعراب يقول"يوهان فوك": «صار الإعراب هو الفارق الذي يميّز عند المثقّفين العرب بين العربية الفصحى، وجميع القوالب والأساليب المولّدة حتى اللّهجات الدّارجة، واللغات العامية» [3] بل وزاد هذا المستشرق على ذلك أنّ اللغة العربية إذا كانت تشكو فإنّها تشكو من لسان غير العرب،فيقول: «عانت العربية على لسان غير العرب من تغييرات هدّدت بالمسخ صورة وقعِها وجرسِها، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصّميم» [4]، فجهلهم بها وبدقائِقها، يجعلهم يجحدون فضلها، ويناصبونها العداء.

1- فوك،يوهان، العربية دراسات في اللغة واللّهجات والأساليب، ص 15.
2- المرجع نفسه، ص 15.
3- المرجع نفسه، ص.14.
4- المرجع نفسه ، ص21.

3 مزاعم إصلاح الخطّ العربيّ:

لا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن نحجب شمس الحقّ والنّور، بافتراءات الكذب والزّور، فالخطّ العربي صورة صادقة للإحساس الجمالي، فهو يحقّق للرّوح السّموّ والطهارة وهاهي ذي"أنا ماري شيمل (هارفرد) تقول: «أحدث الإسلام من جهة تاريخ الأديان ذات كتاب موحى وأخرى بلا كتاب موحى، وتبعا لذلك كان لخطّ المستخدم في حفظ الوحي أهمية خاصّة في الحضارة الإسلامية: نقاء الخطّ هو نقاء الرّوح» [1]، كيف لا؟ وقد ارتبط بتنزيل المولى القدير – القرآن الكريم- ولأنّ للحق سلطان على الإنسان، فإنّنا نجد المستشرق الإيطالي "نالينو Nallino"، الذي لم يصدّه عداؤه للإسلام إلى الاعتراف بأفضلية الخطّ العربيّ، فيصرّح قائلا: «إنّ الخطّ العربيّ موافق لطبيعة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللّاتينية بالحروف العربية لتحتّم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى أبجدية اللّاتينية الحالية، لكي تعبّر عن الأصوات العربيّة التي تمثّلها حروف: ج، ح، خ، ش، ط، ظ، ص، ض، ع، غ، ولاحتجنا كذلك إلى التّمييز بين الحروف المتحرّكة الممدودة و بين الحروف المقصورة» [2] فهذه شهادة من أعداء العرب على أفضلية الخطّ العربيّ الذي لا يناهزه خطّ أو كتابة.

ويسفّه المستشرق الأمريكيّ آراء الذين يقولون باستبدال الخطّ اللّاتيني بالخطّ العربيّ «وما قيل في اللغة يُقال في الخطّ العربيّ، فمن الغبن والعبث أن يحاول أحد-كما حاول بعضهم في الماضي

1- فولف ديتريش فيشر،الأساس في فقه اللغة العربية، تر:بحيري سعيد حسن،المختار، للنّشر، القاهرة، ط.1، 1422هـ/2002م،ص 126.
2- الميداني،عبد الرّحمان حسن حبنكه،أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها،التّبشير،الاستشراق،الاستعمار،ص. 380.

القريب-أن يُقنع الأقوام النّاطقة بالضّاد بأن تستعيض عن خطّها بالخطّ الأوروبيّ، فإنّ حرفا تكتب به العربية، والفلوسية والتركية والأودية، وغيرها لحقيق أن تستعمله الشعوب النّاطقة بالضّاد، ولا يستطيع إنسان اختراع حرف قادر على مجاراة التغيّرات اللّفظية النّاتجة عن تغيّر الزمان والمحيط» [1]، وكأنّي بهم ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾(المائدة 64).

ليس هذا فحسب بل هناك من المستشرقين من دعا العرب إلى مُقاومة هذا الهجوم على لغتهم باعتبارها جزءا من كيانهم وشرفهم أمثال"فتيجو Ftigo" الذي قالها بصراحة«على العرب أن يقاوموا الدّعاية المؤلمة التي تطالبهم بالتّخلّي عن شرفهم وتقاليدهم وإبائهم،وأن لا يستسلموا إلى القوى المستعمِرة»[2]، ومنهم من يتهكّم على المستغربين الذين انسلخوا من قيمِهم،واتّبعوا أهواءهم.

فنجد "فيلا سبازا" (Villa Spaza) يصرّح«إنّ الذين حوّلوا كلّ قواهم إلى التعلّم باللّغات الأجنبية جاعلين لغة أجدادهم في المترلة الثانية أو في طيّ الإهمال قد سدّت دون مواهبهم منازل الألمعية»[3] فالمفرّط في لغته كالمفرّط في عرضه، ثمّ يُضيف «إنّي لأعجب لفئة كثيرة عدوّها من أبناء هذا الشرق العربيّ تنفرط من عقد قوميّتها، ويتظاهر أفرادها بتفهّم الثقافات الغربية تفهّما تامّا.

1- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية،نهضة الشرق العربيّ وموقفه إزاء المدنيّة الغربية،تق:سعيد بذكراد،2013 م، مجلة الدّوحة، قطر، ص.31.

2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص307.

3- المرجع نفسه ،ص 308.

فهم يعجزون بابتعادهم عن لغة قومهم وغرائزهم ولكم رأيت في هذه البلدان العربية أناسا يخدعون أنفسهم ليُقال عنهم إنّهم مُتمدّنون راقون متعالون إلى أسمى درجات المدنية»[1].

وتحدّثوا أيضا عن مستقبل اللغة العربية،فهذا المستشرق اليسوعي "لامنس Lammens" يقول «إنّي أثق بمستقبل حسنٍ للغة العربية،على شرط أن يتولّى الحكم في البلاد العربية رجال ذوو نظر بعيد و أفكار واسعة ووطنية رحبة» [2]، ومن ثمّ فإنّ المشكلة ليست في اللغة العربية وإنّما هي في أهلها.

وأمّا "يوهان فوك" فيصرّح «وإنّ اللغة العربية الفصحى لتدين حتّى يومنا هذا بمركزها العالميّ أساسا لهذه الحقيقة الثّابتة، وهي أنّها قد قامت في جميع البلدان العربية، وما عداها من الأقاليم الدّاخلة في المحيط الإسلاميّ، رمزا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية»[3] إلى أن يقول: «لقد برهن جبروت التّراث العربي التّالد الخالد، على أنّه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر،و لم تخطئ الدّلائل،فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية،ما بقيت هناك مدنية إسلامية»[4]،ذلك لأنّ للحقّ دولة،وللباطل جولة، قال تعالى:﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء 81)، وكما قال الأفغاني: «كان اللّسان العربي لغير المسلمين، و لم يزل، من أعزّ الجامعات وأكبر

1- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص309.
2- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية، ص33.
3- فوك يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب،ص.242.
4- المرجع نفسه، ص242.

المفاخر»[1]، ذلك أنّ الباطل يعلو ويطفو مثل الزّبد، لكنّه ما يلبث يذهب جفاء،فاللغة العربية نقشت حروفها على صفحات التاريخ علّمت العالم الإنسانية في ظلّ التوحيد.

يوحنا يعقوب رايسكه Johann Jakob Reiske 1716 – 1774م: يعد رايسكه من المستشرقين القلائل الذّين درسوا اللّغة العربية بذاتها ومن أجل ذاتها دراسة علمية موضوعية، دفعهم إلى ذلك شغفهم ونهمهم للعلم والمعرفة، فهو مؤسس "الدّراسات العربية في ألمانيا"، وأوّل مستعرب شهير أنجبته، جاء في زمن لم تكن فيه العلاقات مريحة بالنسبة للدّراسات العربية بشكل عام.[2]

كان لـــ"رايسكه" الأثر البالغ في تاريخ حركة الاستشراق الألماني، وربّما نقول الأوروبيّ، فهو مؤسّس اتّجاهه العلميّ، فبينما كانت دراسات اللّغة العربية تقوم أساسا من أجل التّمكن من تفسير نصوص الكتاب المقدّس إذ به يجعل دراستها – العربية – علما مستقلا بذاته، أي: دراسة العربية بذاتها ولذاتها، حيث «رفع رايسكة من النّحو العربيّ إلى سُدّة علم قائم بذاته، وباستثنائه، فإنّ أحدا لم يتوصّل إلى قواعده الخاصّة وإلى استقلاليتها، كما أنّ أحدا لم يتصدّ بوعي إلى اللّغة التّي كانت تدور في فلك اللاّهوت» [3]، وأعرب بوضوح «إذا كان في نيّتنا النّهوض باللّغة العربية فلا ينبغي لنا مزاولتها كما نزاول اللاّهوت»[4]، فهو يرفض تماما أن يربطها بقراءة لاهوتية.

1- عماره محمد، جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق، ص.177.
2- ينظر: فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ص 110.
3- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، ص 199.
4- المرجع نفسه، ص 195.

ورغم معاناته من ضغط الحاجة، واتّهامه بالهرطقة، إلاّ أنّه رفض الرّضوخ لرجال اللاّهوت الذّين طلبوا منه تكذيب نبوّة الرّسول محمّد ﷺ ، ووصف دينه بالخرافة المضحكة، بل وتقسيم تاريخ العالم إلى قسمين (مقدّس ومدنّس)، لكنّه قلّد العالم الإسلاميّ نقطة الوسط في تاريخ الكون كلّه، غير آبه أو مكترث للعواقب الوخيمة التّي يجرّها عليه مثل هذا الموقف.[1]

وحتى عندما منعت عنه الدّولة المعاش الذّي كان يتقاضاه، لم يتخل عن قيمه ومبادئه التّي يؤمن بها، فحسبه أن تضرّع للمولى «إن لم تمدّ لي يد العون يا الله فسأكون من الهالكين في حبّ العربية»[2]، دفعه إلى ذلك كلّه شعور غريب، برغبة قويّة ومُلحة في تعلّم اللّغة العربية وعلومها ودراستها دراسة علمية، فكان بحقّ "شهيد العربية".

1- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، ص.197.

2- المرجع نفسه ، ص. 202.

المبحث الخامس: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم: أساليبهم وأهدافهم

ماهية التّرجمة:

أ -لغة: ورد في لسان العرب: التُرجمان، والتّرجمان: المفسّر للّسان، وفي حديث هرقل:قال لترجمانه، التُرجُمان، بالضّم والفتح: هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التّراجم[1].

ب -اصطلاحا: التّرجمة هي:«شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقّي أو المستمع» [2]، وهي«في الأصل نقل الكلام من لغة إلى أخرى قصد إيضاح معنى الكلام وتبيين القصد منه»[3]، وتُعَرَّف أيضا بأنّها : «نقل الكلام المعبّر عنه بلغة مطلوب فهم هذا الكلام بها سواء كان هذا الكلام شفهيا أو مكتوبا»[4].

والتّرجمة بهذا المعنى من أهمّ الوسائل لتبادل المعارف والثّقافات بين الأمم في مختلف الحقول المعرفيّة (علوم، آداب، طب، فلسفة...)،كما حدث في العصر العبّاسيّ حينما نقل العرب علوم الهند واليونان والفرس إلى اللّغة العربية، وكما حدث في النّهضة الأوربيّة فكانت التّرجمة وليدة الحاجة لنقل علوم العرب المتطوّرة التي كان يفتقدها الغرب، وباختصار فإنّ التّرجمة هي تلك النّافذة التي تستفيد عبرها الشّعوب المختلفة فتستنير بنور غيرها.

1- ابن منظور، لسان العرب،ص 427.

2- العيسى سالم، التّرجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،د.ط،1999م،ص.07.

3- عيسى بريهمات، الترجمة والتّأويل، المجلّة الحامعية،المركز الجامعي، الأغواط، العدد 01، ماي،2003م،المجلّد .03،ص.67.

4- المرجع نفسه،ص.67.

شروط التّرجمة الجادّة: أجمع الباحثون المهتمّون بعلم التّرجمة على وجوب توفّر شروط أربع لتحقيق عمليّة التّرجمة[1] وتكمن في:

1 -علم المترجم للغتين:المترجم منها، والمترجم إليها.
2 -المعرفة بخصائص اللّغتين ودقائقهما.
3 -ترجمة جميع معاني الأصل ومقاصده قدر الإمكان.
4 -استقلال صيغة التّرجمة عن الأصل.

وأوّل عقبة تواجه المترجِم هي الاختلاف الحضاريّ والثّقافي بين الشعوب يشعر بحاجة دائما إلى التّقريب بين معاني هذه الكلمات وتلك، ونادرا ما نجده ينجح في ذلك، وما أروع أن تكون التّرجمة نبضا صادقا، وصور ة حقيقية لنقل الثقافات والعلوم والمعارف، بعيدة عن تشويه وإفساد لغة أو فكر أيّ أمّة كانت.

ترجمة معاني القرآن الكريم: إنّ ترجمة معاني القرآن الكريم* عبارة عن تفسير موجز للقرآن في لغة أجنبيّة، ويقال لها: التّرجمة التّفسيرية [2]، والمقصود هنا نقل مدلول الآيات الكريمة إلى لغة أخرى

1- ينظر،شوق،شاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها،دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلّد،04، ديسمبر 2007م، (ص74/57)،ص 60.

* هناك فرق بين "ترجمة القرآن" و"ترجمة معاني القرآن"،فأمّا الأولى فلا يمكن تأديتها مهما كانت التّرجمة متقنة لأنّ إعجاز القرآن يشمل جميع معانيه ومحاكاة بلاغته وأساليبه فهذا مالا يستطيعه بشر،فهي مستحيلة في حقّ القرآن الكريم، من غير الممكن نقله إلى اللّغات الأخرى في أيّ حال من الأحوال،وأمّا الثانية: وتعني أنّ القرآن هو الأصل الأوّل للشريعة الإسلاميّة، ونظام حياة، وهداية للنّاس، فيرجع إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفهمها وآدائها جميع النّاس، وتستطيعه كل اللّغات، وهذا النّوع من المعاني يمكن ترجمته لفائدة غير العرب من أجل نشر الدّعوة الإسلامية للنّاس عامّة قال تعالى﴿ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾سبأ28 ،ينظر، النّدويّ، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب،ص.14.

2- النّدوي، عبد الله عبّاس، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، دعوة الحقّ، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة، 1417ه/العدد، 174، السّنة الخامسة عشر، ص.13.

حسب قدرة المترجم وما تسعه لغته، فهي تُعين المسلمين من غير العرب على تفهّم معاني القرآن، والتّعرّف على أحكامه،كما أنّها وسيلة هامّة لتبليغ الرّسالة الخاتمة للنّاس كافّة.

وزيادة عن شروط التّرجمة الآنفة الذّكر فإنّ ترجمة معاني القرآن تحتاج إلى[1]:

1 -استناد التّرجمة إلى الأصول الصّحيحة التي ينبغي الاعتماد عليها في تفسير القرآن وبيان هديه وأحكامه من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

2 -الابتعاد عن الهوى وعدم الميل إلى عقيدة معيّنة مخالفة لما جاءت به الشّريعة الإسلاميّة وهذا شرط في كلّ من المفسّر والمترجِم حتّى لا يفسِّر الأوّل بهواه، ولا يترجِم الثاني برأيه وعقيدته، بل يكون رائد كلّ منهما القرآن الكريم.

3 -عدم توهّم أنّ هذه الترجمة هي نفسها القرآن أو أنّها تشمل على جميع ما حواه من معان وأسرار، فهذا ما لا يمكن أن تحيط به ترجمة من التّرجمات،ولا ينبغي لبشر مهما أوتي من بلاغة وبيان.

وهذا ما يعرفه القاصي والدّاني، ولا يستطيع أن ينكره عليه أحد،اعترف به حتّى أعداؤنا الغربيّون حيث يقول المستشرق **براون** (**Browne**): «نحن نختلف مع المسلمين في كوننا نعتبر كتابنا مقدّسا سواء أقرأناه في اللّغة الأصلية أم في لغتنا الحالية،أمّا المسلمون فيعتبرون القرآن كلام الله وإنّه لتتريل من ربّ العالمين،وأنّ الله هو الذي يخاطبهم وليس محمّد، ولذلك فإنّ القرآن لا يمكن

1- ينظر،عبد الرّحيم،عبد الجليل،لغة القرآن الكريم،ص.537.

ترجمته إلى لغة أخرى، لأنّ المترجِم مضطّرٌ أن يورد في ترجمته قدرا من التّفسير يستعين به على إظهار معانيه بالإضافة إلى أنّ المسلم سواء كان فارسيّا أم تركيّا أم... فإنّه يرتّل القرآن باللّغة العربية، ويتلفّظ بالشّهادة باللّغة العربية»[1].

ولولا هذه العناية الرّبانية للقرآن الكريم لما عاشت اللّغة العربية على مدى هذه القرون ثابتة تقاوم أعاصير الزّمن وعواصف المحن وهذ ه شهادة المستشرقين أنفسهم،حيث يصرّح **نولدكه:** «بالرّغم من نظرة أمثالنا الغربيّين إلى القرآن من حيث الوحي،فإنّنا على ثقة من أنّ كل كلمة فيه وكلّ حرف منه هو اليوم كما في أيّام محمّد»[2]، فالقرآن وحده هو الذي حفظ العربية من الاندثار والضّياع، بل وارتقى بها إلى درجات الجمال والكمال بخصائص ثابتة لا تنفصم عن جوهرها.

وما يهمنا نحن في هذا الصّدد،كيف تناول المستشرقون مسألة ترجمة معاني القرآن الكريم،كيف كان منهجهم؟ وما هي أهدافهم؟ وهل تمكّنوا من الوصول إليها؟

ترجمة القرآن الكريم: أساليبها وأهدافها.

ما لا شكّ فيه أنّ الإسلام ومنذ انبلاج فجره،قد واجه تحدّيات جمّة حاولت طمسه وقمعه، من حروب عسكرية إلى حروب فكرية، تعدّدت أشكالها وتوحّد الهدف، وها نحن نقف على شكل آخر من أشكال العداء والمتمثّل في ترجمة القرآن الكريم.

1- الجندي، أنور، عالمية الإسلام، مجلّة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، تصدر كلّ شهر، ص107.
2- المرجع نفسه،ص.105.

اتّجهت جهود الغرب والمستشرقين للإسلام قديما وحديثا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن الكريم، وما كان ذلك وما يكون إلّا بتعلّم اللّغة العربية وإتقانها والأخذ بناصيتها.ظهرت أوّل ترجمة لاتينية للقرآن برعاية الأب بطرس المبجّل رئيس دير كلوني،التي عهد بها إلى الإنجليزي روبرت كيتون Robert Kotten بمساعدة الألماني هرمانوس (Hermanus) وراهب اسباني مجهول الاسم، والتي استغرقت ثلاث سنوات من (1141إلى 1143م)، اتّصفت هذه التّرجمة بالتّعليقات على القرآن الكريم بحيث أصبحت لا تنطبق والمعاني الواردة به، لما شابها من تصرّف وحذف وتغيير،كما رافقت هذه التّرجمة تعليقات وملاحظات للنّيل من الآيات القرآنية،وتغيير أحكامها[1].

أهداف المستشرقين من ترجمة القرآن الكريم: يقول يوهان فوك في دراسته التّاريخية للاستشراق: «ولقد كانت فكرة التّبشير هي الدّافع خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللّغة العربية» [2] ثمّ يضيف أنّ«هذه الفكرة التي أدّت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسّعا من خلال تنقلات الوعّاظ الدّينيّين لطائفتي الدّومنيكان والفرنسيسكان»[3].

والحقيقة أنّ البواعث وراء ترجمة القرآن الكريم لم تكن نشر تعاليم الإسلام بين ربوع الغرب المسيحيّ، بل كانت ترجمته وسيلة فكرية اتّخذها القائمون عليها لإيصال نظرة خاطئة وسيئة بل ومُشوّهة للمسيحيّين عن الإسلام، حتّى لا يعتنقه بنو جلدتهم من جهة، وحتى يعملوا على دحضِه ونقضِه والرّد عليه من جهة أخرى «إذ إنّ ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبية لم تَتِم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرّد، أو التفاعل والتّكامل مع الآخرين، بل إنّها تمّت بقصد معرفة المواطن الّتي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عمّا يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التّركيز عليها

1-ينظر،الحاج،ساسي سالم،نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظّاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الاسلاميّة،ج.1، ص .258.

2- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية في أوربا حتى بداية القرن العشرين،ص16.

3- المرجع نفسه،ص22.

لقهر "الآخر" وهزيمته والسّيطرة عليه»[1]، وذلك من خلال الشبهات حول مسائل شرعية كتعدّد الزّوجات ولبس الحجاب، ومسألة الميراث.

ولنأخذ مسألة الميراث على سبيل المثال، يزعم المستشرقون بأنّ الإسلام بطرَ حقّ المرأة وجعل مترلتها دون الرّجل في الإرث، من غير حقّ، آخذين الآية الكريمة ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (النساء11) دليلا على انتهاك الإسلام حقوق المرأة واستعبادها من طرف الرّجل الذّي يرث ضعف ما ترِث هي من أجل تشويه صورة الإسلام والمسلمين ،بينما نجدها في تفسير ابن كثير: يأمركم بالعدل فيهم، فإنّ أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذّكور دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتّسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوت بين الصّنفين، فجعل للذّكر مثل حظّ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرّجل إلى مؤونة النّفقة والكلفةومعاناة التّجارة والتّكسب وتجشّم المشقة، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى.[2]

ويذكر "جورج سيل" في مقدم ة ترجمته للقرآن«بأنّ الهدف منها هو تسليح النّصارى البروتستانت في حربهم التّنصيرية ضدّ الإسلام والمسلمين،لأنّهم وحدهم قادرون على مواجهة القرآن بنجاح، وأنّ العناية الإلهية قد ادّخرت لهم مجد إسقاطه»[3] ذلك أنّ خروج القرآن الكريم عن اللّغة العربية يؤدّي تلقائيا إلى تحريفه، والخروج عن مراد معانيه، وهذا مطلب من أهمّ مطالب الاستشراق وإذا كانت اللغة العربية «لغة عالية بكل معنى الكلمة، ونزل بها كتاب أعلى منها في ذاتها، فكيف يوضع هذا الكتاب ويقرأ بلغات قاصرة ونازلة عن لغة كانت نازلة عن هذا الكتاب؟»[4]

1- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن الكريم،د.ط، د.س، ص74.

2- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة، ج2، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 1997، ط.2، 1999، ص 225.

3- المرجع نفسه، ص75.

4- البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.01، 1400هـ/1980م، ص.100.

إذن فالغاية القصوى، والهدف الأساسي من هذه التّرجمات هي خلق الثغرات في بنائه المحكم، ومعارضة أحكامه، والدّس فيه بما يخدم مصالحهم ويحقّق غاياتهم، فقد اعترف بذلك بطرس المبجّل حيال ترجمته حين قال:«وبيان الغرض سعي إلى تحقيقه، وهو الاطّلاع على أفكار الخصوم ودراستها، لبيان سذاجتها ومُقارعتها بالدّليل والبرهان الّذي يناقضها بل إنّه إن لم يتيسّر له ذلك فلا أقلّ من منع المسيحيّين من اعتناق ديانة الإسلام بعد اطّلاعهم على ما جاء في القرآن من مبادئ وأحكام لا تشجعهم على ذلك» [1] فدأبهم هو زرع الشّك والرّيبة في صحة القرآن الكريم وأصالته من جهة،وتحريفه وتزييفه،ونشر الشّبهات من جهة أخرى.

أساليبهم في التّرجمة:

1 تشويه التّرجمة: من خلال إسنادها إلى مترجمين غير أكفاء عاملوا النّص القرآني معاملة النّص البشريّ للحدّ من إقبال الغرب على هذه التّرجمات، وبالتّالي نفورهم من القرآن الكريم، فالتّرجمة الحقيقيّة والموضوعية لا تكون إلا عن مترجم حاذق ومُلمٍّ باللّغتين المترجم منها والمترجم إليها.

ويعدّد "صالح البنداق" وجوه تشويه ترجمات القرآن الكريم فيما يلي:

- ✓ تضليل وتمويه القارئ من خلال إزاحة الآيات من مكانها الأصليّ.
- ✓ التّرجمة الحرّة وتحاشي التّرجمة العلميّة، من خلال عرض النّص كما يريد المترجِم لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.
- ✓ التّقديم والتّأخير والحذف والإضافة،ممّا يسمح بالقول بأنّ:«ترجمات القرآن الّتي يعتمد عليها "الإفرنج" في فهم القرآن كلّها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤدّيها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر» [2]. وهذا ما سعى إليه المستشرقون.

1- الحاج،ساسي سالم،نقد الخطاب الاستشراقيّ، الظّاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الاسلاميّة، ج.1،ص263/264.

2- ينظر،عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن، ص76/77.

2 إضافة المقدّمات والملاحق: لم تكد تخلو ترجمة من ترجمات القرآن الكريم من تلك الإضافات التي كتبها أصحابها من مقدّمات تفسيريّة وملاحق كلّها تصب في وعاء واحد،وهو التّشكيك في أصالة القرآن الكريم ومحاولة الحطّ من شأنه، والابتعاد بالقارئ عن حقيقة كنهه،فها هي الباحثة "هداية عبد اللّطيف مشهور" في دراستها للتّرجمة الفرنسية للقرآن الكريم تقول:«رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقرآن بالفرنسية، فوجدتها كلّها محرّفة، وتضيف نصوصا من التّوراة إلى آيات القرآن الكريم دون الإشارة إلى ذلك»[1]. كيف لا؟ والأساس الذي قامت عليه هذه التّرجمات باطل.

أمّا الكاردينال* يوحنا الأشقوبيّ الاسبانيّ (ت1456) وبعد انتهائه من ترجمة القرآن الكريم إلى اللّاتينية ألحق بالتّرجمة جدلية ضدّ الإسلام بعنوان«طعن المسلمين بسيف الرّوح»[2].

كذلك ترجموا أحقادهم الدّفينة على الإسلام والمسلمين فلم يستطيعوا إخفاءها رغم محاولاتهم ذلك،فما أضمر ابن آدم شيئا،إلّا وظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه.

3 عنونة ترجمات القرآن: لم يكتف هؤلاء المترجمون بسلب القرآن الكريم معانيه وتفسيراته، تبشيراته وإنذاراته، روعته وتجلياته،فسلبوه اسمه أيضا، وحاولوا جهدهم قطع أيّ صلة به وبين الوحيّ الإلهيّ، فجاءت عناوينهم على النّحو الآتي:[3]

- "القرآن أو قانون المسلمين لمحمّد بن عبد الله" ترجمة: فريدرش إبرهارد بويسن .F.E.Boysen

---

1- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن ،ص78.

* **الكاردينال**:ج. كرادلة، هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية، وهو عضو مجمع الكرادلة وفي الكوريا الرومانية، ويعتبر "أمير" في الكنيسة. ويتم تعيين الكرادلة من قِبل البابا. يتولى الكرادلة مهمّة انتخاب البابا القادم في حال وفاة البابا لكن يُستثنى من هذا الانتخاب الكرادلة الذين يبلغون من العمر ثمانين عاماً أو أكثر. الكاردينال هو رجل دين مهمّته انتخاب البابا . عدد الكرادلة الذين ينتخبون البابا120 أمّا عدد الكرادلة الحاليين 210، كاردينال/https://ar.wikipedia.org/wiki

2- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن ، ص79.

3- عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد،ماذا يريد الغرب من القرآن،مجلة البيان،الرّياض،ط.1، 1427ه/2006م، ص41.

- "قوانين الأتراك أو قرآن محمّد" ترجمة:يوهان لانج YOUHAN LANG،وفي طبعته عام 1616م أسماه:"قرآن محمّد:القرآن التركي،ديانة وخرافات".
- "مسامرات محمّد" ترجمة: لين بول LIEN PAUL.
- "أخلاق الشّرق الممثلة في قرآن محمّد" ترجمة:جوزيف تيلا JOSEF TIELA.
- "محمّد ومؤلّفه" ترجمة:فريدرش داومر F.DAUMAR.
- "الكتاب المقدّس التركي" ترجمة: دايفد ميجرلن DAVED MEGERL .

حقيقة هذه الترجمات : لم تأت هذه التّرجمات في واقع الأمر إلا من أجل محاربة القرآن ومقارعته بعد الوقوف على مضمونه من حيث هو مصدر للشريعة ،بغاية هدم كيان الإسلام ودحض تعاليمه وتفنيدها، إمعانا منهم في التّحريف والتّضليل فهي « لم تكن في حقيقتها إلّا تحريفا لمعاني القرآن تتستّر وراء أردية علمية ومنهجية »[1] وحتى أولئك الذين وصفوا بالإنصاف على نحو المفكّر الفرنسيّ الكبير "جاك بيرك Jack Berque " الذي يرفض انتماءه إلى حركة الاستشراق ويتمسّك بأنّه دارس للتّاريخ ومؤرّخ إلا أنّه «حين أصدر ترجمته لمعاني القرآن التي صدرت في فرنسا عام 1990م كشف عن وجه آخر " فقد برز اهتمامه بتقديم معاني القرآن مشوّهة للغرب"لأنّ الكثير من النّاس والمفكّرين الذين لا يقبلون الصّورة الماديّة للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك: هذا المجتمع الماديّ ويفضّلون على المدنية المعاصرة مدنية الإسلام الرّوحية وينادون بالعودة إليها"فكأنّه أراد أن يقول للمفكّرين الفرنسيّين الذّين أصبحوا يرفضون حضارة الغرب الآن،ويرون أنّها على وشك الانهيار لأنّها فقدت الأساس الرّوحي،يريد أن يقول :هذا هو الإسلام أيضا مليئٌ بالخرافات والمتناقضات إلى آخر الاتّهامات القديمة المعروفة التي ترددّ كثيرا»[2] .

1- الجندي،أنور، عطاء الإسلام الحضاري، رابط العالم الإسلامي، رجب 1416هـ، العدد.163، ص121.
2- المرجع نفسه، ص121.

ويعترف المستشرق الفرنسي "رجيس بلاشيم" (Régis Blachère) بافتراءات أوربا على الرسول ﷺ وتزييف ترجمات معاني القرآن في القرن الخامس عشر التي سوّلتها لهم أنفسهم فيقول:"إنّ هذه كلّها تمثّل عنصرا أساسيا في الصّراع القائم ضدّ الإسلام" [1]،وهكذا نجد أن عمل المستشرق "**جاك بيرك**" لا يعدو أن يكون اجترارا وتكرارا لأفكار أقرانه من المستشرقين.

وتتلخّص المحاور الأساسية لعمل هذا الأخير فيما يلي:

1 -التّشكيك في نزول وترتيب وتجميع القرآن متغافلا عن قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ (الإسراء 105إلى 108)

وأمّا عن جمع القرآن فيقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (القيامة 6 إلى 19).

2 -تأثر القرآن بالشعر الجاهليّ والفكر اليوناني القديم ومزامير داود، متجاهلا قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ (يس 69)

3 -احتواء القرآن على خط أسطوري مثيولوجي والمولى يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ (الكهف 1)

4 -التناقض بين الإشارة إلى أهمية العقل في القرآن وبين الإيمان بالغيب الذي يعني عنده مساحات من الظّلام والغموض.

1- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، رابط العالم الإسلامي، رجب 1416هـ، العدد.163، ص122.

5 -إنّ مفهوم الله "تبارك وتعالى" في القرآن يثير الرّعب في نفوس المؤمنين[1]. ويغفل قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزّمر53) وقوله كذلك: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنعام 54) وغيرها كثير من الآيات بيد أنّ القرآن الكريم لم يغفل عن أمثال هذا المستشرق حين قال في سورة الإسراء 82: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ وفي سورة مريم 97 يقول المولى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

ويقول جاك بيرك «إنّ أقلّ ما يمكن أن يقال هو أنّ القرآن لا يتضمّن آية قرآنية بالمعنى المفهوم لا في العبادات ولا في مفهومها ثمّ ينتقد غموض التّعبيرات في الأحكام وتناقض الشريعة ويتّهم بعض المفسّرين الكبار بتحريف معاني بعض الآيات كما يحاول الإيحاء بأنّ مفهوم الله "تبارك وتعالى وجلّ وعلا" هو ترديد لذات المفهوم في الفكر اليونانيّ القديم» [2]، فإذا كان هذا المستشرق قد تحمّل وكابد عناء تعلّم اللّغة العربية ثمّ تعب و نصب في ترجمة القرآن الكريم وسافر وبحث ليخرج بهذه النتيجة ، فمثله كمثل الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ

1- ينظر، الجنديّ، أنور، عطاء الإسلام الحضاريّ، ص 163.

2- المرجع نفسه، ص123.

كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (الأعراف 175 إلى 178).

ونخلص إلى أنّ هذه الترجمات «لم تف بالمعنى القرآني المطلوب،كما وأنّها مع المقدّمات التي كتبت لكل ترجمة كان هدف بعضها إعطاء فكرة مشوّهة عن الإسلام ونبيّه وكتابه،فنجدها عامرة بالقصص الخياليّة كان هدفها في البداية تنمية الحقد لدى المقاتل الصّليبي في الحرب ضدّ المسلمين لكنّها سرعان ما أصبحت سلاحا فكريّا للتّأثير على المثقّف الأوربيّ التي يجب أن يكوّنها عن الإسلام على نهج ما أرادته الكنيسة الأوربيّة منذ البداية»[1]، وبالتّالي فقد ابتعدت هذه التّرجمات عن الموضوعية وعن الأمانة العلميّة.

ويحذّر "ساسي سالم الحاج" من خطورة هذه الترجمات فيقول بأنّ لها «آثاراً بعيدةالمدى، شديدة الخطر، بالغة الدّقة من أهمّها أنّ هناك أقواما وشعوبا اطّلعوا على هذه التّرجمات،واستنبطوا منها ماشاؤوا من نتائج دينيّة وعلميّة بعيدة الخطر، فمن خلال هذه التّرجمات وقّف العديد منهم حياته وأفناها على دراسة الإسلام وتراثه وحضارته وتاريخه،ومن خلال هذه التّرجمات اطّلعوا على عقليات الشّعوب الشرقيّة، درسوا أحوالها وتتبّعوا طبائعها،وبيّنوا خصائصها،تمهيدا للاستيلاء عليها واستعمارها ومن خلال هذه التّرجمات أورد المستشرقون تلك الشّبهات التي وصفوا بها الإسلام وكتابه المقدّس،فمنها حكموا على أنّه ليس كلام الله ولكنّه من صنع البشر، ومن خلالها تلمّسوا له مصادر داخلية وخارجية ومن خلالها أنكروا إعجازه، وعدم انتظام أسلوبه وقوّة بلاغته» [2]، إذن فتأثير هذه الترجمات على الأوربيين كان سلبيا أكثر من كونه إيجابيا، وهذا ما سعت إليه الكنيسة الأوربية و سار على دربه الكثير من المستشرقين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال 30)، لأنّهم سعوا دائما إلى تضليل الغربيّين وإبعادهم عن الفكر الإسلاميّ بل وإعطائهم

1- فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتّاريخ الإسلامي، الأهليّة،لبنان،ط.1،ص201.

2- الحاج،ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 266.

صورة خاطئة محرفة له حتى لا يميلوا إلى هذا الدّين ولا ينجذبوا إليه فالهدف هو وضع حاجز معرفيّ يحول بين الغربيّ والإسلام من حيث كونه دينا قائما بذاته.

منهج الغرب في ترجمة القرآن الكريم:

وأمّا منهج الغربيّين في ترجمة القرآن الكريم، فلا يمتّ للمناهج العلميّة بصلة،وهذا ما ذهب إليه **موريس بوكاي** (Maurice Bucaille) «وإذا أمعنت النظر في طرائق الغربيين في ترجمة القرآن، علمت أنّه من غير الممكن أن تحصل على واحدة يُطمأن إليها بين ترجماتهم »[1] وترجع سقطات هؤلاء الغربيّين حسب رأي "عباس محمود العقّاد" إلى أمرين اثنين حدّدهما بدقّة في قوله:«ويدُر أن تقرأ في كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئا من مآخذ التناقض في الإسلام، إلّا بدا لك بعد قليل أنّه مخطئ، وأنّ مردّ هذا الخطأ عنده إلى جهل الإسلام أو جهل اللغة العربية، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين، لأنّه يستظهر ألفاظها ولا يتذوّقها ولا ينفذ إلى لُبابِها من وراء نصوص القواعد والتراكيب» [2] ذلك أنّ الجهل باللغة العربية يؤدّي إلى الجهل بلغة القرآن الكريم ومن ثمّ الجهل بتعاليم الإسلام بصفة عامّة.

غير أنّ هناك سببا أعمق يمثل فساد ترجماتهم وهو راجع إلى الدّوافع الكامنة و الأصلية وراء ترجمة القرآن الكريم من حقدٍ دفين وحسدٍ كبير للمسلمين وكره لدينهم وعقيدتهم:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النمل 14)، فهذا "**بوكاي** Bucaille" يتحدّث «بحثنا عن السّبب في فساد الترجمة وجدناه راجعا إلى هذه الدّوافع بأكثر ممّا يرجع إلى الضّعف في معرفة اللغة العربية»[3]، فلا غرو في أنّ القرآن المترجَم لا يجد قارئه أيّ ذوق أو جاذبية،أو إحساس يختلج نفسه، ويحيي خطرات قلبه،على عكس ما يستشعره من بلاغة المعنى

1- عبد المحسن، عبد الرّاضي محمد، ماذا يريد الغرب من القرآن، ص51.
2- المرجع نفسه،ص72.
3- م.ن، ص 56.

وسلاسة الأسلوب وعذوبة القول والسّكينة التي تختلج قلبه عندما يقرأ القرآن باللغة العربيّة، والمولى تعالى بقول: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾(الحشر 21).

أمثلة عن بعض ترجماتهم:

يترجم الفرنسي"**جاك بيرك**"قوله تعالى﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾ (البقرة 138) إلى:

Une teinture de dieu !mais qui peut mieux teindre que dieu, quand nous l'adorons ?

ومعناها: صباغة (تلوين) من الله ! لكن من ذا الذي يمكنه أن يصبغ (يلوّن) أفضل من الله، عندما نعبده؟ [1] لكننا نجدها في تفسير ابن كثير "صبغة الله": قال الضّحاك، عن ابن عباس: دين الله، وكذا روى عن مجاهد، وأبي العالية، وعكرمة وإبراهيم، والحسن وقتادة، والضّحاك.[2]

ويترجم الألماني"هيننج HENNINO " قوله تعالى﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾(آل عمران07) إلى:

Inihm sind evidente verse, sie, die Mutter des buches, und andre mehrdeutige.

ومعناها: فيه آيات واضحات هنّ والدة الكتاب وأخرى متعدّدة المعنى[3].

1- عبد المحسن، عبد الرّاضي محمد، المرجع السابق،ص 62.

2- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ج.1، ص 450.

3- المرجع نفسه، ص63.

أمّا معناها في تفسير ابن كثير: يخبر الله تعالى أنّ في القرآن آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، أي بيّنات واضحات الدّلالة، لا التباس فيها على أحد من النّاس وعن إسحاق بن سويد أنّ يحي بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية: "هنّ أمّ الكتاب"، فقال أبو فاختة: فواتح السّور ، وقال يحيى بن يعمر: الفرائض، والأمر والنّهي، والحلال والحرام.

وعن سعيد بن جبير "هنّ أم الكتاب" يقول: أصل الكتاب، وإنّما سمّاهنّ أمّ الكتاب لأنّهن مكتوبات في جميع الكتب.[1]

أمّا الانجليزي آربري ARBERRY فيترجم قوله تعالى: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا ﴾ (البقرة61). إلى: Get you down to egypt

ومعناها: انزلوا إلى جمهورية مصر العربية[2].

أمّا في تفسير ابن كثير فمعناها قال ابن عبّاس: "اهبطوا مصر" قال مصرا من الأمصار، رواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعيد.[3]

وهذه شهادات لبني جلدتهم حول هذه التّرجمات، والحق ما شهدت به الأعداء، يقول الأب روبير كاسبر PATER :ROBERT CASPER: «إنّ الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبدا، بل و لم يحاول ذلك مطلقا، وحتى خيرة المسيحيّين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام – من أمثال: يوحنا الدّمشقي، ينودور أبي قرّة، أوبولس الصّيدنوني- لم يتمكّنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، والتي تتمثّل في السّمو إلى الله الواحد الأحد، ولعلّ ذلك يرجع

1- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 07.
2- عبد المحسن ، عبد الرّاضي محمد، ماذا يريد الغرب من القرآن،ص64.
3- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج.1، ص 281.

أساسا إلى أنّ الغرب المسيحيّ قد اكتفى لعدّة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسّسه بأسخف الأقوال دون أن يكلّف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة»[1].

أمّا الكاتب "سير ادوارد دنيسون روز" (Sir Edward Coke) فقد وصف ترجمات المستشرقين المتعصّبين قائلا: «إنّ المعرفة التي يملكها أغلبية الأوربيّين تجاه الإسلام مبنية كلّيا على التقارير المشوّهة التي أعدّها المتعصّبون من النّصارى عن الإسلام، وقد أدّت هذه التقارير إلى انتشار عدد كبير من الافتراءات الفادحة،وكلّ ما وجدوه في الإسلام من خير تجاهلوه، وكل ما هو غير طيّب في أعين أوربية كبّروه وبالغوا فيه أو حرّفوه» [2]، متجاهلين بذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾(يونس69) وقوله في سورة (هود 18): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

حاول المستشرقون من خلال ترجماتهم للقرآن الكريم صنع حاجز أو مانع يحول بين الأمم الإسلامية وبين تقدّمها وتطوّرها، فهذا **اللّورد كرومر** (Comte Cromer) يقول: «إنّ القرآن هو المسؤول عن تأخّر مصر في مضمار الحضارة الحديثة»، وقد ردّ عليه " **شميل** Shemale" حيث قال:«لقد أخطأ المستر كرومر،والخطأ تسرّب إلى حكمه حيث قال أنّ شريعة القرآن لا توافق العمران في كل عصر، والمُنْصِفُ لا يسعده أن يلقي على القرآن تبعة تقهقر الأمم الإسلامية، فإذا أرادت الأمم الإسلاميّة أن تجاري الأمم المتمدّنة في ارتقاء فالقرآن لا يحول دونها، وإنّ في القرآن أصولا اجتماعية عامّة، وفيه من المدوّنة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان، وإنّ القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة لترقية الرّوح والجسد بعد أن أوصد

1- الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج.1، ص72.

2- النّدوي،عبد الله عبّاس،ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب،دعوة الحقّ،جمادى الآخرة 1417ه، العدد 174،ص47.

غيره تلك الأبواب، فقصر وظيفة البشرية على الزّهد والتّخلي عن هذا العالم الفانيّ» [1] إذا كانت هذه شهادة المستشرق فحريٌّ بنا نحن المسلمين تقديس كتاب ربّنا والدّفاع والذّود عنه بكل ما أوتينا من قوّة، وتنبيه أبناء أمّتنا إلى أخطار هذه التّرجمات الضّالة وكشفها وسيلة للكيد للإسلام ولكتابه ودعوته وأمّته، فالقرآن الكريم نور يستضاء به بقوله تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ (سورةإبراهيم 01).

تبيّن لنا جليّا أنّ المستشرقين قد ترصّدوا للقرآن الكريم،فصبّوا كامل عزائمهم للبرهنة على كونه موضوعا لا وحيا من الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال دراساتهم المشوّهة والملفّقة له، حتّى أنّ أحد مترجمي القرآن في القرن الثامن عشر ذهب إلى أنّ النّبي محمّد ﷺ «كان في الحقيقة مؤلّفا للقرآن ومخترعا له، ولا يمكن الجدال حول هذا الأمر مطلقا» [2] فاعتبره البعض مجرّد اختلاف، وعدّه البعض نارا شاعرية،وخيالا، أو حتى شعلة عبقرية [3]، رافضين بذلك الاعتراف به كونه قرآنا عربيّا نزل به الرّوح الأمين على قلب النّبيّ الكريم ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين.

وحقيقة الأمر أنّ القرآن نفسه تولّى الرّد على ادّعاءاتهم وافتراءاتهم قبل ما يزيد عن العشرين قرنا،بقوله عزّ من قائل﴿:أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ (النّساء 82)، فقط طالبهم بتدبّره وتأمله والتّفكّر في معانيه التي جاءت على نسق

1- محمد أمين حسن محمّد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم،دار الأمل،الأردن،ط.2004،1م،ص 397.
2- آصف، حسين،صراع الغرب مع الإسلام،ص.72.
3- ينظر،المرجع نفسه،ص.72.

محكم يقطع بأنّه من عند الله وحده، فيدركوا عظمته ويعلموا أنّه الحقّ من ربّهم فيؤمنوا به وتخبت له قلوبهم.

الفصل الثالث

آثار الحركة الاستشراقية وأبعادها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"فإنّ الأمّة العزيزة: تعتزّ بلغتها، وتحرص على استقلالها اللغويّ، كما تحرص على استقلالها العسكريّ، والاقتصاديّ سواءً، وتحرص قوانينها اللغويّة، وتتمسّك بها، والأمّة الذّليلة، تفرّط في لغتها، حتّى تصبح أجنبيّة عنها وفي منصرة إليها"

فضل العربيّة وجوب تعلّمها ص56

المبحث الأوّل: انعكاسات دعوات المستشرقين الغرب على المثقّفين العرب

تحوّل الصّراع القائم بين المستشرقين ، وأنصار اللغة العربية الفصحى من كونه صراعا (غربيا/عربيا)، إلى صراع (عربي/عربي)، بعد أن لاقت دعوات المستشرقين استحسانا عند بعض المستغربين العرب الذين حذوا حذوهم، فانسلخوا عن جلودهم، وسقطوا في مكائد الأعداء الغرب الذين رسموا لهم الطريق، ونجحوا في ذلك إلى حدّ كبير، فلا تزال هذه القضية تشكّل محوراً خطيراً إلى حدّ السّاعة .

وكان من أهمّ خطط الغرب أن عمد إلى « إغراء المسلمين بالمنح الدّراسية المجانية في بلادهم وجامعاتهم ولازال، فانجذب إليهم عدد كبير من علمائنا وأدبائنا ومفكّرينا وطلابنا الذين خضعوا – دون أن يدروا – لعمليات غسيل أدمغتهم بأسلوب ذكيّ ماكر، فتحوّلوا إلى جنود مجنّدة لنشر سموم الغرب العلمانيّ الملحد في جامعاتنا ومدارسنا وفي كافّة مؤسساتنا التّربويّة والإعلاميّة»[1]، وأنفقت حركة التّغريب هذه أموالا طائلة لتخريب عقول هؤلاء الوافدين إليها، واستدراجهم لتغيير جلدتهم حتى أصبحوا منتمين للغرب فكرا وثقافة وسلوكا، وبوقا يردّد دسائسهم وافتراءاتهم لأنّه من ضعفت إرادته، وزاغ عن الهدى، وعميت بصيرته، فسيكون ألعوبة في يد العدو يوجّهها كيفما يشاء.

1- النّشواتي، محمد نبيل، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، دار القلم، دمشق، ط.01، 1431ه/2010م، ص.77.

وتعد حركة التغريب هذه من أكثر الحركات فتكا، وأشدّها خبثا فهي لا تهدف إلى فهم نفسيات الشعوب وتفكيرهم وتطلعاتهم فحسب، بل ترمي إلى التّأثير في هذا الفكر، وتغييره حسب ما يوافق مصالحها، بزرع الفتن والشكوك في الحقائق التي لا غموض فيها.

وأمّا الهدف فهو بعث جيل جديد يتنكّر لأصله ومبادئه وقيمه، بل ويرفضها، وفي المقابل نجده يبدي إعجابا وانبهارا وتقديرا لأفكار الغرب وانجذابا غريبا نحوه: «والخطر الخفيّ الذي يكمن من وراء هذا الاتّجاه هو تنشئة جيل من أبناء العرب لا يستطيع أن يتذوّق أساليب البيان العربيّ الأصيلة، ولا يحلو في أذنه وفي ذوقه إلا أساليب البيان الغربيّ وموضوعات الأدب الغربيّ، وإذا نفر الشباب من شعر المتنبي وأبي تمام، بل من أسلوب القرآن، فانصرف عنه، ثمّ استخف به واحتقره، ثمّ عجز عن تذوّقه وعن فهمه، فقد حكمنا على كل هذا الأدب بالكساد ثمّ بالموت»[1] فمنتهى غاية الغرب هو وقوع شبابنا – رجال المستقبل – في براثن الجهل والتّخلف، ومحاذير التّحلل والأهواء حتى يفقد مثله الأعلى.

يريد الغرب إذن يريد أن يقتلع هذه الأمّة من جذورها، ويجرّدها من ثوابتها، وباتت دعواته القبيحة تتردّد على ألسنة هؤلاء المستغربين * وفي كتاباتهم تهدّد أصول اللغة العربية واستقرارها «وقد صرّح الباحثون أنّ هدفهم من هذه الدّراسات هو خدمة الفصحى، ولكن بعضهم جاوزوا حدود التّيسير والإصلاح، فخرجوا عن أوضاع العربية وسننها، وشوّهوا صورتها وسلبوها طابعها

1- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، ص.244.

* ونقصد بـــ"المستغربين" هنا الذين افتتنوا بحضارة الغرب، وصاروا يردّدون أقوالهم ويحاكون أفعالهم، ويقتفون آثارهم رافضين لأصولهم وثقافتهم وتراثهم.

المميّز لها»[1]، فتمخضت آراؤهم الجوفاء عن دعاوي هدّامة، تهدف إلى قتل روح الشخصيّة العربيّة المسلمة في صورة لغتها العربية الفصحى – من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون – وسنورد عينّة من هؤلاء المستغربين.

1 -الدّعوة إلى العامية:

1/سلامة موسى: (**1888 – 1958م**): من المستغربين الذين افتتنوا بسحر الحضارة الغربية وآراء المستشرقين فراحوا يردّدون آرائهم، وينتصرون لأفكارهم نجد "سلامة موسى"، وهذا ما يبدو واضحا جليّا في مقدمة كتابه **"اليوم والغد"** حينما صرّح قائلا: «فإنّي كلما زادت معرفتي بالشرق، زادت كراهيتي له، وشعوري بأنّه غريب عنّي، وكلّما زادت معرفتي بأوربا، زاد حبّي لها، وتعلّقي بها، وزاد شعوري بأنّها منّي، وأنّي منها» [2] هذا القول يجعلنا لا نندهش من أقواله وآرائه حيال اللغة العربية الفصحى، فمن يتنكر لقوميته وانتمائه ينسلخ أيضا من جذوره وهويته.

يزعم هذا المستغرب أنّ اللغة العربية الفصحى، لغة صعبة التّعلم، ناهيك على كونها لغة مصطنعة تبلغ الرّأس دون القلب على عكس (اللغة العامية) التي يرى أنّها أوفى تعبيرا، وأدقّ مع نى، وأحلى لفظا، وبالتالي لا بدّ من اتّخاذها لغة رسمية بدل الفصحى، مستشهدا برأي المستشرق "ولكوكس" (Willcocks) الذي لا يمتّ إلى اللغة العربية بصلة، قائلا: «والهمّ الكبير الذي يشغل السّير ولكوكس بل يقلقه، هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلّمها، فهو يرغب في أن نهجرها

1- زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص.195.

2- سلامة موسى، اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط.1، 1928م، ص.05.

ونعود إلى لغتنا العامية، فنؤلّف فيها وندوّن آدابنا وعلومنا»[1]، نأسف كثيرا لأنّنا شغلنا فِكْرَ هذا المستشرق المسكين ليهمّه أمرنا وأمر لغتنا لولا أنّه يبيّت لأهداف بعيدة المرام؟ أليس من السذاجة أن نعتقد أنّه يبغي مصلحة الأمّة العربيّة الإسلاميّة ؟

ويضيف سلامة موسى أيضا: «والسير ولكوكس (Willcocks)... إنّما يدعونا إلى هجرة اللغة الفصحى هجرا تامّا واصطناع العامية، وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصريّة فَوُفِّقَ فيه إلى ترجمة حيّة يقرؤها المصريّ فيلذّ له الأسلوب ويرى فيه جوّا مألوفا يشمّ منه النّكهة البلدية، وهو اعتقادي أوقع في النفس من الإنجيل المترجَم إلى اللغة الفصحى» [2]، وتستوقفنا هنا عبارة–وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصرية فوفّق فيه إلى ترجمة حيّة – فهل ينتظر منّا هذا المستغرب المقلّد أن نترجم نحن أيضا القرآن الكريم، كلام ربّنا المنزّه والمنزّل على سيدنا محمّد ﷺ، المتعبّد بتلاوته والمنقول إلينا بالتّواتر إلى اللغة العامية؟ كما ترجم هذا المستشرق الإنجيل المحرّف، فهذا ما هو مقروء خلف ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (البقرة 93).

1- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.72.

2- المرجع نفسه، ص.75.

يقول الشاعر ابن بكر المقري:[1]

زِيَادَةُ القَوْلِ تَحْكِي النُّقْصَ فِي العَمَلِ ∴ وَمَنْطِقُ المَرْءِ قَدْ يَهْدِيهِ لِلزَّلَلِ

إِنَّ اللِّسَانَ صَغِيرٌ جُرْمُهُ وَلَهُ ∴ جُرْمٌ كَبِيرٌ كَمَا قَدْ قِيلَ فِي المَثَلِ

فَكَمْ نَدِمْتَ عَلَى مَا كُنْتَ قُلْتَ بِهِ ∴ وَمَا نَدِمْتَ عَلَى مَا لَمْ تَكُنْ تَقُلِ

وَأَضْيَقُ الأَمْسِ أَمْسٌ لَمْ تَجِدْ مَعَهُ ∴ فَنًى يُعِينُكَ أَوْ يَهْدِيكَ لِلسُّبُلِ

ومن ثمّ فإنّ الهدف من وراء هذه الدّعوة لا يكمن في هدم اللغة العربية فحسب، بل هو مجرّد الخطوة الأولى التي يخطوها الأعداء نحو هدفهم الأكبر والأعظم، وهو إنشاء حاجز متين بين القرآن وأهله.

وتمادى "سلامة موسى" في تصريحاته، فبرّر تحامله على اللغة الفصحى قائلا: «ولست أحمل على اللغة الفصحى إلا لسببين: أوّلهما، صعوبة تعلّمها، وثانيها عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية، أمّا من حيث الصّعوبة فإنّه يكفي أن نقول: إنّنا نتعلّمها كما نتعلّم لغة أجنبية» [2]، فهو يعتبر أنّ «نكبتنا الحقيقيّة هي أنّ اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به، لأنّ الأدب هو مجهود الأمّة وثمرة ذكائها وابن تربتها ووليد بيئتها» [3] ويصرّح «إنّنا نرطن الفصحى رطانة و لم تشربها بعد

1- ابن أبي بكر المقري، ديوان، مطبعة نخبة، 1305هـ، ص.58.

2- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.72.

3- المرجع نفسه، ص.73.

نفوسنا، ولا أمل في أن تشربها لأنّها غريبة عن مزاجنا» [1]، وهو يرى أن استعمال اللغة العامية أفضل من استعمال الفصحى، فيقول:«وليست أشك في أنّ اللغة العامية تفضل اللغة الفصحى وتؤدّي أغراضنا الأدبية أكثر منها» [2]، وهو بذلك ينساق وراء دعاوي المستشرقين، ينطق بلسانهم، ويفكّر بعقولهم، وكأنّي بهم يقولون أنظروا إلى صنائع فكرنا، كيف تنكّروا لأمجاد أهلهم وجحدوها ومجدونا نحن ألدّ أعدائهم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (النور 40)

والجدير بالذكر أنّ هذا المستغرب لم يكتب أبدا باللغة التي يدعو إليها وهي – العامية – حيث يذكر لنا "أحمد عبد الغفور عطار" في كتابه "الزحف على لغة القرآن" أنّه التقى "بسلامة موسى" وناقشه ثمّ طلب إليه أن يكتب مقاله باللغة العامية التي يدعو إليها، لكنّه اعترف بعجزه وقال بأنّ اتّخاذ العامية لغة لكتابه «التّطور و أصل الإنسان» يحتاج إلى مرانة حتى يتعوّد القلم الكتابة بها [3]، وإذا كان لا بدّ من المرانة على اللغة فلتكن اللغة الفصحى الأصل، وليست اللغة العامية.

تجاوز "سلامة موسى" كل الحدود، وذهب إلى أنّه « ينبغي ألا يُغرس في أذهان المصريّ أنّه شرقيّ، فإنّه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق، وكراهية الغرب، وينمو في كبرياء شرقيّ، ويحس بكرامة لا يكاد يجرحها أحد الغربيّين بكلمة»، ليصل إلى أنّ «الرّابطة الشرقية سخافة،

1- سلامة موسى، اليوم والغد، ص.77.

2- المرجع نفسه، ص 77.

3- ينظر، عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت1385هـ/1965م، ط.1، ص.63.

والرّابطة الدينية وقاحة، والرّابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا»[1]. والحقّ أنّه ليس ثمّة شعب على هذه البسيطة إلا وهو يتكلّم خلاف ما يكتب، ومن الأمور التي لا جدال فيها هو وجود تلك المسافة بين لغة الحديث ولغة الفكر والكتابة، وذلك في كل اللغات، والقائل بصعوبة العربية واهم، فلكل لغة أصولها وقواعدها التي تميّزها عن غيرها، ومن دلائل ذاك إتقان بعض الأعاجم والمستشرقين لها، بل وإكبارهم لها، وأمّا الهوية والانتماء للشرق وللعروبة وللإسلام فليسوا محل مساومة.

2/لويس عوض: يعد "لويس عوض" التلميذ الرّوحيّ[2] لسلامة موسى الذي أتاح له الفرصة للكتابة في مجلة "الكاتب المصري"، فانتدبته قوى الغرب لخدمة مصالحها وتحقيق مآربها، وهذا ما نجده في الاعتراف الذي أدلى به في كتابه "بلوتولند، وقصائد أخرى من شعر الخاصّة" الصّادر عام 1947م، حيث استهل مقدّمته بترجمة لحياته جاء فيها «وإنّي لأعلم أنّه قد عاهد الثلوج الغزيرة على حديقة مدسمر، في خلوة مشهودة بين أشجار الدّردار عند الشلال بكامبريدج، ألّا يخطّ كلمة واحدة إلا باللغة المصرية، وقد برّ بعهده في العام الأوّل بعد عودته، فكتب شيئا بالمصرية، سمّاه "مذكرات طالب بعثة" ولكنّه استسلم بعد ذلك وخان العهد، فلتغفر له الثلوج الطاهرة التي لم تدنسها حتى أقدام البشر» [3]، فهو يعترف بأنّه عاهد الاستعمار الذي رمز له بالثلوج الغزيرة على أن تكون كتاباته كلّها بالعامية عند عودته إلى مصر، بل ويعتبر بأنّ كتابته بغير العامية تعدّ خيانة لذلك العهد.

1- الطويل، السيد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص.74.

2- ينظر، شاكر محمود، أباطيل وأسمار، الجزءان الأول والثاني، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط.3، 2005، ص.115.

3- عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص 106.

رفع "لويس عوض" راية أستاذه "سلامة موسى" في الدّعوة إلى العامية، وزعم أن تجربته هذه بدأت سنة 1937م حيث انتبه إلى أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدّسة، ولهجتها المنحطة الإيطالية أقل من البعد بين العربية المقدّسة، ولهجتها المنحطة * المصرية وذلك كان أثناء تعلّمه مبادئ اللغة الإيطالية، فبقي يدعو إلى ذلك حتى سنة 1940م حيث أفهمه البعض بأنّ المسألة حساسّة لأنّها متعلّقة بالدين فلعل الأمر ينتهي بعد قرن أو قرنين إلى ترجمة القرآن إلى اللغة المصرية كما حدث للإنجيل من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، وأخيرا زعم أنّ الاعتراف باللغة المصرية (العامية) لا يستلزم موت اللغة العربية، فلا مانع إذن من قيام الأدبين معا – الفصحى والعامية – جنبا إلى جنب.[1]

ويتحدّث "محمود شاكر" عن عداء "لويس عوض" للغة الفصحى وأهلها ويكشف لنا مخططاته قائلا: «منذ دخل صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه، وتجمع له بعض المراكز الثقافية القائمة في مصر والتابعة مباشرة لمراكز التبشير العالميّ، من يصلح أن يكون معبّرا عن رأي "لويس عوض"، ويكون متّسما بالنّزاهة ولا مطعن في نزاهته من المصريين المسلمين الذين خُدعوا بشكل ما، بما يسمى كسر عمود الشعر العربيّ، وباستعمال اللغة العامية والدّعوة إلى إحلالها محل الفصحى، ثمّ من يجتمع حوله ممن يحقّر شأن العرب وتاريخهم وثقافتهم ودينهم، ويزدري كل ذلك ازدراءا ظاهرا، ويعد الثقافات الأوروبية كلّها هي المصدر الذي ينبغي أن نستقي منه مادّة تكويننا

* ونحن لا نرضى للغتنا العربية الشريفة سواء الفصحى أو العامية أن توصف أو تنعت بالمنحطة.

1- ينظر، شاكر محمود، أباطيل وأسمار، ص 128.

الحديث بلا تردّد أو تمحيص»[1] فهو لا يكتفي بعدائه للغة الفصحى وحده فيجنّد الجنود للفتك بها وبكل ما يتّصل بها عاملا بذلك على خدمة المستعمرين الأعداء.

ويذهب "لويس" إلى أنّ الوحدة بين الشعوب الإسلامية، «لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث العامية، إذ أن لغة الصّلاة والطقوس الدينية الأخرى، ستظل كما هي في كل مكان»[2]، وما ذلك إلا لجعلنا نتساهل في قبول آرائه وأفكاره: كيف لا؟ وهو الذي يروق له أن يعرف بنفسه أنّه: «عرف بدعوته للأدب العاميّ في صدر حياته الأدبية، وللأدب في سبيل الحياة في طوره الحالي»[3] فهو يعتزّ بمذهبه الذي يذهب إليه ويدعو الناس له.

ولما كان "لويس عوض" داعيا إلى الكتابة بالعامية، كان عليه أن يشدّ من أزر التابعين دعوته، وها هو يشيد بـــ"صلاح جاهين" قائلا: «كان في تقديري أعظم شاعر بالعامية عرفته مصر»[4]، وهو يزعم بأنّ اختياره للغة العامية أداة للتعبير عن وجدانه الوطني والاجتماعي كان سببه أنّه لم يجد في نماذجه الفصحى ما يعينه على ذلك التعبير.[5]

1- ينظر، شاكر محمود، أباطيل وأسمار، ص 120.
2- المرجع نفسه، ص 133.
3- شاكر محمود، أباطيل وأسمار، ص 127.
4- عوض لويس، دراسات أدبية، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط.1، 1989م، ص 160.
5- ينظر، المرجع نفسه، ص 163.

ويروي لنا "عطار أحمد عبد الغفور" أنّ الانجليز تخلو عنه (لويس عوض) واستغنوا عن خدماته سنة 1953م بعد أن كانوا هم من تولّى رعايته وتربيته وتعليمه فقد نال ليسانس كلية الآداب بجامعة القاهرة في أدب الإنجليز.[1]

وقّف هذا المستغرب حياته وكرّسها في محاربة اللغة الفصحى ومحاولة هدمها، ونبذ التراث الأدبي، فهو يرى: «أنّ الأدب القديم شرٌ يجب أن يزول، وفسادٌ يجب أن يلغى، وإثمٌ يجب أن تمحى آثامه، وأوّل ما يجب أن يترك القديم لقدمه وأن تحرق الكتب التي سجلّته، ويحظر درسه في المدارس والمعاهد، ويعاقب الناس على التّحدث به أو التّحدث فيه» [2]، تنكر لكل منجزات الإسلام والعروبة، ويعزو لهما كل تأخّر وجمود، ولا يتوانى في مهاجمة من يدعو إلى الفصحى أو يدافع عنها، ولسان حالها – الفصحى- يرثي قائلا: [3]

وإخوانٍ حسِبتُهُمْ دُرُوعاً ∴ فَكانُوهَا ولَكِنْ للأَعَادِي

وخِلْتُهُمُ سِهاماً صَائِباتٍ ∴ فَكَانُوهَا ولَكِنْ فِي فُؤَادِي

وقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ ∴ لَقَدْ صَدَقُوا ولَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وقَالُوا قَدْ سَعِينَا كُلَّ سَعْيٍ ∴ لَقَدْ صَدَقُوا ولَكِنْ فِي فَسَادِي

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف علة لغة القرآن، ص118.

2- ينظر، المرجع نفسه ، ص 128.

3- العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط.1، 1466هـ/2002م ، ص.113.

وبعد فإنّا نؤمن بأنّ اللغة العربيّة الفصحى هي أهمّ دعامة تعتمد عليها الأمّة الإسلاميّة من عرب وغير عرب ، والقضاء عليها قضاءٌ على أقوى رابطة تربط شعوب أمّتنا الإسلامية بعضها ببعض ذلك لأنّ الحرب على اللغة العربية حرب سياسية، وما الدّعوة إلى العامية إلّا سلاح يُراد به زعزعة الأمّة وإصابتها بالوهن من خلال تشتيت قوّتها، وتفريق جمعها، ولا يمكن إدراجها ضمن المعارك الأدبيّة.

2/أنيس فريحة: وهو أستاذ اللغات السّامية في جامعة بيروت الأمريكية، يميّز بين اللغتين – الفصحى والعامية، فيرى بأنّ: «العامية – عامية أيّ شعب – لغة حرّة متطوّرة، والفصحى – فصحى أيّ شعب – لغة كتابية مقيّدة بقواعد ثابتة ومسيج حولها بسياج شديد» [1]، ويصرّح قائلا:«نحن من الذين يؤمنون أنّ في العاميات أدبا شعبيّا غنيّا ازدرته الأرستقراطية الفكريّة... إنّ نظرة القدامى والمحدثين إلى أنّ العامية لغة رديئة ركيكة، وإلى أنّها تخلّف وانحطاط أفسدت على النّاس تفكيرهم اللغويّ» [2]، فهو يعدّها – العامية – لغة حيّة متطوّرة «تمثّل تطوّرا طبيعيا وتطوّرا نحو الأفضل والأسهل» [3]، ويرى بأنّ مشاكل اللغة العربية تكمن في النّقاط الآتية:

أ -وجود لغتين مختلفين (فصحى وعامية)، لكنّنا نعلم بأنّ وجود العامية إلى جانب الفصحى ظاهرة لغوية عامّة في كل لسان، وليست مشكلة يسعى إلى حلّها.

1- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1409هـ/1989م، ص 113.
2- المرجع نفسه، ص 114.
3- م.ن، ص 102.

ب تقيّد الفصحى بأحكام شديدة متمثّلة في الإعراب، وهذا أيضا ليس وقفا على اللغة العربية فلكل لغة أحكامها وقواعدها التي تقوم عليها وتحفظها.

ج -الخط العربي الخالي من الحروف المصوتة (الحركات)، وأمّا الحركات فنراها من علامات رقيّها وكمالات تميّزها توفر الجهد وتعمل على الاختزال، وليس عليها أن تطابق حركات اللغات الأخرى.

د -عجز اللغة العربية عن مواكبة العلم والفنون، وهذا ما ينافيه الواقع.

نتيجة لكل ما سبق ذكره، صبّ "أنيس فريحة" كلّ جهوده على دراسة اللهجة العامية والدّعوة إليها مكتوبة بالحرف اللاتيني، وذهب في كتابه "نحو عربية مسيرة"إلى أنّ «لهذه اللهجة العربية الجديدة المشتركة بين الطبقات العربية المتعلّمة والتي خلّفتها ظروف الحياة العربية الجديدة، خصائص تجعلها مغايرة للفصحى، وفي الوقت ذاته تجعلها لغة مرنة سلسة طيّعة تصلح أن تكون اللغة العربية الأدبية و أهمّ خصائصها: إسقاط الإعراب... أن يكون لها أدب... وأن تكتب بالحروف اللاتينية... وأن يقبلها العرب»[1]، وفي عام 1955م كتب موضوعه الشهير"هذا الصّرف وهذا النّحو: أما لهذا الليل من آخر"، تمنى فيه أن يرى حاكما عسكريا سياسيا يفرض العامية على العرب.[2]

1- سما يلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، ص675.

2- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، ص206.

لقد شنّ حملة مركزة على اللغة العربية الفصحى بما تحمله من خصائص ومميّزات، أهمّها الإعراب الذي ينظر إليه على أنّه «زخرف لا قيمة له في الفهم والإفهام، لأنّ ليس له قيمة بقائية Survival Value»[1].

ثمّ يضيف بعد أن يستشهد بسقوط الإعراب من اللغة الانجليزية «ولو أنّ للإعراب ضرورة للفهم والإفهام لبقي ولحافظت عليه جميع اللغات التي كانت معربة، ولكن لكونه غير ضروري سقط»[2]، ومن ثمّ كان علينا اتّخاذ العامية لغة أدبية بدلا من الفصحى التي يتكبّد الإنسان المشاق من أجل تعلّمها أو الكتابة بها.

وينحو "أنيس فريحة" منحى "سلامة موسى"، مراوغا ملحا إضمار أهدافه «ولكن للنّاس أن يسألوا: ماذا سيحل بالقرآن؟ وماذا سيحل بالأدب القديم، وجوابنا هو أنّ القرآن الكريم سيخلد (و) سيبقى على ما هو عليه، كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب... وها هي الكنيسة الكاثوليكية فإنّها تعتبر الترجمة اللاتينية للتّوراة لغة الكنيسة الرّسمية»[3]، ونردّ عليه بقول الشاعر:

سِجْنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى ∴ مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِئْصَالُ

إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَلْتَ عُقَالَهُ ∴ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ[4]

1- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص 103. – بتصرف –

2- المرجع نفسه، ص 104.

3- عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص77.

4- العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، ص329.

وصدق "ابن جني" حين قال: «وذلك أنّ أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنّما استهواه (واستخفّ حلمه) ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشّريفة»[1]، فالعامية لغة مضطربة كل الاضطراب مفقرة إلى التّقعيد والتّأصيل، فكيف تصبح لغة الكتابة والتدّوين عوضا عن الفصحى اللغة المحكمة الغنية الأصيلة؟ كما قال المولى تعالى:

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة61)، ذلك أن الجهل مطية من ركبها ذلّ ومن صحبها ضلّ .

فأعظم ما تكون العامية مثولا فعند الذين لم يتذوّقوا ولو قليلا جمال اللغة العربية، ولا تأدبوا بآدابها، ولا تثقّفوا بثقافة أهلها، ولا جالسوا مجالس العلماء ولا تدارسوا كتب الأدباء، ولا سارت في عروقهم دماء الشهداء فقد حملوا حملة مضرية جاوزت به الأعداد، فهاهو المستشرق الفرنسي "لويس ماسيون" Louis Massignon يؤكّد بأنّه «مقتنع بأنّ اللغة العربية يمكنها وينبغي لها أن تلعب دورا بالغ الأهمية في المستقبل، وفيما بعد حينما أكون قد غبت عن هذا العالم سيتذكر الناس أنّني قلت شيئا صحيحا كل الصّحة»[2]، فيا لهذه المفارقة!

4/أحمد لطفي السّيد: بدأ "لطفي السّيد" عمله بمقالات في جريدة "الجريدة" عام 1913م (نشرت من 16 أبريل إلى 04 مايو)، وجمعت في كتاب المنتخبات الجزء الثاني وهي تحمل شعارات عديدة أهمّها (تمصير اللغة، بمعنى فصلها عن العربية الفصحى)، (تمصير الأدب بمعنى قطع

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، تح، النجار محمد علي، ج3، ص 245.
2- سما يلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، ص675.

علاقته بالأمّة العربية)[1]، ويجدر الذّكر بأنّ هذا الرّجل قد تولى رئاسة مجمع اللغة العربية أكثر من ثلاثين سنة.

طالب هذا الأخير بأن «يحتضن الكتّاب المفردات الغربية الموجودة في اللغة العامية، فيردّوا ما تشوّه منها إلى أصله العربيّ ويستعملوه صحيحا، وما لم يشوّه يستعمل على حاله، ويستثني من ذلك ما ابتذل من الألفاظ... هذا، وإنّ استعمال مفردات العامّة وتراكيب العامّة، فيه من وجهة أخرى إحياء للغة الكلام، وإلباسها لباس الفصاحة»[2]، فهو يرى بأنّ «أقرب الطرق إلى هذا الصّلح (يعني بين العامية والفصحى !) أن نتذرّع إلى إحياء العربية باستعمال العامية، ومتى استعملناها في الكتابة، اضطررنا إلى تخليصها من الضعف، وجعلنا العامّة يتابعون الكتّاب في كتاباتهم، والخطباء في خطاباتهم، والممثّلين في رواياتهم» [3]، فهو يزعم بأنّ استعمال مفردات العامّة وتراكيبهم إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة فيه إحياء للعربية.

والحقّ أننا نرى في تسامحنا في استعمال المفردات والتراكيب العامية عبثٌ بالعربية الفصحى، فما يلبث الجيل القادم يخطو خطانا، ويتمادى في هذا التّساهل، حتى يأتي يوم تصبح فيه الفصحى لغة أثرية لا يعقلها عامّة النّاس.

أمّا عن حديثه عن الصّلح بين (الفصحى والعامية)، فنحن لا نرى هناك خصومة بينه ما حتى يكون الصّلح، فكلتاهما تتكاملان كلٌ في مجالها (الكتابة بالنّسبة للفصحى، والحديث بالنّسبة

1- ينظر، الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص.148.
2- محمود شاكر، أسمار وأباطيل، ص148.
3- المرجع نفسه، ص.210.

للعامية)، فهذه الثنائية (الفصحى/العامية) موجودة في كل اللغات، ولا يمكن في أيّ حال من الأحوال أن تستطيع العامية منافسة الفصحى وبلوغ مكانتها، ذلك لأنّ العربية «عق طية حرّة، ليس لها ضرّة»[1]، لأنّها لغة القرآن الكريم﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾(سورة البقرة 02)، الذي أجمع الأوّلون والآخرون على إعجازه بفصاحته.

ويعدّ "لطفي السيد" من أقدم أعضاء المجمع المطالبين بتيسير الكتابة العربية، كان اقتراحه سنة 1899م: الدلالة بالحروف عن الحركات على أن تدخل هذه الحروف في بنية الكلمة [2]، على سبيل المثال: ضَرَبَ ← تكتب ← ضاَرَابَا

2 إثبات التنوين ورسمه بالكتابة، مثال:

سَعْدٌ ← ساعدون ← بالرفع

سَعْدًا ← ساعدان ← بالنصب

سَعْدٍ ← ساعدين ← بالجر

3 فكّ الإدغام، مثال:

مسَلَّمٌ ← موساللامون ← عند الرفع.

مسلّما ← موساللامان ← عند النصب.

مسلّم ← موساللامين ← عند الجر.

1- عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ج.3، ط.1، 1997، ص.206.

2- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص.221.

وما أظنّه إلا صعبها وعقّدها أكثر من حيث ادّعى تيسيرها، متعرِضا لواحدة من أهمّ خصائص العربية ألا وهي الاختزال، وقد ردّ عليه "مصطفى الرّافعي" بقوله: «كيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتّصالها بتاريخ الأمّة واتّصال الأمّة بها وجدتها الصّفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمّة من تاريخها واشتمالها جلدة أمّة أخرى» [1]، فالأولى بنا أن نحرص على سلامة لغتنا لفظا ورسما، ولا يكون ذلك إلا بالمران والمزاولة، ومدارسته أساليبها، وفنون بلاغتها.

سعيد عقل: تمخضّت آراؤه على إنشاء لغة جديدة يدعوها اللغة اللبنانية، تعتمد على اللهجة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني عوضا عن اللغة العربية، فكتب مقدّمة ديوان شعر (جلنار) للزّجال اللبنانيّ "ميشال طراد" طبع 1951م بعامية لبنان[2]. والتي واجهت استعصاء على الفهم عند القرّاء، فالعامية تختلف من منطقة إلى أخرى حتى داخل البلد الواحد، وهو ماثل في لبنان أيضا.

و لم يكتف بذلك بل أصدر ديوان شعر سمّاه "يارا شعر" كتبه باللغة العامية وبالحرف اللاتيني، فهو يعتقد بأنّ: «ناموس الإفصاح يقضي بأن يحل لسان النّطق محل لسان الكتاب، ولسان الكتاب هنا هو هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشدّه، ولقنّ العرب كيف إطلاع التحفة فيه، ورصّعه هو بجواهر لا تموت، ومع هذا فلغة الحياة والحرف اللاتيني – أداة تدوينها العلمية الأحدث- إنّما هما اللذان يقاتل لهما اللبناني منذ قرن، قبل أن راحت مصر تنتج مسرحيات وأشرطة بلغة الحياة، وقبل أن قال السّيد (عبد العزيز فهمي *) بحرف لاتيني»[3]، كاشفا بذلك عن مخططه الذي يعمل لأجله، والمتمثّل في إحياء العصبية والإقليميّة، من خلال عزل لبنان عن الأمّة

1- الرّافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ص.39.

2- ينظر، عطار، أحمد عبد الغفور، الزّحف على لغة القرآن، ص.81.

* سيأتي الحديث عليه بالتّفصيل.

3- المرجع نفسه، ص.82.

العربيّة، وإذا كان أبناء البلد الواحد يجهلون ألفاظا من عامية بعضهم البعض، فكيف تستطيع أن تكتب بها ليقرأها العالم العربي والإسلاميّ كافّة، وهو يجهلها تماما؟ !وما أعماله هذه إلا محاولات عابثة يسندها الاستعمار.

[illegible]	=	ق	z	=	ز	[illegible]	=	ء
q	=	ك	s	=	س	b	=	ب
l	=	ل	c	=	ش	t	=	ت
m	=	م	ṣ	=	ص	š	=	ث
n	=	ن	ç̣	=	ض	j	=	ج
h	=	ه	ŧ	=	ط	x	=	ح
w	=	و	z	=	ظ	k	=	خ
y	=	ى	y	=	ع	d	=	د
p	=	پ	g	=	غ	ž	=	ذ
v	=	ڤ	f	=	ف	r	=	ر
[illegible]	=	چ						

الحروف اللاتينية كما اقترحها ذات يوم سعيد عقل[1]

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.20، http://www.almeshkat.com/book/1813.

عيسى اسكندر المعلوف: وهو عضو في المجمع اللغويّ معروف بعدائه الصّريح للغة العربية، كتب عدّة مقالات أوضح فيها أهمية اللهجات العامية ومدى إسهامها في تطوّر المجتمعات، وأمّا تخلّفنا فيرجعه إلى ذلك الاختلاف القائم بين لغة الحديث ولغة الكتابة وقد نشرت هذه المقالات في مجلة المجمع، الجزء الأوّل شعبان 1353هـ/أكتوبر1934م، والجزء الثالث: شعبان 1355هـ/1936م، والجزء الرّابع: شعبان 1356هـ/أكتوبر 1937م.[1]

أمّا بدايات هذه الحملة فقد كانت سنة "1902م" حيث كتب مقالا في مجلة الهلال عنوانه "اللغة الفصحى والعامية"، دافع فيه عن اللهجات العامية التي زعم أنّها أسهل من الفصحى كما «زعم أنّ تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرّر له، لأنّ هناك مسلمين كثيرين لا يتحدّثون بالعربية، ولا يكتبون بها، ولأنّ اللغة التي يتكلّمها المسلمون هي غير العربية الفصيحة على كل حال»[2]، مردّدا بذلك أقوال المستشرقين بأنّ سبب تخلّفنا هو اختلاف لغة الحديث عن الكتابة – وهي حجّة ولكوكس – متناسين أوربا المتقدّمة علميا تختلف لغة حديثها عن كتابتها وعن لغتها العلميّة.

وممّا لا ريب فيه هو أنّ اللهجات العامية على قربها متباينة، وعلى تشابهها مختلفة، فمن هذا الذي يختار الفصيحة واجب اتّباعها الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأنعام 153).

1- ينظر، الطويل، السّيد رزق، اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص.76.
2- المرجع نفسه، ص.77.

وينبغي على هؤلاء الباحثين وأمثالهم والنّاهجين نهجهم أن يدركوا بأنّ العامية «كائن غير قابل للاستمرار في الحياة، ذلك أنّها تحمل في ذاتها بذور فنائها واضمحلالها، لا... بسبب عجز التّعبير الذي تتميّز به فحسب...بل...بسبب عد م قابليتها للإعراب، والإعراب يعني هو التحديد والإبانة»[1]، وهذا ما يفسّر طبيعة الفئة التي استجابت لهذه الدّعوات فهم لا يعدون أن يكونوا كتّابا لدور السّينما والمسارح، وكتاب الأغاني، وبعض أصحاب المجلات الفكاهية، والهزلية، ومروّجو الفنون الشعبية[2].

وإذا ما واكبنا هؤلاء الدّعاة، وأوجدنا العامية في جميع شؤون حياتنا للتّعبير عن حاجياتنا إذاً «لتقطّعت بنا أسباب الثقافة، ونكصنا إلى الوراء قرونا عديدة، وقضي على نشاطنا الفكريّ قضاء مبرما، لأنّ الفكر إذا لم تسعفه أداة مواتية في التّعبير خمدت جذوته، وضعف شأنه، وضاق نطاقه، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفاسف التّأملات»[3] والأولى بنا هو تهذيب العربية وتنقيحها، والنّهوض بها إلى أرقى المستويات ،والوقوف بحزم في وجه كل من ينادي إلى إقصائها أو تمييعها أو تهميشها ، أو أيّ دعوة تخل بجوهرها ،لأنّ تلك الدعوات في مجملها ترتبط بهدف أساسي هدم أصول الدين وبخاصّة القرآن الكريم .

1- البحرة، نصر الدّين، لغة الضاد في معركتها مع العامية، ص.09.

2- ينظر، الميداني، عبد الرّحمن حسن حنبكه، أجنحة المكر الثلاثة، ص.389.

3- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص.122.

2 **دعوى تيسير النّحو**: انقسم الباحثون إزاء هذه الدعوى إلى فريقين:

أ **الفريق الأوّل**: ويرى بأنّ النّحو لا عيب فيه ولا صعوبة، لكن النّقص الذي يعتريه إنّما هو كائن في طريقة تدريسه وتبويبه، لذا حرص هذا الفريق على عدم مسّ جوهر النّحو في المحاولات التي قام بها من أجل تيسير وتذليل صعوباته، فعمل " حفني ناصف" مع مجموعة من الأساتذة على تعديل مناهج النّحو وتحسينها وتيسير تعلّمها، تجلى ذلك في كتب "الدّروس النّحوية" لتلاميذ المدارس الابتدائية (1886م) والثانوية (1891م)، التي اقتصرت على القواعد الضّرورية مبتعدة عن التفاصيل، وقبلت هذه المحاولة ودرست كتبها بعد أن أقرّتها وزارة المعارف وصدّق عليها شيخ جامع الأزهر[1].

ودعا " إبراهيم مصطفى " إلى تقسيم النّحو وتبويبه على أساس المعاني التي تشير إليها الحركات الإعرابية في كتابه "إحياء النّحو"، وقد خلص إلى أنّ علامات الإعراب دوال على المعاني، فالضّمة علم الإسناد، ودليل ذلك أنّ الكلمة المرفوعة يُرادُ يسند إليها ويتحدّث بها، والكسرة علم الإضافة إشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، أمّا الفتحة فلا تدل على شيء إلا أنّها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، وأمّا " محمد عرفة" فعرض في كتابه "مشكلة اللغة العربية" أهمية التّكرار والتّلقين والحفظ وهو أسلوب السّلف مشيرا إلى أنّ القواعد وحدها لا تكفي لاكتساب اللغة.[2]

1- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص196.
2- ينظر، المرجع نفسه، ص 196.

ويمكن اختصار آراء هذا الفريق الذي لا تمسّ أفكاره جوهر النّحو في:

1 -تكمن صعوبة النّحو في ما يزاحمه من تفاصيل، وعليه ينبغي تذليل هذه الصّعوبات بتلخيص النّحو، والاقتصار على الضّروريّ منه – حفني ناصف –

2 -صعوبة النّحو تتمثّل في فساد تبويبه– إبراهيم مصطفى –

3 -اعتماد الحفظ والتّلقين وتكرار سماع الفصيح مطلب ضروريّ لاكتساب لغة سليمة –محمّد عرفة –

ب –**الفريق الثاني**: ويرى بأنّ الصّعوبة تكمن في النّحو نفسه، وأنّه لا سبيل إلى تذليله، إلا بتبديل قواعده، وتتلخّص آراؤهم في:

1 -إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات.

2 -إيثار كل لهجة عربية توافق العامية.

3 -حذف بعض قواعد النّحو: كحذف موانع الصّرف، جعل العدد من جنس المعدود، إلزام المنادى والمستثنى حالة واحدة إمّا النّصب أو الرّفع.

كما اقترح هذا الفريق أيضا الفصل بين قواعد اللغة، وقواعد القرآن، ففي اعتقادهم أنّ الجهل بالقواعد غير مهم لاسيما وأنّ هناك من المسلمين من يجهل العربية ولكنّه يتقن أحكام القرآن من الفقهاء إلا أنّ هذه القواعد هي قوانين تأليف الكلام الذي يجري في كل لغة على

نظام خاص بها، كما وأنّ قواعد أرقى اللغات الأوروبيّة فيها من الصّعوبات والشّواذ ما لا يحصى.[1]

وفي سنة 2002م ألّف "زكريا أوزون" كتابه "جناية سيبويه الرّفض التّام لما في النّحو من أوهام"، زعم في مقدّمته بأنّ اللغة العربية أصبحت لغة جامدة، بل تراجعت وتقهقرت عالميا حتى أنّ أهلها تخلوا عنها فلم يعودوا يهتمون بها ورد ذلك إلى سببين هما: علم النّحو العربي، والاشتقاق اللغوي لاستيعاب المفردات والمصطلحات الجديدة.[2]

وجمع الكاتب مآخذه على النّحو في أوّل فصل له عنونه "زبدة الكتاب في بدايته"، فيأخذ على النّحاة أنّ الإعراب لا يجري على أساس المنطق[3] وكأنّ سخطه عليها نابع من عجزه الظاهر البيان، فهو يعيب علما لا يقدر على فهمه ولا يدرك كنهه، وهنا نجد"ابن جني" يقول: «ونعوذ بالله ممّا يجنيه الضعف في هذه اللغة العربية على من لا يعرفها، فإنّ أكثر من ضلّ عن القصد حتى كبّ منخريه في قعر الجحيم إنّما هو لجهله بالكلام الذي خوطب به ثمّ لا يكفيه عظيم ما هو عليه وفيه دون أن يجفوها، ويعرض عمّا يوضّحه له أهلوها نعم ويقول ما الحاجة إليها؟ وأين وجه الضّرورة الحاملة عليها؟ نعوذ بالله من التّتابع في الجهالة»[4]، ثمّ يضيف في موضع آخر «...ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشّريفة أو تصرف فيها، أو مزاولة لها، لَحَمَتْهُم السّعادة بها ما أصارتْهم الشِّقْوَةُ

1- ينظر: زكرياء سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص202 – 203.
2- ينظر، أوزون زكريا، جناية سيبويه، الرّفض التّام لما في النّحو من أوهام، رياض الرّيس للكتب والنشر، ط.1، 2002، ص11.
3- ينظر، المرجع نفسه، ص.14.
4- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج.2، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص250.

إليه بالبعد عنها»[1] وكان الأجدر بهؤلاء الذين يعيبون على اللغة نحوها وإعرابها أن يدركوا أنّ النّحو علم شأنه شأن العلوم الأخرى له أهله كما له قواعده وأسسه التي يقوم عليها لا بد أن يؤخذ من منبعه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (النحل 43) وأمّا قواعده التي يزعمون تعقيدها فقد تمكنت من الصّمود أكثر من ألف سنة أنتجت خلالها ثروة كبيرة من الكتب العربية فهذه الفترة الطويلة أصدق شهادة لصلاحية النّحو وبطلان ما يزعمون.[2]

وكيف ينادون بإلغاء الإعراب؟ و«الإعراب مطلب العقل في اللغة، ولذلك نرى أنّ الإعراب أرقى ما وصلت إليه اللغات في الإبانة والوضوح، وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية ولا يشاركها فيه من اللغات الحيّة إلا الألمانية»[3]، فهذه القواعد هي جوهر اللغة، وأيّة محاولة لهدمها هدم للغة ذاتها إلا أنّه يستحيل تفكيك أصولها وتقليل شأنها لما اتّصفت به العربية من الدّقة والإحكام، ذلك أنّها برهنت ثبوتها وصلاحيتها عبر العصور بانتشارها، وانسياقها في الأقطار العربية، وتصدّرها المكانة بين اللغات كما أسلفنا في الفصل الأوّل.

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج.3، دار الكتب المصرية، د.ط، ص246.

2- ينظر، حسين محمد محمد، أزمة العصر، الطباعة والنشر، ص153.

3- البحرة، نصر الدين، لغة الضاد في معاركها مع العامية، ص09.

3/إصلاح الخط العربي:

يذكر لنا، "عطار أحمد عبد الغفور" في كتابه "الزّحف على لغة القرآن" بأنّ أوّل من دعا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، هو "داود الحلبي الموصلي"، في رسالة له بعنوان "إصلاح حروفه دائر" سنة 1326هـ، وأنّ أوّل دولة طبقت هذه الفكرة هي : "تركيا" على يد "مصطفى كمال" الذي كان من أشدّ المعادين للإسلام والعروبة، وكان همّه الشاغل هو هدم اللغة العربية لغة ورسماً.[1]

اهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ 1938م، ببحث الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار في ذلك لت يسير القراءة الصّحيحة، شرط أن لا يخرج هذا التّحسين والابتكار عن أصول أوضاعها العامّة [2]، واختلف أعضاء مجمع اللغة تُجاهَ تيسير الكتابة العربية، فنادى البعض باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وذهب البعض الآخر إلى استبقاء الحروف العربية، لكنّهم اختلفوا في علامات الحركة.

أ -**اقتراح عبد العزيز فهمي:** وهو عضو في المجمع اللغوي بالقاهرة، كان اقتراحه قائما على إلغاء الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية مكانها، مع استبقاء بضعة حروف عربية، وذلك في المجمع اللغوي بالقاهرة في جلستيه المنعقدتين في: الرّابع والعشرين والواحد والثلاثين من شهر يناير

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص 85.

2- ينظر، مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية، مؤتمر المجمع سنة 1944، تيسير الكتابة العربية، مطبعة الأميرية بالقاهرة، 1946، ص 03 .

سنة 1944[1]،وقام بجهود جبّارة لتدعيم اقتراحه، فهو يرى بأنّنا «من أتعس خلق الله في الحياة لأنّنا لم نعالج التّيسير الذي فعله أهل اللغة العربية، إنّنا مستكرهون على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع، وأنّ هذا الاستكراه الذي يوجب على النّاس تعلم العربية الفصحى، هو في ذاته محنة حاذقة بأهل العربية وأنّ ذلك طغيان وبغي...» [2]، وأمّا عن التّبريرات التي جاء بها لتدعيم اقتراحه فتمثّلت في:

1 -ذكر بعض الأمثلة لعيوب العربية التي نشأت عنها الصّعوبات، ومنها: أفعالها المجردة والمزيدة، وأنّ للمجرد ستة أوزان، وأنّ الفعل الثلاثي الواحد قد يتبع أوزانا مختلفة...كما تحدّث عن عدم جدوى الفتحة والضّمة والكسرة، والسّكون والمدّ والتّنوين، فهو يعتبر ذلك كلّه مشقّة تحمله على الاعتقاد بأنّ «اللغة العربية من أسباب تأخّر الشرقيّين لأنّ قواعدها عسيرة ورسمها مضلّل»[3].

2 -مواكبة الأمم الرّاقية علميا وصناعيا وتقليدها، لأنّ هذه الأمم تستعمل حروف الحركة في كتاباتها، وأمّا الأمم المتأخّرة فهي الأمم التّي لا حروف حركات لديها.

3 -وأمّا عن إرثنا الحضاريّ والعلميّ والأدبيّ، فهو يقترح صرف مبلغ من المال من أجل طبع أمّهات الكتب والمعاجم بالرّسم الجديد مالا يدع مجالا لقطع صله الجيل الجديد بتراث أجداده.

1- ينظر، عطار أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، ص.88.

2- زكريا، سعيد نفوسة، تاريخ الدّعوة إلى العامية وآثار ها في مصر، ص.208.

3- المرجع نفسه، ص.210.

4 -ولم ينس الإشادة بتركيا التي لها فضل السّبق في تنفيذ مخطّطه، فهو يرى أنّها تمكّنت من أن تلحق بركب الحضارة والتّقدم.

لم يكن لاقتراح هذا المستغرب أي أساس علميّ، بل بدا وكأنّه لا يعدو أن يكون مجرد استجابة لدعوة المستشرق سبيتا "Spitta" في كتابه (قواعد العربية العامية في مصر)، فهو كلام كالعسل وفعل كالأسل، وينطبق عليه قول الرّافعي:

لِكُلِّ فَنًّى مِنَ الدُّنْيَا كَمَالُ ∴ فَمَا نَقَصَ الوَرَى إِلَّا الفِعَالُ

وَمَنْ لَمْ يُرْشِدُوهُ فِي صِبَاهُ ∴ تَحَكَّمَ فِي شَرِيعَةِ الضَّلَالُ[1]

ذلك أنّنا إذا انفلتنا من هذه القواعد والأصول، ومن هذا الرّسم الأصيل الذي صان لغتنا ما يزيد عن خمسة عشر قرنا، ضعفت هذه اللغة، وبات أصحابها غريبين عنها «فالخطوط رياض العلوم، وهي صورة ،روحها البيان، وبدنها السّرعة وقدمها التّسوية، وجوارحها معرفة الفصول، وتصنيفها كتصنيف النّغم واللحون»[2].

1- الرّافعي، مصطفى صادق، ديوان، شرحه محمد كامل الرافعي، الإسكندرية، د.ط،1323هـ، ج.01، ص 17.

2- موسوعة تراث الخط العربي، ناجي هلال، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، ط.1، 2002م، ص 223.

وأمّا التّيسير الذي يدعو إليه، فيتمثّل في الإبقاء على خمسة أحرف عربية، وخمسة عشر حرفا لاتينيا، وإضافة زوائد ووضع حروف للحركات على النّحو الآتي:[1]

الحرف	رسمه بالعربية	رسمه بالخط اللاتيني
الألف	أ	a لفوقها خط
الهمزة	ء	3
الباء	ب	B
التاء	ت	T
الثاء	ث	التاء نفسه ولكن فيه خطين
الجيم	ج	ج
الحاء	ح	ح
الخاء	خ	خ
الدال	د	D
الذال	ذ	حرف الدال نفسه ولكن فيه خطين
الراء	ر	R
الزاي	ز	Z
السين	س	S
الشين	ش	حرف السين نفسه ولكن فيه خطا
الصاد	ص	تكتب هذه الحروف معكوسة
الضاد	ض	
الطاء	ط	
الظاء	ظ	
العين	ع	ع
الغين	غ	غ
الفاء	ف	F
القاف	ق	Q
الكاف	ك	K
اللام	ل	L
الميم	م	M
النون	ن	N
الهاء	ه	H
الواو	و	W
الياء	ي	Y

1- ينظر، الفيصل، سمر روحي، قضايا اللغة العربية، في العصر الحديث، ص.27.

الحركات:[1]

الحركات: الفتحة ← a
الضمة ← u
الكسرة ← e أو i
السكون ← لم يضع له علامة

الشدة ← تضعيف الحرف

التنوين ← إتباع حركة الحرف بحرف نون صغيرة، أو الإبقاء على الرسم القديم

أما الحروف التي ليس لنعمتها مقابل في العربية: c – g – j – p – x

الطريقة المقترحة لكتابة العربية بالحرف اللاتيني لعبد العزيز فهمي[2]

1- ينظر، الفيصل، سمر روحي، قضايا اللغة العربية، في العصر الحديث، ص27

2- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص10.

من الذين نهجوا نهج عبد العزيز فهمي، وعملوا على وَأدِ الخط العربيّ: [1]

-إبراهيم حمودي، وكتابه: "طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية"

- الجنيدي خليفة، وكتابه: "نحو عربية أفضل"

- سعيد عقل، ومحاولاته.

- أنيس فريحة، المعجب بعبد العزيز فهمي.

-عثمان صبري، وكتابه: "نحو أبجدية جديدة"

جدول رقم 1

الحالي	الكتابة	البيانة	الحالة	الطباعة	الكتابة	الطباعة
أ	a	a	م	m	m	m
ت	t	t	و	w	w	w
د	d	d	ف	f	f	f
ط	t	t	ر	r	r	r
ض	d	d	ن	n	n	n
ز	z	z	ل	l	l	l
س	s	s	ى	y	y	y
ص	s	ŝ	ش	s	s	s
ث	ç	ç	ج	j	j	j
ذ	c	c	ك	k	k	k
ظ	z	ẑ	ق	q	q	q
ب	b	b	خ	x	x	x

الأبجدية اللاتينية المعدلة كما اقترحها عثمان صبري[2]

1- الصّاوي، محمد سعيد إسماعيل، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسّياسية، ص14.

2- المرجع نفسه، ص.14.

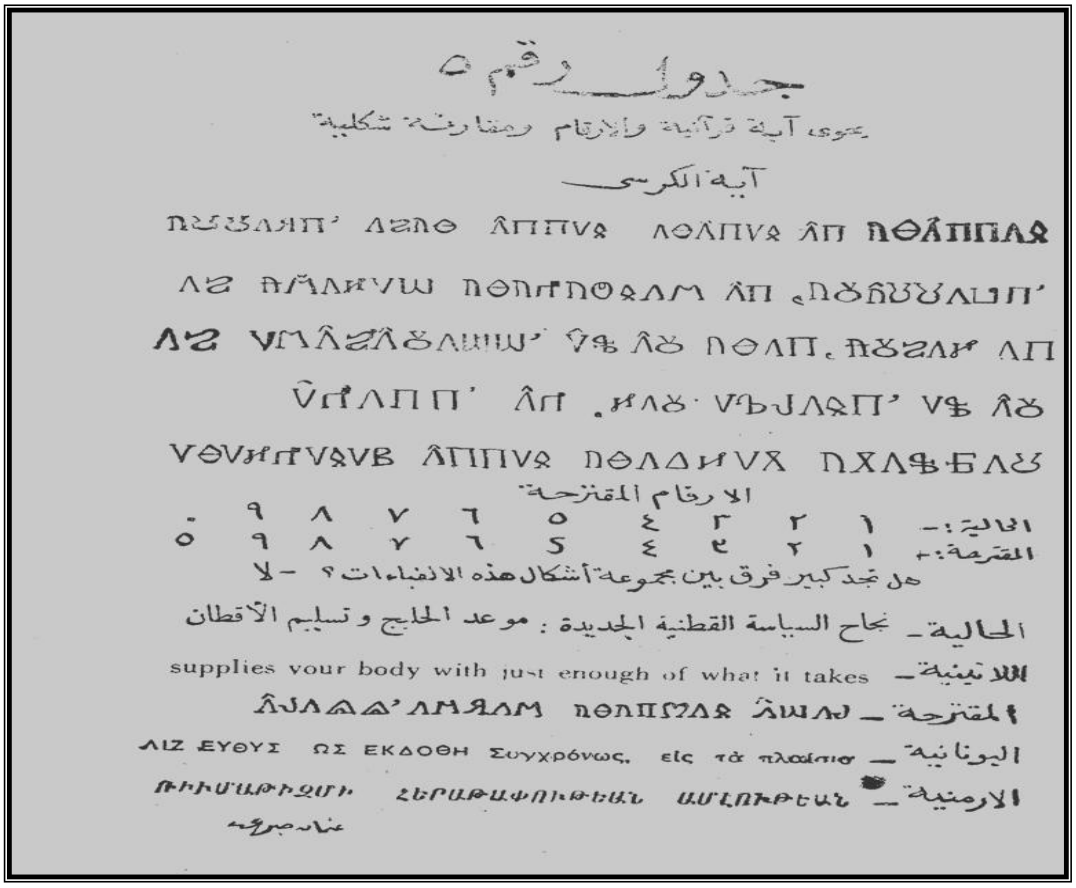

آية الكرسي كتبها عثمان صبري بأحسن أبجدية أخرجت للناس[1]

أمّا "سلامة موسى" فقد دافع عن اقتراح "عبد العزيز" قائلا: «واقتراح عبد العزيز فهمي يحتاج أوّلا إلى العمل بإلغاء الإعراب الذي تعلّمناه ولكن لم نعمل به قط، وإلغاؤه يجعل الهجاء العربي في الخط اللاتيني سهلا، ثمّ هو يغنينا عن وضع الحركات في أعلى وأسفل الكلمة لأنّ الحركات في الخطّ اللاتينيّ حروف تدخل في صلب الكلمة وللنّظر في بعض الميزات التي للخط اللاتيني»[2] وعمل كذلك على تمجيد الحروف اللاتينية مدّعيا أنّها «وسيلة العلم ولا وسيلة غيرها، لأنّ حضارة أوروبا هي الحضارة العلمية التي تربط الحاضر بالمستقبل، في حين أنّ حضارتنا في

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص18.

2- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، ص119.

مصر تربط الحاضر بالماضي، وتشبّثنا بحضارتنا هو عناد لا أكثر» [1]. بل أفرد له فصلا كاملا عنونه:"حاجتنا إلى الحروف اللاتينية".

من الواضح الجلي بأنّ حلكة الجهل هي السّبب في طمس كل معالم الشخصيّة والانتماء والعلم والتّنوير الفكريّ لأنّ الحركات في اللغة الفصحى «حركات خالصة موروثة، مقدّرة الوقت وكيفية الأداء، وقد يكون فيها إمالة أو إشمام أو نحو ذلك، وهذا مالا يمكن أن يتحقّق تماثله مع الحروف اللاتينية التي هي حروف حركة» [2]، أمّا الحروف العربية فيعتري بعضها «إبدال أو إقلاب أو إخفاء أو إدغام حسب السّياق الصّوتي، وهذا ما لا تستطيع أداءه الكتابة والنطق الأجنبيّ» [3]، فاللغة العربية تعدّ أهمّ ملمح من ملامح الهوية العربية والإسلاميّة، وأخطر مكوّن من مكوناتها الذي يميّزها عن غيرها من الأمم، كما أنّ المساس بها أو برسمها يعدّ تشويها لثقافتها، وتحديّا جديّا لحاضرها ومستقبلها.

والحقيقة أنّ هذه الطريقة التي ابتكرها وقال بها "عبد العزيز فه مي" ليست من التّيسير في شيء، بل هي عبارة عن خلط بين الحروف اللاتينية والعربية تفضي إلى تشويه يمسّ الكتابتين معا، وهنا نتساءل، إذا كان "عبد العزيز فهمي " يعيب رسم كتابتنا ويرميه بالضّعف والتّخلف والصّعوبة، فهل تخلو الحروف اللاتينية من العيوب حتى نتّخذها رسما؟

1- سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، ص. 146.

2- هلال، عبد الغفار حامد، أصل العرب ولغتهم من الحقائق والأباطيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1996م، ص 160.

3- المرجع نفسه، ص.160.

فهي أيضا تحوي حروفا تنطق ولا تكتب، كما أنّ فيها كلمات يختلف نطقها عن رسمها *، أم غابت هذه الحقيقة عن تفكيره؟، وأمّا عن تأخّر العرب فلا شأن للخطّ العربيّ في ذلك وهو واهم في ذلك أشدّ الوهم.

ب -من نتائج استعمال الحروف اللاتينية:

1 -صعوبة الكتابة وإهدار الأموال لتعلّم الخطّ الذي يدعو إليه.

2 -إضاعة الوقت، وشيوع الفوضى أثناء تطبيق هذا الاقتراح.

3 -كثرة الشّكاوي من صعوبة التّعامل مع الخطّ الجديد.

4 -اندثار فن الخطّ العربيّ.

5 -قطع الصّلة بين الأجيال القادمة، والميراث الثقافي العربي الذي لا يمكن في أيّ حال من الأحوال التّمكن من جمعه وطبعه بالخطّ المقترح، وأمّا الأتراك الذين يتحدّث عنهم، فقد أضاعوا مجدا عظيما وسؤوداً تليداً باتّخاذهم الحروف اللاتينية.

أمّا أعضاء المجمع اللغويّ فقد عارضوا مشروع "عبد العزيز فهمي" معارضة عنيفة، ونقدوه نقدا دقيقا مفصّلا [1]، ومن هؤلاء "محمد كرد علي" الذي ردّ عليه: «إنّ قول زميلي يوشك أن تغزونا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم، هذا خوف لا محل له، لأنّ العربية تزداد كل يوم رسوخا في نفوس أهلها...كذلك قوله إنّ لغتنا كانت سبب تخلّفنا في

* بالعودة إلى الفصل الأوّل في خصائص الخطّ العربيّ. ص. 43.

1- للتّوسع، ينظر، الجندي، أنور، المساجلات والمهارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1429هـ/2008م، ط.2، ص 31 – 47.

مضمار الحضارة... لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرّسم،...إنّه يعرف أنّنا أنشأنا مدينة شهد لعظمتها كل من قاموا بعدها، وما حال هذا الخطّ ومن قبله الخطّ الكوفيّ دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء، وما وضعناه نحن وما قدّمته قرائحنا من علوم وآداب» [1]، ثمّ يتساءل: ماذا يكون مصير هذا النّتاج الفكريّ العربيّ الإسلاميّ الذي أودعه على مرّ العصور عظماء المسلمين كتبهم وآثارهم المطبوعة والمخطوطة؟ !، وإذا كان الأتراك قد تساهلوا باعتمادهم الحرف اللاتيني الذي أدّى إلى القضاء على تراث عمره ستمائة سنة، فكيف تدعونا إلى نهج دربهم والتّخلي عن خمسة عشرة قرنا من التراث المجيد؟

لعل هذا المستغرِب لا يدرك أنّ «الخطّ هو لسان اليد وبهجة الضّمير وسفير العقول، ووحي الفكرة وسلاح المعرفة، وناقل الخير، وحافظ الأثر» [2]، فهو المترجِم لخلجات النّفس، ورسول الفكر الحامل مآثر الأوائل والواجب العناية به والمحافظة عليه، وأمّا من ينكر حسناته، فهو كمن ينكر نور الشمس في وضح النّهار، فهذا الخطّ هو الذي نُسِجَ عبر القرون الطويلة حتى استقام لأهلها لسانا عربيّا غير ذي عوج «ولست أعرف كتابة تحتمل التّجليل غير العربية» [3] فيكفيها فخرا وعزّة ومجدا أنّ المصحف الشريف كلام الله المنزّل ،مدوّن بها ولا ينبغي أن نتحوّل عنه قيد أنملة .

ومن المؤسف أن يتنكّر لهذه اللغة– العربية – بعض أهلها، ويحاربونها متأثّرين بشبهات أعدائهم من المستشرقين والمنصّرين، متناسين قوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة، الآية 57

1- الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، ص 189.

2- عفيفي، فوزي سالم، جامع الخطّ العربيّ، تح، ناجي هلال، ص223.

3- موسوعة تراث الخط العربي ،تح:ناجي هلال ،ص.223.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ إنّ الأسى والشّجى أنّنا لم نقدّر لغتنا حقّ قدرها «ومازال من يعجز عن الكتابة هو الذي يريد أن يصلح لغتها وأساليبها» [1]، فقد خلفَ خلفٌ أضاعوا العروبة والهوية الإسلاميّة واتّبعوا أصوات الغرب، وحال لسان العربية يقول: [2]

بُليتُ بِكُ ـــلِ إمّعَةٍ جَ ـهُولٍ ∴ أَصَمِ السَّمعِ عَن عَذلِ العَذُولِ

أَلُومُهُمُ فَأَنفُخُ فِي رَمَادٍ ∴ وَأَنَّهاهُمُ فَأَلَدُبُ فِي طُلُولِ

جَرَوا فِي حَلبَةِ العُلَماءِ رَكضًا ∴ بِمَضمَرَةِ الدّعَاوَى وَالفُضُولِ

تَسَامَوا بِالفُرُوعِ فَنَكَسَتهُمُ ∴ وَهَل تَسمُو الفُرُوعُ بِلَا أُصُولِ

أَقَامُوا عَاكِفِينَ عَلَى فَتَاوٍ ∴ تَرُدُّ الدَّهرَ ذَا طَرفٍ كَلِيلِ

إِذَا سَكَتُوا فَعَن عِيٍّ وَحَصرٍ ∴ وَإِن نَطَقُوا أَتَوا بِالمُستَحِيلِ

يُضَاحِكُنِي سَرَابُ القَاعِ مِنهُم ∴ وَمَا اختَرَعُوهُ مِن قَالٍ وَقِيلِ

فاللغة العربية وإن كانت تقلق أعداء الإسلام إلا أنّهم على عداوتهم لها يهتمون بها اهتماما بالغا، فهم يُقبلون على تعلّمها بِنَهَمٍ شديد، بغرض التّصدي للإسلام وأهله ومحاربته بنفس لغته

3- الرّافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ص 37.

2- المقري، أبو بكر، ديوان، ص 100.

وأسلوبه، بالتّأثير على أبنائه فكريّا عن طريق الحركة التّنصيرية التي شنّها عليهم، فالتّنصير لا يقف عند دعوة الرّهبان والقسّيسين إلى دينهم وإنّما هو: «توجيه النّشء إلى ثقافة غير ثقافته، ومحاولة نزع عقيدته الإسلامية، وإبعاده عن القرآن ولغته العربية» [1]، فقاموا بنشر مفاهيم خاطئة عن اللغة العربية واتّهموها بالقصور والجمود والتّخلف تلقّفها ضعاف النّفوس من العرب، فجدّوا عليها – الفصحى – ما لا يجدو بآلبُ الأعداء.

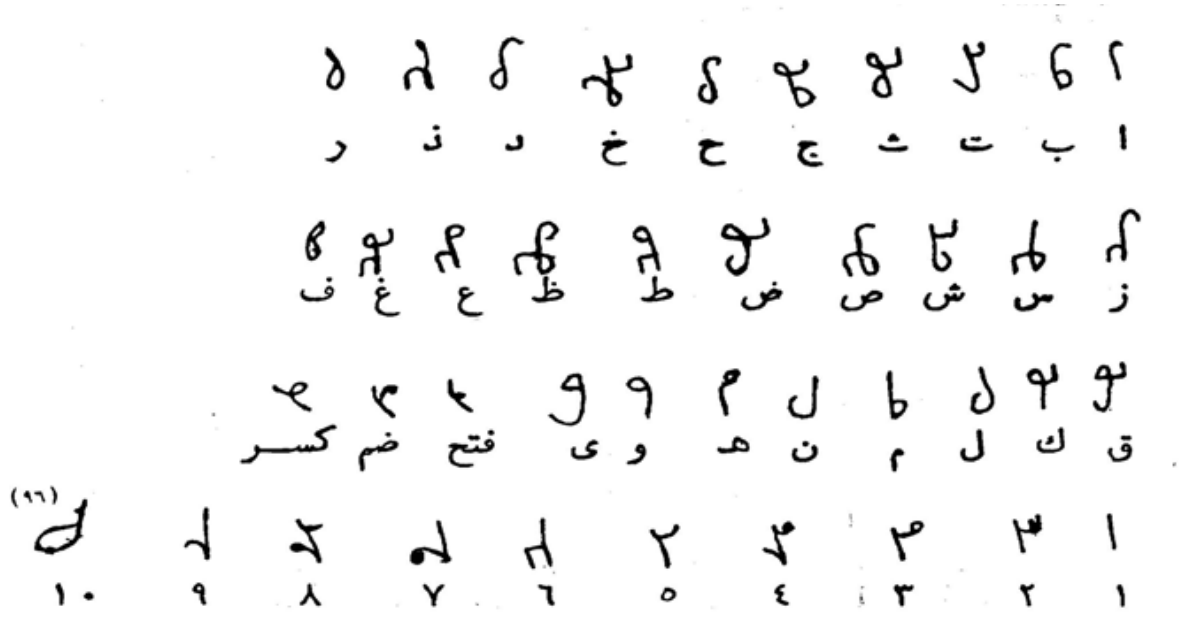

صورة" الخط الجديد" للزهاوي سنة 1896 تبدو فيها آثار العدوان على الإبداع والجمال والهوية معا[2]

1- محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، جامعة أم القرى، 1430/1429هـ، ص 40.

2- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.5.

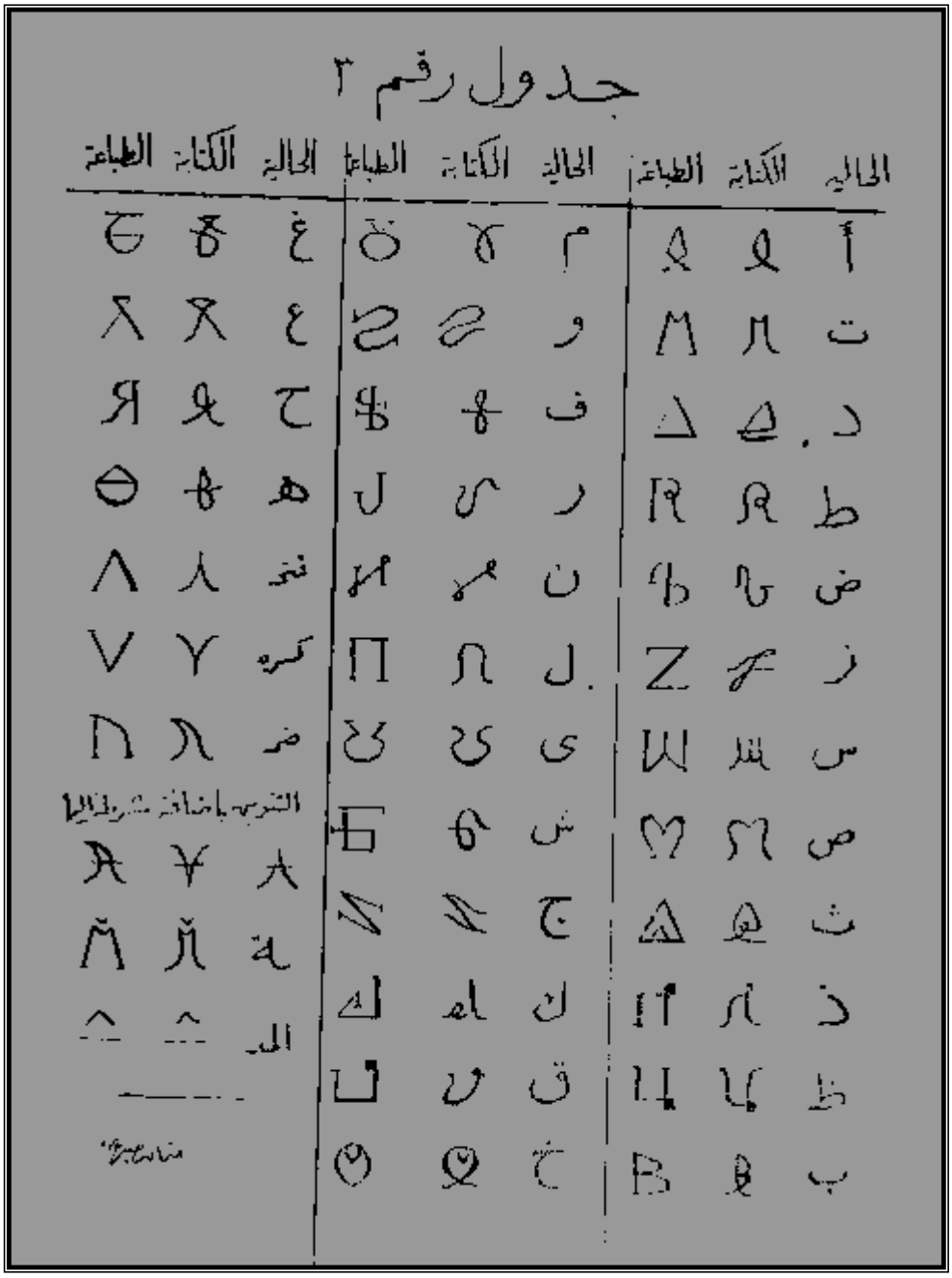

أبجدية مقترحة خالية من كل عيوب الأبجدية العربية[1]

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص16.

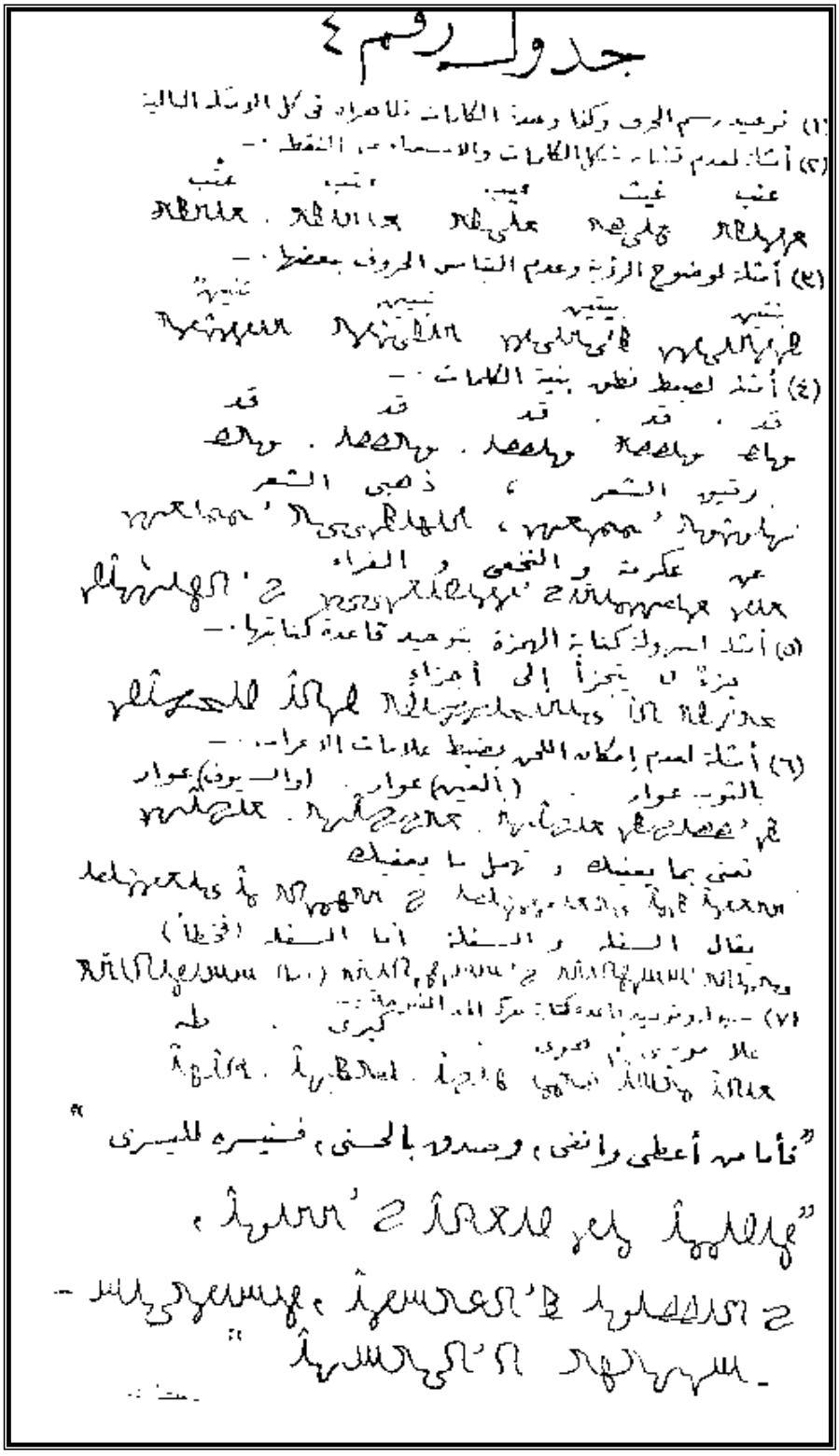
جدول رقم 4

"فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى"

1- الصاوي، محمد، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية، ص.17.

3 وعي المخلصين العرب:

عمل الاستشراق على تكوين عدد من المثقّفين العرب الذين زاغوا عن الحقّ لاستغلالهم في ضرب أهلهم، فيحقّقوا على أيديهم ما لم يستطيعوا تحقيقه هم بأيديهم، فما يكتبه هؤلاء الكتّاب لا يعدو أن يكون مكائد للمستشرقين يردّدونها، فقد ابتغوا الفتنة بين أبناء العالم الإسلاميّ، فجحدوا قيمهم ومبادئهم حتى يجعل لهم الغرب وُدّاً، ويؤكّد ذلك أحد المفكّرين: «إن جمعا من المثقفين في بلادنا، بوّأوا هؤلاء القوم (أي المستشرقين) مكانة هم دونها بيقين، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلا محيص من إماطة اللثام عن وجوههم» [1]، فما هم إلا قناع يقف وراءه الغرب يحركهم حسب أغراضه، فيضرم نيران الفتنة بين المسلمين بعضهم ببعض، ويتمكّن هو من فرض لغته دونما مقاومة جدّية جراء انشغالهم فيما بينهم.

بيد أنّ الحقيقة التي غفلها هؤلاء وأولئك (المستغربون، المستشرقون) هو أنّهم لم ولن يستطيعوا إبعاد العرب عن اللغة الفصحى لسببين مهمّين:

أوّلهما: وأهمها ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم الذي تعهّد الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر 09)، والفصحى محفوظة بحفظ القرآن، فها قد مرت على اللغة العربية «من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا، أدوار مختلفة بين عُلُوٍ ونزول، واتّساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من

1- عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، د.ط، ص 70.

سمائه، وهو يشعّ نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقّة وجزالة، ويرفّ جدّة وطلاوة، ولا يزال كما كان غضّا طريّا يحمل راية الإعجاز ويتحدّى أمم العالم»[1]

ولأنّ القرآن الكريم عربيٌّ، سخّر المولى القدير للغة العربية من يحافظ عليها ويعمل لأجلها «وكلما بدت معارفها تتنكر، أو كادت معالمها تتستّر، أو عرض لها ما يشبه الفترة، ردّ الله تعالى عليها الكرّة، فأهبّ ريحها ونفق سوقها، بفرد من أفراد الدّهر أديب، ذي صدر رحيب، وعزيمة راتبة، ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمّة عالية، يحبّ الأدب ويتعصّب للعربية فيجمع شملها، ويكرم أهلها، ويحرّك الخواطر السّاكنة لإعادة رونقها، ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحلّين بها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم لطائفها» [2]، فهو يقف ضدّ كل دعوة مضلّلة من شأنها سلخ الأمّة عن لغتها وفكرها وقيمها وتراثها.

أمّا ثانيها: فيتمثل في الوعي الذي تميّز به أنصار الفصحى الذين أدركوا كنه هذا الغزو، وكشفوا خططه، وشمّروا عن سواعدهم لتوعية العامّة إلى استحالة تقعيد العامية واتّخاذها لغة أدبية، فالكلمة لا بدّ أن تكون فصيحة جزلة، بليغة سهلة، لا عامية ولا أجنبية.

وها هو "جمال الدين الأفغاني" يحذّر من أفكار المستغربين «يجب أن نعلم أنّ عوامل غريبة مهلكة تبدو في أوّل مظاهرها خفيفة الوطأة، سهلة جزلة، لا ضرر من التّسامح بها، وهي أسلوب عجيب لإضعاف لغة القوم، والتّدرج بقتل التّعليم القوميّ وتنشيط القائلين من الشرقيّين بأن ليس في لسانهم العربيّ أو الفارسيّ أو... آدابا تؤثر، ولا في تاريخهم مجدا يذكر، وأنّ المجد كل المجد

1- الزرقاوي، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، دار الكتاب العربي، ط.1، 1415هـ/1995م، ص 260.
2- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل،فقه اللغة وأسرار العربية ص 30.

لذلك الشرقي الخامل أن ينفر من سماع لغته، وأن يتباهى بأنه لا يحسن التّعبير بها، وأنّ ما تعلّمه من الرّطانة الأعجمية هي منتهى ما يمكن الوصول إليه من المدركات البشرية» [1]، وهذا ما لمسناه من أفكار "سلامة موسى"، ولويس عوض، وعبد العزيز فهمي... وغيرهم كثير حينما رأوا بأنّ اللغة العربية عاجزة عن مواكبة العصر، وأنّه لا بدّ من إحلال العامية مكانها.

حركت هذه الحرب الفكرية قرائح الشعراء فكتبوا يتغنون بها ويدافعون عن حياضها، وكان "مصطفى صادق الرافعي " من أشدّ من حَمَلَ على أعداء اللغة العربية من أبنائها، لأنّه أدرك جيّدا أنّ معاول الهدم من الدّاخل أخطر وأشد أثرا منها من الخارج فأنشد قصيدته: [2]

أمٌّ يُكِيدُ لَهَا مِنْ نَسْلِهَا العِقَبُ ∴ وَلَا نَقِيصَةَ إِلَّا مَا جَنَى النَّسَبُ
كَانَتْ لَهُمْ سَبَباً فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ∴ وَهُمْ لِنَكْبَتِهَا مِنْ دَهْرِهَا سَبَبُ
لَا عَيْبَ فِي العُرْبِ العَرْبَاءِ إِنْ نَطَقُوا ∴ بَيْنَ الأَعَاجِمِ إِلَّا أَنَّهُمْ عَرَبُ
وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ شَتَّى كَالأَنَامِ وَمَا ∴ عِنْدَ الغُرَابِ يُزَكِّي اللَّيْلَ الطَّرَبُ
أَتَى عَلَيْهَا طِوَالُ الدَّهْرِ نَاصِعَةً ∴ كَطَلْعَةِ الشَّمْسِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا الرِّيَبُ
ثُمَّ اسْتَفَاضَتْ دَيَاجٍ فِي جَوَانِبِهَا ∴ كَالبَدْرِ قَدْ طَمَسَتْ مِنْ نُورِهِ السُّحُبُ
ثُمَّ اسْتَضَاءَتْ فَقَالُوا الفَجْرُ يَعْقُبُهُ ∴ صُبْحٌ فَكَانَ وَلَكِنْ فَجْرُهَا كَذِبُ
ثُمَّ اخْتَفَتْ وَعَلَيْنَا الشَّمْسُ شَاهِدَةٌ ∴ كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ فِي الجَوِّ تَلْتَهِبُ
سَلُوا الكَوَاكِبَ كَمْ جِيلٍ تَدَاوَلَهَا ∴ وَلَمْ تَزَلْ نَيِّرَاتٍ هَذِهِ الشُّهُبُ
وَسَائِلُوا النَّاسَ كَمْ فِي الأَرْضِ مِنْ لُغَةٍ ∴ قَدِيمَةٍ جَدَّدَتْ مِنْ زَهْوِهَا الحِقَبُ
وَنَحْنُ فِي عَجَبٍ يَلْهُو الزَّمَانُ بِنَا ∴ لَمْ نَغْنَ بِهِ وَلَبِئْسَ الشِّيمَةُ العَجَبُ

1- عمارة محمد، جمال الدّين الأفغاني، موقظ الشرق، ص 171.

2- الرّافعي، مصطفى صادق،الدّيوان،شرحه:محمد كامل الرّافعي،الاسكندرية،د.ط،1323ه،ج.02،ص 14.

إِنَّ الأُمُورَ لِمَنْ قَدْ بَاتَ يَطْلُبُهَا ∴ فَكَيْفَ تَبْقَى إِذَا طُلَّابُهَا ذَهَبُوا

كَانَ الزَّمَانُ لَنَا وَاللِّسْنُ جَامِعَةٌ ∴ فَقَدْ غَدَوْنَا لَهُ وَالأَمْسُ يُنْقَلِبُ

وَكَانَ مَنْ قَبْلَنَا يَرْجُونَنَا خَلَفاً ∴ فَالْيَوْمَ لَوْ نَظَرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ نَدِبُوا

أَنْتَ تُدْرِكُ الغَرْبَ يُلْهِينَا بِزُخْرُفِهِ ∴ وَمَشْرِقُ الشَّمْسِ يُبْكِينَا وَيَنْتَحِبُ؟

وَعِنْدَنَا نَهْرُ عَذْبٌ لِشَارِبِهِ ∴ فَكَيْفَ نَتْرُكُهُ فِي البَحْرِ يَنْسَرِبُ؟

وَأَيُّ مَرْمَى لُغَةٍ تُنْسِي امْرَأَ لُغَةً ∴ فَإِنَّهَا نَكْبَةٌ مَنْ فِيهِ تَنْكَبِبُ

لَكُمْ بَقَى القَوْلُ فِي ظِلِّ القُصُورِ عَلَى ∴ أَيَامِ كَانَتْ خِيَامُ اليَدِ وَالطُّنُبُ

وَالشَّمْسُ تَلْفَحُهُ وَالرِّيحُ تَنْفَحُهُ ∴ وَالظِّلُّ يَعْوِزُهُ وَالمَاءُ وَالعُشْبُ

أَرَى نُفُوسَ الوَرَى شَتَّى وَقِيمَتُهَا ∴ عِنْدِي تَأَثُّرُهَا لَا العِزُّ وَالرُّتَبُ

أَلَمْ تَرَ الحَطَبَ اسْتَعْلَى فَصَارَ لَظًى ∴ لَمَّا تَأَثَّرَ مِنْ مَسِّ اللَّظَى الحَطَبُ

فَهَلْ نُضِيعُ مَا أَبْقَى الزَّمَانُ لَنَا ∴ وَنَنْفُضُ الكَفَّ لَا مَجْدٌ وَلَا حَسَبُ

إِنَّا إِذَا سُبَّةٌ فِي الشَّرْقِ فَاضِحَةٌ ∴ وَالشَّرْقُ مِنَّا وَإِنْ كُنَّا بِهِ خَرِبُ

هَيْهَاتَ يَنْفَعُنَا هَذَا الصِّيَاحُ فَمَرَّا ∴ يُجْدِي الجَبَانَ إِذَا رَوَّعَ نَهْرُ الصَّخَبُ

وَمَنْ يَكُنْ عَاجِزاً عَنْ دَفْعِ نَائِبَةٍ ∴ فَقَصْرُ ذَلِكَ أَنْ تَلْقَاهُ يَحْتَسِبُ

إِذَا اللُّغَاتُ ازْدَهَرَتْ يَوْماً فَقَدْ ضَمِنَتْ ∴ لِلْعُرْبِ أَيَّ فَخَارٍ بَيْنَهَا الكُتُبُ

وَفِي المَعَادِنِ مَا تَمْضِي بِرَوْنَقِهِ ∴ يَدُ الصَّدَا غَيْرَ أَنَّ لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

وهو يرى – الرّافعي– بأنّ النّزول باللّغة دون مترلتها يكون سببه واحد من هذه الأسباب الثّلاثة الآتية: «فإمّا مستعمرون يهدمون الأمّة في لغتها وآدابها لتتحوّل عن أساس تاريخها الذي هي أمّة به ولن تكون أمّة إلّا به، وإمّا النّشأة في الأدب على مثل نهج التّرجمة في الجملة الإنجليزية والانطباع عليها وتعويج اللّسان بها،وإمّا الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضّعف» [1].

1– الرّافعي، مصطفى صادق،تحت راية الإسلام،ص 30.

ويجب أن ندرك جيّد ا أنّ اللغة العربيّة هي رأس المال فينبغي المحافظة عليها من ما من شأنه أن يبتليها بالضّعف والهون، ولا نسمح بأن تزاحمها العامية ولا اللّغات الأجنبية في مكانتها.

وأمّا "حافظ ابراهيم" فكتب قصيدته المشهورة "اللّغة العربية تنعى حظّها بين أهلها" حيث يقول فيها:[1]

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي ∴ وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي ∴ عُقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي

وَلِدْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي ∴ رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظاً وَغَايَةً ∴ وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ ∴ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ ∴ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي ∴ وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ، أُسَاتِي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي ∴ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزّاً وَمَنْعَةً ∴ وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ

أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّناً ∴ فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ ∴ يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي ؟ !

وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْماً عَلِمْتُمُ ∴ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ

سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظُماً ∴ يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي

حَفِظْنَ وِدَادِي فِي اللَّيَالِي وَحَفِظْنَهُ ∴ لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ

1- إبراهيم، حافظ، ديوان، ج.01، ص.253.

وَفَاخَرَتْ أَهْلَ الغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقٌ ∴ حَيَاءً بِتِلْكَ الأَعْظُمِ النَّخَرَاتِ

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الجَرَائِدِ مَزْلَقاً ∴ مِنَ القَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ !!

وَأَسْمَعُ لِلكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً ∴ فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي!!

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا اللهُ عَنْهُمُ ∴ إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ ؟ !

سَرَتْ لَوْثَةُ الإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى ∴ لُعَابُ الأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ

فَجَاءَتْ كَثَوْبٍ ضُمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً ∴ مُشَكَّلَةَ الأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

إِلَى مَعْشَرِ الكُتَّابِ وَالجَمْعُ حَافِلٌ ∴ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي

فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ فِي البِلَى ∴ وَنِمْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي

وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ ∴ مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ

فهذه اللغة التّي تنعى نفسها هي نفسها التي اتّسعت لمعاني الإسلام الذي لم يكن لها عهد به كالصّلاة والصّيام و...ثمّ اتّسعت لمعاني الإسلام بما يحمله من شريعة وأخلاق وعبادات...و لم تعجز أبدا عندما استحدث "عمر بن الخطاب رضي الله عنه " الدّواوين والإدارات، وحتى عهد التّرجمة والتّأليف في علوم جديدة بالنّسبة للغة العربية كالرّياضيات والكيمياء والطّب والهندسة... لم تتخلّف العربية عن ذلك بل اتّسعت لها اتّساعا كبيرا، ووعت شتى العلوم والمعارف. وهكذا كلمّا تعالت أصوات الحاقدين لضرب هذه اللغة ووأدها ،وضرورة محوها ،تهافتت أصوات أخرى تخاطب العقول وتنير الدّروب على أنّها لغة العصور ودليل العبور ومنتهى الوصول .

فإذا كان التّيسير مطلوبا لذاته حيثما تيسّر فـــ«يجب أن يعلم أن الكتابة والنّحو والعروض والتّعريب هي جميعا في أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن باليسير، فتيسير الكتابة بالنّقط تارة،

والشكل تارة أخرى أعظم كلفة وأبعد أمدا ممّا نتكلّفه الآن لتيسير الرّسم والهجاء، وتيسير أشكال الكتابة والطّباعة، أمّا النّحو ففي أساسه صناعة تيسير السّليقة...»[1]، غير أنّ التّيسير لا يتمّ على غير قاعدة مضبوطة.

لذا فإنّ هذه اللغة العربية هي التّي حملت في طيّاتها بذور وحدة الأمّة العربية الإسلاميّة، فانهالت عليها المِحَنُ، وأحاطت بها الخطوب، وتعدّى ساحتها اللئام، ذلك لأنّها تحمل من لوازم الأصالة والثبات والعراقة، ما يؤهّلها للعالمية، تجلّت في خصائصها المتينة لفظا وكتابة وعقيدة، ومن أجل ذلك شحذ المستشرقون الغربيّون خناجرهم لطعن هذه اللغة وتشويهها، والسّيطرة على أفكار أبنائها، لأنّهم على يقين تامّ بأنّ وحدة الأمّة وثبات عقيدتها متوقّف على سلامة اللغة وقوانينها، فانهيار اللغة عن طريق نشر اللهجات العامية، أو التّخلي عن الإعراب أو استبدال الحرف العربيّ باللاتيني، فذلك هو مطلب الغزو وبُغيته، وأمّا التزام الأدب للغة الفصحى، واستخدام صورها البليغة، فردّ عملي وقويّ على دعاة العامية.

1- العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص50.

المبحث الثاني: نفوذ المستشرقين إلى المجامع اللغويّة العربية

سعت البلدان العربية إلى تأسيس مجامع لغوية ترعى اللغة العربية، تصونها وتحافظ عليها، تعمل على إعدادها للوفاء بالحاضر، دون التّنكّر لماضيها وتراثها العلميّ والفكريّ والأدبيّ... حتى تتمكّن من التّطور الثقافيّ والحضاريّ تطوّرا خِصبا مثمرا، والمحافظة عليها دون أيّ انحراف، بيد أنّها تفسح للتّطور والحركة والنّمو، حتى أنشئت هذه المجامع في القرن العشرين.[1]

ويعرفها صالح بلعيد – المجامع – بأنّها «مؤسسات لغوية علمية تقوم على خدمة اللغة، وبها جماعة من العلماء، تجتمع للنّظر في ترقية اللغة والعلوم والآداب والفنون، ويركّزون اهتمامهم غالبا على الجانب اللغويّ والعلميّ، وما يجب أن تكون عليه بناء على التراث العربي والعالمي وتزويدها بالمصطلحات الحديثة مسايرة لقضايا العصر» [2]، اتحدّت فيها جهود العلماء من أجل غرض واحد داخل مؤسسة واحدة، لاختصار الوقت وتنسيق الجهود، ومنهجه الخطى لبلوغ الهدف.

ومع ذلك استطاع المستشرقون الغربيّون بأساليبهم وحيلهم، أن ينالوا ويحوزوا ثقة العرب فتسلّلوا إلى المجامع اللغوية، وتبو أوا فيها المناصب «ولكي نعرف المكانة التي يحتلها علماء الغرب، والثقة التي ينالونها في الشرق، يجب أن نعلم أنّ المجامع العلمية الثلاثة في الشرق الأوسط، أعني: المجمع اللغوي في مصر، والمجمع اللغوي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي العراقي في بغداد، لكل

1- ينظر، شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما 1934 – 1984،

2- صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004، ص 79.

ذلك عدد وجيه من الأعضاء المستشرقين الذين يستفاد من آرائهم ودراساتهم» [1]، وهكذا نجد أنّ التّأثر بالمستشرقين لم يقتصر على الأفراد فحسب، بل جاوزهم ليشمل حتى الهيآت العلميّة في الوطن العربي، و لم يستثن منهم حتى أولئك الذين عُرِفوا بعدائهم للإسلام وتعصّبهم ضدّه.

1 -المجمع العلميّ بدمشق:

1) نشأته: واجهت الحكومة السورية مشكلة عويصة إزاء اللغة العربية وذلك بسبب الحكم العثماني الذي دام أربعة قرون، حجب فيها اللغة العربية عن دوائر الدولة ودواوينها وحتى عن الحياة العامّة، وعند قيام الحكومة العربية سنة 1918م تأسّست حركة قومية تدعو إلى نقل قوانين الحكومة وسجلاتها وأنظمتها إلى اللغة العربية، وتأليف الكتب المدرسية بها. ومن أجل ذلك أنشأت الحكومة شعبة سمّتها «شعبة الترجمة والتأليف»، و لم تلبث طويلا حتى أدمجتها في ديوان المعارف، وفي سنة 1919م حوّلتها إلى «مجمع علمي عربي» برئاسة "محمد كرد علي" الذي يرجع إليه الفضل في إنشائه.[2]

2) أهدافه: جاءت أهدافه على النّحو الآتي:

1/ النّظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصّناعات والفنون عن اللغات الأوروبيّة وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة الموضوعات على نمط جديد.

1- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مقالات بحوث حول الاستشراق والمستشرقين، ص24.
2- ينظر، شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما 1934 – 1984م، ص 09-10.

2/ جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة.

3/ جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها.

4/ إصدار مجلة خاصّة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة.[1]

تأسس المجمع بأعضاء عرب خلّص، أثيرت بين أعضائه مسألة قبول عدد من الموضوعات الاستشراقية بحيث يكون في منتهى كل جزء من المجلة مقالات بالفرنسية، لكن ذلك لم يتم.[2]

وفي سنة 1920م قرّر المجمع انتخاب المستشرقين الآتية أسماؤهم:

فرنسا: غوستاف لوبون، ماسنيون، غوري، دوسو.

إيطاليا: جويدي جريفيني، نللينو، كايتاني.

بريطانيا: مارجليوت، براون.

هولندا: هوشيما، سنوك هر.

سويسرا: مونتيه.

اسبانيا: ميكل آسن.

ثمّ تزايد عددهم بعد ذلك، وتنوّعت مهامهم من عامل ومشرف، نصفهم أوروبيون وأمريكيون، ومن الملاحظ تسرّب بعض السّاسة والعسكريين والجامعيين إلى المجمع.[3]

1- الجبوري، عبد الله، المجمع العلمي العراقي، نشأته، أعضاؤه أعماله، مطبعة العاني، بغداد، 1385هـ/1965م، ص 26-27.
2- حمدان نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون، مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية، ط.01، 1408هـ/1988م، ص 140.
3- ينظر، المرجع نفسه، ص.141.

جدول المستشرقين المجمعيين في المجمع العلمي العربي بدمشق:[1]

المستشرق	حياته	بلده	أعماله – آثاره
1 – آسين بلاسيوس- الأب Asin Palacios	1871 – 1944	اسباني	مجمعي في عدد منها – مثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين – رتب حوالي 30 ألف ترجمة للعلماء العرب في الأندلس، تخصص في الفلسفة والتصوف.
2 – أراندوك س Arendenk, C.Von	1881	هولندي	أمين المخطوطات والكتب الشرقية بليدن – أستاذ العربية بجامعتها، دراساته عن الأمامية وجنوب الجزيرة العربية.
3 – أربري. ا . ج Arberry, A, J.	1905 – 1969	انكليزي	وزير الأنباء (1940 – 44)، مجمعي في عدد منها – رئيس قسم الدراسات الشرقية والإفريقية (1946 – 47).
4 – استروب ج = أويستروب Oestrup.J.E	1867 – 1938	دانمركي	محاضر للغات السامية والحضارة الإسلامية (1796) – له معرفة طويغرافية بصحراء سورية، وألف: موجز تاريخ الإسلام (1914) – رحل كثيرا إلى الشرق الأوسط.
5 – أشتولز – كارل A. K.		نمساوي	
6 – باسيه رينه Basset, renet	1855 - 1924	فرنسي	تعمق في الأخلاق والعادات التونسية، رأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (1905) قنصل في الجزائر – عميد كلية الجزائر، عضو في مجامع عديدة.
7 – براون – ادوارد Browne, E. G.	1862 - 1926	انكليزي	درس الطب انتدب لتدريسه في إيران (1887) اشتهر بجمعه بين الطب والعلوم الطبيعية – عضو في المجمع البريطاني.
8 – بدرسن – جون Pedersen, J	1883	دانمركي	اهتم بالتوراة والإنجيل، له: اسرائيل في مجلدين (1920)، ترجم القرآن إلى الدانمركية – اتصل بعلماء الأزهر – كان في بلاد عربية – عضو في الجمعية الشرقية الألمانية، وجمعية الألسن، وجمعيات أخرى.
9 – بروكلمان – كارل Brockelmmanm, C.	1868 – 1951	ألماني	أستاذ في جامعات برلين، وهالة وغيرهما وعضو في مجامع برلين وبودابست وغيرهما، وجمعيات أسيوية كثيرة – غزير الإنتاج تحقيقا ودراسة.
10 –برتلس Bertels, E. E.	1890 – 1957	روسي	أستاذ الكلية الشرقية بموسكو، له: الصوفية في إيران (1927) والصحافة في أفغانستان (1934)، وفقه اللغة العربية (1955).
11 –بفين B.		انكليزي	
12 –بلاشير ريجي Regis Blachere	1900 – 1970	فرنسي	أستاذ العربية في المدرسة الوطنية بباريس – عضو في أكاديمية النفوس بفرنسا
13 –بوفا – لوسيان – Bouvat, L.	1942	فرنسي	محرر في مجلة العالم الإسلامي سنوات، له تاريخ البرامكة، الإسلام في افريقيا السوداء (1907)، الإسلام رسالة وسياسة (1912) الشيوعية والإسلام (1922)...
14 –بوهل Buhl, F.	1850 – 1932	دانمركي	متمكن من العبرية، أستاذ للعهد القديم بجامعة كونيهاجن – رحل إلى الشرق وفلسطين
15 –بيارد – دودج Baird, Dodge	1888	أمريكي	رئيس الجامعة الأمريكية بيروت (1923 – 48) مستشار هيئة الأمم المتحدة لوكالة غوث اللاجئين – محاضر في جامعة برنستون 1951 أستاذ زائر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (1952 – 59)

1– حمدان، نذير، مستشرقون سياسيون – جامعيون – مجمعيون، ص.161.

16 -بيرشم – فان Bercham, Van	1921 – 1863	سويسري	أستاذ اللغات الشرقية في جنيف – طوف في سورية واستخرج آثارها من قلاعها وأبراجها...له: سورية الجنوبية، رحلة إلى سورية، نبذات عن الصليبيين، آثار الباطنية، وخرائط عن مقاطعات سورية ولبنانية.
17 -جب. ه. ا. ر Gibb, Hamilton, AR	1971 – 1895	انكليزي	مولود في الإسكندرية – علم في الاستشراق – مجمعي في القاهرة عند تأسيسه – أستاذ بجامعة لندن (1930 – 37) واكسفور (1937) وهارفارد (1955) مدير مركز الدراسات للشرق الأوسط (1962) – غزير الإنتاج.
18 – جبرائيل – فرنشيسكو Gabrieli –F	1904	إيطالي	أستاذ في جامعة رومة – متخصص في الشعر الجاهلي والتاريخ الإسلامي – مجمعي في عدد منها – غزير الإنتاج.
19 – جريفيني – أوجنيو Griffini, E	1925 – 1878	إيطالي	أمين لإدارة أركان حرب طرابلس (1911 – 13) كلف برسم خرائط المدن والبقاع – مساعد لأمين مكتبة ميلانو – مدير المكتبة بالقاهرة (1920) غزير الإنتاج.
20 -جولدزهير – اغناطيوس Goldziher, Y.	1921 – 1850	مجري	أستاذ بكلية العلوم بجامعة بودابست (1873) انتدبته حكومته للقيام برحلة إلى سورية (1873) ثم رحل إلى فلسطين ومصر والتقى بمحمد عبده وغيره – عضو في مجمع العلوم المجري (1893) ومجامع علمية، حضر مؤتمرات استشراقية – مكتبته تزيد على 40 ألف مجلد، إنتاجه غزير.
21 -جويدي – اغناطيوس Guidi Ignazie	1935 – 1844	إيطالي	أستاذ الأدب في الجامعة المصرية (1808) عضو مراسل في مجلس الأعيان برومة – شيخ المستشرقين في اللغات السامية – غزير الإنتاج.
22 – حتى – فيلب Hittl, F	1886	أمريكي	لبناني الأصل تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت – أستاذ تاريخ العرب في الجامعة السابقة، وجامعة برنستون أستاذ للآداب السامية – مجمعي في عدد منها.
23 – روسو – رينة (ديو) Dussaud, R	1958 – 1868	فرنسي	أستاذ في معهد فرنسا (1905) ومدرسة اللوفر (1910) ومعاون في مجلة تاريخ الأديان – قصد سورية للكشف عن آثار النصيرية وجيل الدروز والصفا واللجاة – عضو في مجمع الكتابات والآداب الفرنسية – مجمعي في عدد منها.
24 – ديدرنغ Dedring, S	1897	سويدي	أستاذ اللغات السامية بجامعة لوند (1937) له: الوافي بالوفيات صلاح الصفدي.
25 – ريتر – هلموت Ritter, H	1892	ألماني	من الأعلام، إشراف على معهد الآثار الألماني باستنبول ثلاثين سنة عميد كلية الآداب في فرانكفورت (1939).
26 – ساخو – ادوارد زاخو Sachau, E.	1930 – 1845	ألماني	أستاذ العربية في ليبزيج – أوفدته الحكومة البروسية إلى سورية والعراق (1879 – 80) أسس معهد اللغات الشرقية ببرلين 1888.
27 – سارطون – جورج Sarton, G	1956 – 1884	أمريكي بلجيكي الأصل	محاضر في الجامعات الأمريكية والأوروبية – وكلية المقاصد والأمريكية ببيروت – زار ومصر – منح ست شهادات دكتوراه فخرية، رئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم بباريس.
28 – سترستين Zettersteen, K,V	1953 - 1866	سويدي	أستاذ اللغات السامية في الجامعة أو بسالة إلى سنة 1931، أسهم في عدة معاجم ومجلات – أصبح رئيسا لتحرير مجلة العالم الشرقي – اشترك في مؤتمرات المستشرقين – غزير الإنتاج.
29 – شاخت – جوزيف Ssacht, J	1969 – 1902	ألماني	أستاذ في جامعات ألمانية، والجامعة المصرية (1934) والجزائر (1952)

			عضو في مجامع عدة – تخصص في التشريع الإسلامي – غزير الإنتاج.
30 – غليوم – الفرد = جيوم – الفرد Grillame, A	1888	انكليزي	محاضر في العبرية بلندن (1920) وأستاذ في جامعات أوروبية والجامعة الأمريكية ببيروت (1944 – 145) واستنبول رئيس قسم الشرقين الأوسط والأدنى (1947 – 55).
31 – غومز – اميليو = جوميث اميليوجارثيا Gomez, E		اسباني	أستاذ بجامعة غرناطة (1929) ومدريد – مدير المعهد الثقافي العربي الإسباني – طوف بسورية ولبنان – سفير في بغداد ثم لبنان.
32 – فران – جبرائيل Ferrand, G	1935 – 1764	فرنسي	وزير مفوض بالمشرق – عضو بالجمعية الآسيوية – اختص بالعربية والجغرافية.
33 – فيشر Fischen, Aug	1949 – 1765	ألماني	تخصص في المعاجم وفقه اللغة – انشأ مجلة الدراسات السامية في ليبزيج (1932)
34 – كراتشكوفسكي. أ Kratchkouski, I	1951 – 1883	روسي	مدير المكتبة العامة ورئيس لجنة الآثار – أوفدته حكومته إلى الشرق لتعلم العربية، تعرف على أدبائها وعلمائها في بيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة – محاضر في قسم اللغات الشرقية.
35 – كرسيكو – يوصا اهتنن = كوروسكو Korosco	1881	يوغسلافي	عضو في مجمع الروسي وإيران – غزير الإنتاج.
36 – كرينكون – فريتز Krenkow , F.	1953 - 1872	انكليزي ألماني الأصل	وفي تحرير صحيفة فلندية (آبو) العاصمة القديمة – علم العربية – يعرف لغات كثيرة – نادرة الإنتاج.
37 – كليمان – هوار Clement, H		فرنسي	من أوائل أساتذة الجامعة المصرية، له: فرنسيو مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر.
38 – كوفالسكي – ت Kowalski, T	1948 – 1889	بولوني	محاضر لفقه لغات الشرق الإسلامي في جامعة كراكوفيا، عضو مراسل في مجمع العلوم البولوني – رئيس اللجنة الاستشراقية.
39 – كولان – جورج = كولين جورج – سافن ColinG, S	1893	فرنسي	مقيم في شمال إفريقيا، متخصص بدارسة تاريخه ولغاته واتصالاته، متوسط الإنتاج.
40 – كولين – جابريل ColinG	1893	فرنسي	أستاذ مدرسة اللغات الشرقية بباريس قليل الإنتاج في المغربيات.
41 – كي. أ = جي أرثور Guy, Arthur	1928 – 1874	فرنسي	مترجم في سفارات دمشق وطرابلس الغرب واستنبول والقاهرة – قنصل في حيفا وطرابلس الغرب وأزمير – عضو في الجمعية الآسيوية بالشيخ يحيى الدبقى في كتاباته.
42 – لاوست – هنري Lause, H	1905	فرنسي	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (1941) – استاذ بجامعة ليون (1945) عضو في مجامع عديدة – متوسط الإنتاج.
43 – لويس – دافيد .Lopes, D	1942 – 1867	برتغالي	كرسي العربية بكلية الآداب في لشبونة (1911) مجمعي بعلوم لشبونة ومجمع التاريخ بمدريد.
44 – مارسه – وليم Marcais, W	1956 – 1874	فرنسي	مدير مدرسة تلمسان (1898) درس اللهجات المغربية – من أوائل المستشرقين الاوروبيين.
45 – ماسة – هنري Massé, H	1969 – 1886	فرنسي	مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة – أستاذ في الجزائر (1916) عضو في مجمع الكتابات والآداب – اختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين
46 – ماسينون – لويس Massig non, L	1962 - 1883	فرنسي	كبير المستشرقين في فرنسا – اشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر 1905.

			– مستشار وزارة المستعمرات – أقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق واستنبول. – تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (1919) عضو في مجامع عدة ومنها بمصر غزير الإنتاج.
47 – ماكدونالد – د – ب Macdonaald, D, B	1943 – 1863	أمريكي	أسس مدرسة كندي للبعثات (1911) أنشأ مع زويمر مجلة عالم الإسلام (1911) اختص بالإسلاميات.
48 – مالنجو – العقيد Malinjoud, C	1926 - 1873	فرنسي	مولود في الجزائر – مترجم في المدرسة الحربية السورية (1921) له دراسات متعددة عن سورية.
49 – ماليير – ادوار Mahler, Ed	1945 – 1857	ألماني	أستاذ العربية في بودابست، له: دليل القرآن (1881) والتقويم اليهودي (1916).
50 – ماهلر Mahler		مجري	
51 – مرجليوث – د، س Margoliouth, D,S	1940 – 1858	انكليزي	من الإعلام – أستاذ العربية في اكسفورد – رئيس تحرير المجلة الملكية الآسيوية – عضو في المجمع اللغوي البريطاني والجمعية الشرقية الألمانية – غزير الإنتاج
52 – موجيك – هانز Muzik, H, Von		نمساوي تشيكي الأصل	اختص بالتاريخ الإسلامي له: الوزراء والكتاب: للجهشياري، صفة الأرض: للخوارزمي.
53 – موزال – آلوا = موزيل الويز Musil, A	1944 – 1868	تشيكي	استاذ اللغات السامية بجامعة براغ – علم بمدرسة الكتاب المقدسة بالقدس (1895) له رتبة لواء.
54 – مونتيه – ادوارد Montet, Ed	1927- 1856	فرنسي سويسري الأصل	د/ في اللاهوت البروتستانتي من باريس (1883) أستاذ العبرية والعهد القديم في جنيف ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام.
55 – ميتفوخ – أوجين Mittwoch, Eug	1942 – 1867	ألماني	أستاذ في معهد اللغات الشرقية (1907) وبرلين (1919) تخصص في فقه اللغة الحبشية والبيئة وجنوب الجزيرة العربية.
56 – ميشور - بلليز Muchoux, B		فرنسي	مدير البعثة العلمية بطنجة واختص بالمغرب، اسلم وتزوج من مغربية – متوسط الإنتاج
57 – فللينو – كارلو Nallino, C,A	1938 – 1872	ايطالي	أستاذ في جامعة القاهرة للفلك والأدب – عضو المجمع الإيطالي وعدة مجامع ومنها مجمع القاهرة – اشرف على مجلة الدراسات الشرقية فمجلة الشرق الحديث – غزير الإنتاج.
58 – هارتمان – ريتشارد Hartman, R	1881	ألماني	أستاذ في جامعة ليزيج (1918) والعربية في جامعة برلين (1936) عضو في عدة مجامع معهد اللغات الشرقية ببرلين.
59 – هارتمان – مارتن Hartman, M	1918 – 1851	ألماني	مستشار القنصلية ببيروت (1876 – 87) أستاذ السريانية والدراسات الإسلامية بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين (1887) انشأ معهد شرقي بسورية (1898 – 1906) عالم الإسلام (1913) ومصر وتركستان أصدر بمعاونة العلماء مجلة.
60 -هرزفلد – أرنست = هرسفيلدأرنست Harzfeld, E,E	1948 – 1879	ألماني	من علماء الآثار وخاصة في منطقة دجلة والفرات أستاذ الجغرافية التاريخية بجامعة بغداد (1920).

61 -همس – جان – جاك Hess, J,J	1949 – 1866	سويسري (فرنسي)	أستاذ الآثار المصرية والآشورية في جامعة فرايبورخ ثم أقام بمصر – أستاذ اللغات الشرقية بجامعة زويرخ.
62 -هوتسام – ت Houtsma, M, T	1943 – 1851	ألماني	كلف بإنشاء والإشراف على دائرة المعارف الإسلامية (1895) عضو في مجامع وجمعيات
63 -هرجرونجة سنوك Hurgrony, C		هولندي	مكث لحكومته في جاوة 17 سنة – زار مكة متسميا بعبد الغفار (1884) غادرها قبل موسم الحج – عميد العربية والفقه والأصول والحديث في أوربا.
64 -هوروفيتش – جوزيف Horvitz, J	1931 – 1874	ألماني	أستاذ العربية في عليكرة (1907 – 14) متخصص بالإسلاميات في الهند – انتقل إلى جامعة فرانكفورت (1915)
65 -هوميل – فريتز Hommel, F	1936 – 1854		علم بالسامية في جامعة ميونخ – متوسط الإنتاج.
66 -هيار Huart, CI	1927 – 1854	فرنسي	قنصل بالمشرق (1897) أمين سر ومترجم بوزارة الخارجية – منتدب بمؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905)، وكوينهاجن (1908) قنصل عام (1912) رئيس مجمع الكتابات والآداب الفرنسية 1927، عضو المعهد الفرنسي والجمعية الآسيوية غزير الإنتاج.

محاضرات المستشرقين ما بين 17 نيسان 1921م – 12 نيسان 1946م:[1]

المحاضر	جنسيته	الموضوع	التاريخ
1 - لاووست – هنري Lwuse, H	فرنسي	حياة ابن تيمية وأفكاره	5 آذار 1941م
2 - ماسينون – لونسي Massignon, L	فرنسي	وسائل اللغة العربية إلى غايتها الثقافية	14 آذار 1945م

المقالات والبحوث الاستشراقية في ثلاثين جزءا من سنة 1921 – 1955م:[2]

الكتاب	جنسيته	الموضوع	المجلد	التاريخ
1 -آيري Arberry, A,J	انكليزي	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب	14	1949
2 - بيريس – هنري B, H		للغة العربية وسكان الأندلس في القرن الوسطى	19	1944
3 - جبرائيل – ف Gabrieli, Francesco	إيطالي	ديوان الوليد بن يزيد	15	1937
4 - حتى – فيليب Hitti, P. K	أمريكي	نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي	5	1925
5 - ديتريش – ألبرت Dietrich, A	ألماني	كتاب الجليس والأنيس للمعافي بن زكريا النهراوني	30	1955
6 -ريتر – ه Ritter, H	ألماني	رسالة ابن سينا	25	1950
7 - شتولز – كارل		اللغة العربية في أفغانستان	30	1955

1- حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون، ص.172.

2- المرجع نفسه، ص.173.

8 - كراتشكوفسكي Kratchkovski, I	روسي	درس الآداب العربية	10	1930
9 - كرسكو – يوحنا أهنتين Korosco, A	فلندي	نفي أوهام الأوروبيين في صعوبة تعلم اللغة العربية	4	1921
10 -كرنكو – فريتز Krenkow, Fr	انكليزي	ترجمة الجاحظ	9	1929
11 - كرنكو – فريتز Krenkow, Fr	انكليزي	صلاح الدين الصفدي	9	1929
12 -نللينو – كارلو Nallino, Carlo, A	إيطالي	تصحيفات عربية في معجمات اللغة العربية	10	1930
13 -هوكسلي – جوليان		الأونيسكو – برنامجه وآماله	23	1948
14 -ولفنسون – اسرائيل Wolfensonhn, Y	ألماني	كتاب المصايد والمطارد لكشاجم	18	1943

وبالنظر إلى إنتاج المستشرقين بالمجمع اللغوي الذي انحصر في محاضرتين "لماسنيون" و"لاووست" وأربعة عشر مقالا أو تحقيقا جزئيا أو دراسة لمخطوط أو ترجمة مقتضبة موازاة بعددهم فإنّه يتبيّن لنا ضآلة إنتاجهم خاصّة إذا ما قورن بغزارته خارج المجمع، فهل عقمت عقولهم؟ في الحقيقة هذا أمر طبيعي جدّا فكما يقول المثل "إنّك لا تجني من الشوك العنب".

من الأعلام المستشرقين بالمجمع:

أ) **بلاشير ريجي Regis Blanchere (1900 – 1973م)**: ولد في باريس، تحصّل على شهادة ليسانس بجامعة الجزائر سنة 1922م عيّن أستاذ اللغة العربية الفصحى في «المدرسة الوطنية للغات الشرقية» في باريس، واستمر في منصبه حتى 1950م حيث شغل كرسي اللغة والأدب العربيين في السوربون إلى حين تقاعده سنة 1970م[1]، إلى جانب عضويته في المجمع العلمي العربي بدمشق، من بين أعماله:

1- ينظر، بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين ،ط.03، 1993، ص.127.

-**ترجمة للقرآن الكريم:** ركزّ في هذه الترجمة على قضيتين هامّتين هما: بشرية القرآن، وتجريده من المقصد الإعجازي البياني، وهذا ما يذهب إليه معظم المستشرقين في دراساتهم الإسلامية والقرآنية بأشكال وأساليب مختلفة.

-**كتاب معضلة محمّد ﷺ Le problème de Mohamed**): الذي نلمس من خلاله مواقف المستشرقين المتجنّية على الرّسول عليه الصلاة والسلام فلا تدع شبهة إلا ألصقتها به، والقول بأنّ القرآن من صنعه وتأليفه، وهذه الشبهات تتركّز أساسا حول الأصول الإسلامية المتمثّلة في الرسالة والرسول[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا العضو المجمعي – بلاشير – لم يقدّم للمجمع أيّ بحث أو محاضرة ما عدا مقال واحد تقديرا منه على التّكريم الذّي أحاطه به المجمع[2].

ب) جب هاملتون Hamilton Alexander Roskeen Gibb (1895-1971م): مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة الإسكندرية بمصر، تحصل على درجة الماجستير سنة 1922م بجامعة لندن، وفي 1954م أصبح أحد المشرفين الأوائل على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية*، وفي 1957م عين مدير المركز دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة، وفي سنة 1964م، تقاعد عن التدريس كأستاذ في جامعة هارفرد، لكنّه استمر مديرا لذلك المعهد.

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون، ص 157.

2- ينظر، المرجع نفسه، ص.161.

* دائرة المعارف الإسلامية: encyclopedia of islam The، من الموسوعات المشوّهة للإسلام، وتعاليمه، والشّائعة الانتشار لها شبه حجية عند المسلمين، ولها مكانة علمية عند بعض النّاس، صدرت بعدّة لغات حيّة،ينظر:فاطمة هدى نجا،نور الإسلام وأباطيل الاستشراق،ص.320.

حصل هذا المستشرق في حياته على كثير من ألقاب التّشريف التي لا يستحقّها علميّا، والواقع أنّ شهرته تفوق كثيرا قيمته العلمية،وإنتاجه أدنى كثيرا من الشهرة التي حظ ي بها لأسباب كلّها بعيدة عن العلم[1].

وأمّا عن اتّجاهه الفكريّ فيعتبر«من أبرز المستشرقين المتزمّتين،كان يعتقد أنّ اتّحاد المسلمين هو بمثابة لعنة على العالم، وأنّ بقاءهم مشتّتين يجعلهم لا وزن لهم ولا يؤثرون في عجلة السّياسة الدّولية»[2] ومع ذلك نجده قد استحق العضوية بالمجمع العربي بدمشق.

وهنا نتساءل،كيف يضمّ المجمع اللّغوي العربيّ أمثال هؤلاء المستشرقين وهم على ما هم عليه من الضّغينة والحقد على الإسلام والمسلمين؟وهل يرجى منهم النّفع في أمور هم أصلا لا يرضون وقوعها فهم من ألدّ أعداء الإسلام سواء كان ذلك ظاهرا أو خفيّا إلّا من رحم ربّك والله المستعان.

وأمّا وجود العدد الكبير من المستشرقين ومن جنسيات مختلفة في المجمع العربيّ بدمشق، فيفسّر بتغلغل الفكر الاستشراقي العلميّ في أعلى مؤسسة لغوية بدمشق، فلم يجاري مجمع عربيّ آخر[3]، ولا حتى مصر التي استقطبت الثقافة الغربية قبل أيّ بلد آخر، ومن ثمّ سندلي ببعض الملاحظات:

أوّلا : تناسب الأعمال والأنشطة الفكرية العليا فقد جمع معظمهم بين المجمعية والجامعيّة، على نحو:"أراندوك" الهولنديّ أستاذ العربية بجامعة "ليدن". وكان بعضهم الآخر يجمع بين العضوية في مجمع دمشق والعضوية في جمعيات ومجامع عربية وأجنبية ثانية، منهم "براون" Braun الانجليزي، عضو في المجمع البريطاني،كما تمتّع بعضهم بالعضوية في مجامع عربيّة أخرى، مثل

1- ينظر، بدوي، عبد الرّحمان، موسوعة المستشرقين، ص.174.

2- معالقي، منذر، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط.01، 1418هـ/1997م، ص.28.

3- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون-سياسيون،جامعيون،مجمعيون-، ص.174.

"فيشر" الألماني العضو في مجمع القاهرة،كما جمع أعلامهم العضوية في أكثر من مجمع أو جمعية عبر العالم العربيّ والغربيّ، مثل:"فرنشيسكو جبرائيلي"الإيطالي، و"إغناطيوس جولد زهير"المجريّ[1].

ثانيا: الجمع بين العضوية المجمعية والعمل العسكري والسّياسيّ: فمن السّياسيّين نجد"ماسنيون" المعروف بعمالته لفرنسا "آبري" الانجليزي الذي أصبح وزيرا للأنباء، و"هورجرونيه" الهولنديّ الذي خدم الاستعمار الهولنديّ في أندونيسيا طوال 17 سنة[2]. هؤلاء المستشرقون وأمثالهم لهم دورهم العلميّ والدّراسي في المجامع التي تسلّلوا إليها لتحقيق أغراض سياسية واستشراقية في آن واحد.

أمّا العسكريون فنجد مثلا:المستشرق الإيطالي"جريفيني-أوجينيو" أمين إدارة أركان حرب طرابلس (1911-1913م) والعقيد الفرنسيّ:"مالنجو" مترجم في المدرسة الحربية الثورية إبّان الاحتلال الفرنسيّ 1921م، وكذلك اللّواء التّشيكي"موزيل ألوا"[3]. ومن ثمّ فإنّ أيّ عمل لأمثال هؤلاء يتّسم بالبعد الفكري المغرض الذي يتجلّى في التّعرّف على اللّغات المحلية ورسم الخرائط الطّوبغرافية للبلاد الإسلامية والإحصائيات المختلفة والدّراسات حولها.

ثالثا: مجمعيون مسلمون:وأكثرهم من السّياسيّين الذين يقتضي عملهم إعلان إسلامهم في ظروف معنيّة، منهم: الهولندي "هورجرونيه" الذي زار مكّة قبيل موسم الحجّ وتسمّى بـــ:"عبد الغفّار"،والانجليزي"فريتز كرينكوف"، اعتنق الإسلام وتسمّى "بمحمّد سالم الكرنكوي"، وقد بلغ عددهم في مجمع دمشق حوالي ستّين مستشرقا،منهم من يجيد الفصحى كتابة وحديثا[4].

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون-سياسيون، جامعيون، مجمعيون-، ص.174-175.
2- ينظر،المرجع نفسه، ص.167-177.
3- ينظر، المرجع نفسه، ص 176-177.
4- ينظر، المرجع نفسه، ص 179-180.

2 -المجمع العلمي بالقاهرة:

ظلّت الدّعوة إلى إنشاء مجمّع لغويّ تراود الأدباء والعلماء خاصّة مع اشتداد الدّعوات إلى استعمال اللّهجات العامية، أو استقبال الوافد الدّخيل من اللّغات الأجنبية، حيث خشي حماة الفصحى أن يصير الأمر فوضى لغوية،تختلط فيها الألفاظ والتّراكيب العاميّة والأجنبية- وبخاصّة التّركية والأوربية- بالعربية الفصحى حيث تتداخل وتتوالد، فيكثر فيها الهجين من الألفاظ والأساليب كثرة تفصل ماضي الثقافة العربية عن حاضرها. وتجعل الخطر جسيما أثيما على مستقبل ثقافتنا وأمّتنا العربية الأص يلة،على أنّهم كانوا حريصين على مواكبة الفصحى للعصر الحديث، والتّعبير عن مستحدثاته، وفتح باب التّعريب والتّوليد بحساب تفرض ه ضرورة المعاصرة، وتسمح بالتّيسير اللّغوي دون عقوق أو تمرّد على الضّوابط التي تأصّلت في العربية الفصحى[1].

وفي سنة 1932م* تأسّس المجمع باسم "مجمع اللّغة العربية الملكي"،ومركزه القاهرة برئاسة "محمّد توفيق رفعت باشا"، يتألّف من عشرين عضوا عاملا يختارون من غير تقيّد بالجنسية وقد كانت أوّل لجنة عيّنت فيه مؤلّفة من (15) عضوا عربيّا ومسلما،وخمسة أعضاء أجانب هم:"جب" بمدرسة لندن للدّراسات الشرقية،"و"فيشر" بجامعة ليبزج،و"نللينو" بجامعة روما،و"ماسنيون" بجامعة فرنسا،و"فنسك" بجامعة ليدن،ثمّ نصّ المرسوم الثّاني بتعيين "ليتمان" الألماني بدلا من "فنسنك"[2].

1- ينظر،التّرزيّ إبراهيم،التّراث المجمعيّ في خمسة وسبعين عاما،أكمله وراجعه:سميرة صادق شعلان،جمال عبد الحيّ أحمد،خالد محمد مصطفى، إشراف، كمال بشر، 1428ه/2007م،د.ط،ص 01.

* كان ذلك في: 14 من شهر شعبان 1351ه الموافق ل:13 ديسمبر 1932م.

2- ينظر، حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص.183،للتّوسع،ينظر:مجلّة اللّسان العربي، الرّباط، العدد:01، 1964م، ص92.

وتقدّر اختيار أعضاء مراسلين وذلك بناءا على اقتراح من رئيس المجمع اللّغويّ بدمشق من هؤلاء الأعضاء: (أربري من لندن،جبريلي من روما،لاووست من ليون،ينبرج من أوبسالا)، وأعضاء آخرون من أقطار عربيّة[1].

أهدافه: وتركّزت أهمّ أهدافه في النّقاط الآتية:

أوّلا:المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، ومستحدثات الحضارة المعاصرة.

ثانيا: وضع معجم تاريخي للغة العربية،مع نشر أبحاث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات.

ثالثا: تنظيم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربيّة.

رابعا: أن يبحث عن كل ما له شأن في تقدّم اللّغة العربيّة[2].

وفي سنة 1952م تمّ إنشاء جماعة الدّراسات الشرقية باقتراح من المستشرق"جب" يهدف إلى نشر البحوث الشرقية الممتازة خارج مصر،وتنظيم لجان علمية وفنيّة خاصّة بالدّراسات الشرقية،كما اشترك المجمع المصريّ في الاتّحاد المجمعي الدّولي بغرض التعاون الدّولي لتقديم العلوم عن طريق البحوث المشتركة حسب العلوم التي تختصّ بها المجامع الممثلة في الاتّحاد، وفي سنة 1960م دُعي المجمع للمشاركة في المؤتمر الدّولي الخامس والعشرين للمستشرقين الذي عقد ب:"موسكو"،صدر فيه قرار رئيس الجمهورية "جمال عبد النّاصر" بإنشاء مجمع اللغة العربية المتّحدة يتمّ فيه إدماج مجمع اللّغة العربية بالقاهرة،والمجمع العربيّ في دمشق،مع بقاء كل منهم باعتباره مجمعا فرعا[3] .

1- ينظر،حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص 183.

2- إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التّعريب، منشورات كلية الدّعوة الإسلامية،طرابلس،ط.1، 2002، ص 23.

3- ينظر،حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص.183.

جدول بالمستشرقين المجمعيين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة:[1]

المستشرق	حياته	بلده	أعمال أخرى
1 - أربري Arbery – A.J	1905 – 1969	انكليزي	مجمعي بدمشق – وزير الأنباء (1940 – 44) رئيس قسم الدراسات الشرقية والإفريقية – مجمعي في عدد من المجامع.
2 - بلاشير Blacher, R,L	1900 – 1973	فرنسي	مجمعي بدمشق – جامعي في معهد مولاي يوسف بالرباط – مدير معهد الدراسات بالرباط.
3 - بيرك – جاك Berque.J		فرنسي	أستاذ التاريخ الاجتماعي في الكوليج دي فرانس – عين بالمجمع المصري 1968 مدير البحوث الفنية والتجريبية في مرسى الليان (1953) ومشرف على الدراسات العربية في بكيفا (1955).
4 - جب – ه – ا – ر – Gibb Hamilton – A.R	1895 – 1971	انكليزي	مجمعي بدمشق – أستاذ بجامعة لندن (1930) واكسفورد (1937) وهارفارد (1955) مدير مركز الدراسات المشرق الأوسط (1962)
5 - جبريل – فرنسيسكو Gabrieli – F	1904	إيطالي	أستاذ في دامعة روما – مجمعي بدمشق – متخصص بالشعر الجاهلي والتاريخ الإسلامي – غزير الإنتاج.
6 - جرمانوس عبد الكريم Germanus, J	1884	مجري	مجمعي بدمشق – محاضر في عواصم غربية وإسلامية – اسلم في مسجد دهلي الأكبر.
7 - جرومهان – أدولف Grohmann, A		نمساوي ألماني	مجمعي بدمشق – جامعي بالقاهرة (1954) متخصص بأوراق البردي المحفوظة بدار الكتب المصرية.
8 - جوميز – ايميليو – جارسيا = غومز – اميليو Gomez, E		اسباني	مجمعي بدمشق – أستاذ بجامعة غرناطة (1929) ومدريد، مدير المعهد العربي الأسباني – سفير في بغداد ثم لبنان.
9 - رتستانو – امبرتو = رتوتانو Rizzitano Umberto		إيطالي	أستاذ الدراسات الإيطالية بجامعة بلرمو بصقيلية، عين بالمجمع المصري 1968، وجامعة عين شمس، معظم إنتاجه ترجمات ودراسات لآثار وكتاب حديثين.
10 -فنستك Wensinck – Arent – Jan	1882 – 1939	ألماني هولندي	معجمي – دراساته خطيرة مثل: العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي – اخرج من مجمع القاهرة أثر افترائه على الإسلام.
11 -فيشر Fischer – Aug	1865 – 1949	ألماني	مجمعي بدمشق – متخصص في فن المعاجم وفقه اللغة – أنشأ مجلة الدراسات السامية في ليبزيج (1932).
12 -لاووست هنري Lause – H	1905	فرنسي	مجمعي بدمشق – مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة (1941) – أستاذ بجامعة ليون (1945).
13 - ليتمان – أنو Littmann – E	1875 – 1958	ألماني	جامعي بمصر وألمانيا والولايات المتحدة – اشترك في بعثات التنقيب إلى سورية وفلسطين والحبشة – آثاره تزيد على (550) اشترك في تحرير دائرة المعارف – اختص باللغات الشرقية ولاسيما العربية ولهجاتها.
14 - كونتز – شارل[2]		فرنسي	
15 - ماسينون لويس Massignon, L	1883 – 1962	فرنسي	مجمعي بدمشق – كبير المستشرقين في فرنسا – مستشار بوزارة المستعمرات – تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (1919) في القاهرة.
16 - نيللو – كارل Nallino-C-A	1872 – 1938	إيطالي	مجمعي بدمشق – جامعي بالقاهرة – مجمعي بإيطاليا – اشرف على مجلة الدراسات الشرقية – فمجلة الشرق الحديث.
17 - نيللو – ماريا Nallino, Maria	1907	إيطالية	ابنة كارل نيللو – تابعت كتابة أبيها عن الحياة الدينية والثقافية بالمملكة العربية السعودية (1939) وخلفت أباها في مجلة الشرق الحديث.

1- حمدان، نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون، ص 211-214.

من أعلامه المستشرقين:

1)كارلو ألفونسو نلّينو:Carlo Alfonso Nallino(1872-1938م): مستشرق إيطالي تخرّج من جامعة"تورينو"، وتنوّعت علومه بين الجغرافيا، والأدب، والفلك والتاريخ، والفلسفة، والفقه واللّهجات، منحته وزارة المعارف الإيطالية مكافأة دراسية لكي يدرس في القاهرة،فجاءها في ديسمبر 1893م، وساعدته قوّة ملاحظته في فهم أحوال مصر خصوصا والشّرق والإسلام على وجه العموم،حيث أصدر كتابا عنوانه «اللغة العربية في لهجتها المصرية» حتى يدرس الإيطاليّ اللغة العربية بواسطته[1] .

انتخب عضوا في مجامع عدّة منها: المجمع العلمي الإيطاليّ، والمجمع العلميّ العربي بدمشق (1920م)، والمجمع اللّغوي بالقاهرة (1932م)،كما تولّى الإشراف على مجلّة الدّراسات الشرقية، ثمّ مجلّة الشرق الحديث،من آثاره: تاريخ الأدب العربيّ(1915-1917م) الفلسفة الشرقية أو الإشراقية لابن سينا (1923-1925م)، وكتب في دائرة المعارف الإسلاميّة عن: ابن رشد، ابن جابر، الغزالي، الإباضية[2]...

عرف "نلينو" بمهامه السّياسّة الاستعمارية، فبعد غزو إيطاليا لطرابلس لجأت إليه وزارة المستعمرات لتستعين بخبرته العميقة بالعالم الإسلامي، أمّا زيارته للمملكة العربية السعودية فقد نتج عنها كتابه القسم الأوّل من النّظام السّياسي والإداري، والقضائي في المملكة، ما يكشف عن انتمائه السّياسّي والعسكري[3].

وساهم في الدّعوة إلى العاميّة في كتابه"نحو اللّغة المغربية العربية مع استعمالات اللغة العامية"،كما ألّف في اللّهجة المصرية"اللغة العربية في لهجاتها المصرية"، ولعلّ دراسة "نلينو" لأحوال

1- ينظر،بدوي،عبد الرّحمان،موسوعة المستشرقين،ص 585.

2- ينظر،حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص 186.

3- ينظر،المرجع نفسه،ص 190.

الشعب المصري عن طريق دراسة لهجته كان تمهيدا لأطماع استعمارية إيطالية في إفريقيا العربية التي تحقّقت في ما بعد في غزو ليبيا[1].

2) فنسنك Arent Jan Wensinck (1882-1939): مستشرق هولندي،من ألّد أعداء الإسلام ونبيّه، انتخب عضوا بالمجمع اللّغوي المصري ،ثمّ أخرج منه على إثر أزمة أثارها الدّكتور الطبيب "حسين الهواري" مؤلّف كتاب (المستشرقون والإسلام)، صدر سنة 1936م، وذلك بعد نشر فنسنك آراءه في القرآن والرسول حيث ادّعى أنّ الرّسول ﷺ ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدّينية والفلسفية التي سبقته[2].

3) لويس ماسنيون Louis Massignon (1883-1962): يعد "ماسنيون" من أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا والرّاعي الرّوحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، زار البلاد الإسلامية مرّات عديدة، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى،انتخب عضوا في المجمعين: المصري والسّوري، تخصّص في الفلسفة والتصوّف الإسلامي، من أهمّ آثاره"الحلّاج الصّوفي الشهيد في الإسلام"، صدر عام 1922م، وهو من كبار محرّري"دائرة المعارف الإسلامية"[3].

وكان "ماسنيون" من أخطر الدّعاة إلى الحروف اللّاتينية واتّخاذها أداة لكتابة اللغة العربية كما دعا كذلك إلى "إهمال الإعراب"، زاعما أنّ ذلك ييسّر تعليم اللغة العربية على الأجانب، ودعا رجال المجمع العلمي بدمشق إلى اتّخاذه وسيلة التّجديد، وكرّر دعوته في أندية الشباب العربيّ في باريس لكن دعوته لاقت رفضا قاطعا وردّا عنيفا[4].

1- ينظر، حمدان، نذير، مستشرقون -سياسيون، جامعيون، مجمعيون-، ص.191-193.

2- ينظر، السّباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، دار الورّاق، د.ط، د.ت، ص.45.

3- المرجع نفسه، ص.45 .

4- ينظر، الجندي أنور، التبشير والاستشراق والدّعوات الهدّامة،دار الأنصار، القاهرة،المجلّد:05، د.ط، د.ت، ص.182.

ومن ثمّ فإنّ هذا المجمع اللّغوي أيضا شمل مستشرقين لهم خلفيات سياسية استعمارية تنبؤ عن أغراضهم الخفيّة الكامنة وراء تغلغلهم في هذه الهيآت العلمية.

3 -المجمع العلمي العراقي:

بدأت فكرة تأسيس المجمع عام 1921م، باسم «لجنة الترجمة والتعريب» برعاية وزارة المعارف، مهمّتها: تعريب الكلمات الأجنبية ووضع مصطلحات لها،وفي سنة 1945م أنشأت "لجنة التّأليف والنّشر" التي عجزت عن القيام بالأعمال الكثيرة المنوطة بها، نظرا لتوسّع نطاق عملها، وبالتالي ألغيت وقام مقامها «المجمع العلميّ العراقي» وذلك سنة 1647م[1].

أهدافه: تمثّلت في النّقاط الآتية:

- ✓العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة.
- ✓البحث والتّأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم.
- ✓دراسة علاقات الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية.
- ✓حفظ المخطوطات والوثائق العربية النّادرة وإحياؤها بالطّبع والنّشر على أحدث الطّرق العلمية.
- ✓البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع التّرجمة والتّأليف وبثّ الرّوح العلمية في البلاد[2].

أصدر المجمع مجلدات ضخمة من مجلته،من اثنتي عشر جزءا بدءا من عام 1950م حتى إلغائه 1963م، أمّا موضوعات المستشرقين المراسلين فكانت محدّدة، منها الإسلامية والعلمية

1- ينظر، إبراهيم الحاج يوسف،دور مجامع اللغة العربية في التّعريب،ص.26-27.

2- الجبوري،عبد الله،المجمع العلمي العراقي،نشأته،أعضاؤه،أعماله،ص.37.

والاجتماعية والأدبيّة،نشرت ضمن أعداد المجلة [1]،والجدير بالذكر هو قلّة المستشرقين في هذا المجمع.وفي ما يلي جدول بمحاضراتهم:[2]

عنوان المحاضرة	المحاضر	تاريخ إلقائها
1 -الشعر العربي	الفردجيوم	1948/12/22
2 -دراسة الشريعة في انكلترا والاتجاهات الفقهة الحديثة	ج. اندرسن	1950/02/20
3 -خطط البصرة	ماسينون	1951/12/17
4 -خطورة موقفنا الفاصل في تاريخ العالم (بالإنكليزية)	ايلسون	1952/10/31
5 -ملحمة كلكاش قصة البحث عن الحياة الأبدية	هايدل	1954/03/27
6 -العلوم والهندسة الحرّة (بالانكليزية)	ايرل بنتك	1956/12/20

من أعلامه المستشرقين:

1) عبد الكريم جرمانوس J.GERMANUS (1884-1979): مستشرق مجري، ولد في "بودابست"، تعلّم اللّغات الغربية، وأتقن العربية والتركية، صنّف كتابا بالألمانية عن الأدب العثماني 1906م، وفي سنة 1912م عيّن أستاذا للغات العربية والتركية والفارسية، وتاريخ الإسلام وثقافته في المدرسة العليا الشرقية، وظلّ يدرّس اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية، والأدب العربي قديمه وحديثه،حتّى أحيل إلى التّقاعد سنة 1965م[3].

دعاه "طاغور"إلى الهند أستاذا للتاريخ الإسلاميّ، وهناك أعلن إسلامه في مسجد "دلهي الأكبر"، وألقى خطبة الجمعة، وتسمّى ب"عبد الكريم".

1- ينظر،حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص.227.

2- المرجع نفسه، ص.228 .

3-ينظر:العقيقي نجيب،المستشرقون،دار المعارف،القاهرة،ج.03،ط.4،د.ت،ص.46.

قدم إلى القاهرة وتعمّق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر، ثمّ قصد مكّة حاجّا، وزار قبر الرّسول ﷺ، وصنّف في حجّته كتابه"الله أكبر" الذي ترجم لعدّة لغات[1] .

انتخب عضوا في المجمع الإيطالي 1952م، ومراسلا للمج معين، اللغوي بالقاهرة سنة 1965م، والعلمي العراقي سنة 1962م، من آثاره: التيارات الحديثة في الإسلام، نحو أنوار الشرق منتخب شعراء العرب 1961م، نهضة الثقافة العربية 1944م[2].

2)ألفرد جيوم: A. Guillaume (1888–1962): مستشرق إنجليزي،تخرّج من جامعة أكسفورد، عيّن أستاذا للّغة العربية، ورئيس قسم الشرقيين 1947م انتخب عضوا في المجمع العلميّ العربي في دمشق 1948م والعراقي 1949م[3].

نلمس من خلال آثاره ميله الشديد إلى اليهود واليهودية، مثل:أثر اليهودية في الإسلام 1927م،اليهود والعرب 1946م،كما نلمح له روح التّعصّب ضدّ الإسلام من خلال روحه التّبشيرية التي شاعت في معظم دراساته، من كتبه الخطيرة:حياة محمّد 1956م، والإسلام 1954م،اللّذان يقومان على فكرة أخذ الرّسول ﷺ من التوراة والإنجيل عند تأليفه القرآن[4].

سيطرت اليهودية على فكر "جيوم" فلم يستطع الانفكاك منها في أيّ نتاج له،فجاء بفكرة أنّ الإسلام لا يصلح إلّا لعهد النّبي محمّد ﷺ ، فهو القائل: «كل مسلم يعلم أنّ كثيرا من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمات أو لأحوال مؤقتة في حياة محمّد»[5]. وإذا كان كذلك فإنّ محمدا ﷺ لم يكن نبيّا إلا على عرب الجاهلية الذين عاصروه، متجاهلا بذلك عالمية الإسلام ودوام الرّسالة.

1- ينظر:العقيقي، نجيب،المستشرقون،ج.03،ص.46.

2- ينظر،المرجع نفسه،ص46.

3- ينظر،العقيقي، نجيب،المستشرقون،ج.2،دار المعارف،القاهرة،ط.05، 2006م،ص.117.

4- ينظر،حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص.123 وأيضا،فاطمة هدى نجا،نور الإسلام وأباطيل الاستشراق،ص.314.

5- حمدان، نذير،مستشرقون،سياسيون،جامعيون،مجمعيون،ص.234.

تعقيب:

إذا كان مفهوم المسلمين للغة العربية «أنّها لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم،فاللغة العربية هي لغة العرب وهي لغة الإسلام نفسه، وقد كانت معجزة القرآن أنّ جميع الأمم التي تتكلّم العربية وتفكّر بها تجمعها وحدة فكر وتربطها آصرة إيمان واحد» [1] فاللغة العربية سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على أفكار المسلمين ذلك أنّ«التفرقة بين الإسلام والعروبة ومحاولة معارضة لطبائع الأشياء ،ذلك أنّ العروبة تشكّلت في إطار الإسلام وصلتها به صلة جذرية وعضوية معا»[2]، فالإسلام هو المكوّن الحقيقي للعقلية العربية الإسلامية ومزاجها.

وإذا كانت أهداف المجامع وأغراضها تتجلّى في"المحافظة على سلامة اللغة العربية،والحرص المنطقيّ على وفائها بمطالب العلوم والفنون في تقديمها لحاجيات العصر الحديث،وإحياء التّراث العربي في العلوم والفنون والآداب وتوحيد المصطلحات في اللغة العربية، والبحث في كل ما له شأن في تقدّم اللغة العربية" [3]. فكيف يسمح القائمون عليها بانضمام المستشرقين إليها وتوغلهم فيها؟

هذا ما أنكره البشير الإبراهيمي على مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في كلمة ألقاها بمناسبة تنصيب أحد عشر عضوا جديدا بتاريخ 12 مارس 1962م حيث قال: «وأشدّ ما كنّا ننكر من أعماله(يقصد المجمع) استعانته بالمستشرقين في شأن هو من خصائص الأمّة العربية» [4] فهو يرى أنّه إذا كان على العرب أن يتغاضوا عن بعض نقائص المجمع وسلبياته،كالبطء والتثاقل في السير،وعدم التعجيل بنشر ثمراته إلى الأمّة في مجلته،وأن يتساهلوا ويتسامحوا معه لكونه ف تي

1- الجندي،أنور،أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة)في ضوء الإسلام،دراسات في الإسلام،يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الدّينية، العدد:165، 1394ه/1974م، ص 119.

2- المرجع نفسه، ص 75.

3- مجلّة اللّسان العربي، الرّباط، العدد.01، صقر 1384هـ،1964م،ص 92.

4- الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الإمام، جمع وتقديم: الإبراهيمي أحمد طالب، ج.05، (1954-1964) دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997، ص 293.

النّشأة،فإنّه من العار أن يغضوا الطّرف عن تسلّل المستشرقين إليه فيصرّح قائلا:«إلّا شيئا واحدا ما كنّا نقبل فيه عذرا ولا نتسامح فيه فتيلا،وهو مسألة الاستعانة بالمستشرقين،ولقد كنّا نستسيغ الاستعانة بالأجنبيّ في بناء سدّ،أو مدّ سكّة،أو تخطيط مدينة، ممّا سبقنا إليها الأجانب وبرعوا فيه، أمّا الاستعانة بهم في شأن يخصّنا كاللّغة فلا !!...ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب أمثالها ما يبلغه العربيّ في ذلك كلّه؟...على أنّ بعض أولئك المستشرقين الذين كانوا أعضاء بهذا المجمع،كانوا مستشارين في وزارات خارجية في بلدانهم،وهذا قادح آخر يضاف إلى قادح قصورهم في اللغة العربية»[1].

ونحن نرى أنّ ما قاله "الإبراهيمي" في مجمع القاهرة ينطبق تماما على المجمعين الآخرين السّوري والعراقي،فكيف يرجى المحافظة على اللغة العربية والقيام بها نحو التقدم والازدهار من غربيّ أجنبيّ طالما عمل على هدم أسسها ونق ض علومها،خاصّة إذا كان من السّياسيّين أو العسكريّين؟وحتى على اعتبار إسلام بعضهم،فهذا لا يؤهّلهم لمثل هذه المطالب التي تحتاج إلى عرب أقحاح مبحرين في فهم اللغة العربية،موغلين في علومها،غيورين عليها،مالكين لناصيتها،محبّين لها مخلصين، لا يبتغون من وراء ذلك جزاءا ولا شكورا.

ولسدّ تأثير الفكر الاستشراقي الهدّام،لزم علينا إيلاء لغتنا التي تمثّل هويّتنا،ومجدنا وعنوان أصالتنا،كل الاهتمام والرّعاية والعناية، فنحيا بها، ونحافظ عليها،درّة نفيسة عزيزة،حتى نتمكّن من التصدّي لكل وسائل التشويش والتغريب.

وهذا ما ذهب إليه مصطفى صادق الرّافعي حينما قال: «إذا كانت اللغة بهذه المنزلة،وكانت أمّتها حريصة عليها،ناهضة بها، متّسعة فيها، مكبرة شأنها، فما يأتي ذلك إلّا من روح التسلّط في شعبها، المطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته، وكونه سيّد أمره،ومحقّق وجوده، ومستعمل قوّته

1- الإبراهيمي،محمد البشير،آثار الإمام، ج.5، ص 293.

والآخذ بحقه»[1] فإيماننا بقوّة لغتنا،وعظمة مكانتها، وأنّ تقدّمها لابدّ أن يكون بأيدي أبنائها،يمنحها رفعة وسيادة وقوّة،لا تنقضي ولا تندثر عبر العصور،حيث يضيف الرّافعي«أمّا إذا قويت العصبية، وعزّت اللغة، وثارت لها الحمية، فلن تكون اللّغات الأجنبية إلّا خادمة يرتفق بها، ويرجع شبر الأجنبي مترا لا شبرا...وتكون تلك العصبية للغة القومية مادّة وعونا لكلّ ما هو قوميّ،فيصبح كلّ شيء أجنبيّ قد خضع لقوّة قاهرة غالبة،هي قوّة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن،ومتى تعيّن الأوّل أنّه الأوّل، فكل قوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئا إلّا أنّه الثاني » [2] ، ولا حجّة لنا أن نترك الغربيين يقومون على حماية لغتنا.

ذلك لأنّ العربيّ الغيور على لغته كالمرابط في سبيل الله، فهو ليس مطالبا بحماية لسانه فقط، بل«مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرّفيع من التطوّر والكمال، وأنّ بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كلّه...لأنّ السّهم في هذه الرّمية يسدّد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللّسان، وما ينطقان به في كلام منظوم أو منثور»[3] فاللغة هي القلب النّابض بالحياة، وصلاح الأمّة في صلاحها، وفقدانها- اللغة- يعني ذوبان الأمّة، وضياع أصالتها، وتغييب هويّتها.

وخلاصة القول، فما من شكّ في أنّ تماسك الأمّة في تماسك ووحدة لغتها، لذا وجب على أبنائها-لا أبناء الغرب- المحافظة عليها وعلى سيرورتها وانتشارها،فصيحة في جميع مناحي الحياة، وأن يدافعوا عنها، ويذودوا عن حياضها، فالمدافع عن لغته، مدافع عن أصله، وروحه، وكيانه.كما وجب الحذر أيضا على لغتنا هذه من الدّخلاء عليها.

1- الرّافعي،مصطفى صادق، وحي القلم، ج.03، ص 29.

2- المرجع نفسه، ص 30.

3- العقّاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، ص 06.

المبحث الثالث: أبعاد الحركة الاستشراقية

أشرقت شمس الإسلام، وانبلج نور الحقّ، واكتست الأمّة العربية ثوب الوقار، تستمدّ قوّتها من الدّين الحنيف، تنشر الهداية وتنشد السّلام في ربوع العالم الفسيح.كما قال الشّاعر حسّان بن ثابت:

نُورٌ أَضَاءَ عَلَى البَرِيَّةِ كُلِّهَا ∴ مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ المُبَارَكِ يَهْتَدِ[1] .

وتدلّ كلمة (من) الشرطية على عموم الرّسالة المحمدية، فكلّ من يتّبع الرّسول ﷺ سيهتدي طريق الصّواب، قال تعالى﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة 16/15)

إذن فقد خرجت الأمّة العربية برسالتها الدّينية والخلقية إلى هذا العالم فأنشأت «جيلا جديدا يعيش لفكرة ويعمل لغاية، ويكافح في سبيل عقيدة، يعطي ولا يأخذ، يؤثر البذل والتّضحية في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وينصرف عن مطامح الدّنيا وأهوائها، ويتميّز في المجتمع بذوق خاص،وحكم خاص، وفلسفة ربّانية، فقد وضعت الدّعوة الإسلامية الهدف المستنير أمام النّفوس

1- بن ثابت، حسّان، ديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، 1414هـ/1994م، ص 65.

المشرقة»[1]، فهذا الدّين القويم أقام أخلاق العرب على الرّجولة، هذب حضارتهم، ووحّد صفوفهم فكانوا بذلك الأمّة المصطفاة التي اختارها المولى لتبليغ الرّسالة.

وذلك أنّ العرب «كانوا بالإسلام و لم يكونوا بدونه فهو الذي صنعهم وهو الذي شرّفهم بحمل لواء الدّعوة الإسلامية وكرّم لغتهم بنزول القرآن الكريم بها»[2] تلك اللغة التي وحّدت العرب والمسلمين يتلون بها آيات الله ويتذاكرون علوم كتابه.

كانت دهشة الغرب حيال لغة العرب كبيرة جدّا، تعجزهم بلاغتها ويذهلهم انتشارها يقول **غوستاف لوبون** (Gustave Le Bon): «فمع أنّ الفاتحين * الذين ظهروا قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم، قدر العرب بالعكس على فرض لغتهم عليهم،ولمّا صارت اللغة العربية عامّة في جميع البلاد..حلّت محلّ ما كان فيها من اللّغات...وكان للغة العرب مثل ذلك زمنا طويلا»[3]، فهي تثبت دائما وعلى مرّ العصور أنّها صالحة لكلّ زمان ومكان.

ولكن «ما جهله المؤرّخون من حِلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السّريعة في اتّساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات»[4]، وبقيت قائمة حتّى بعد تواري سلطان العرب،فلم تضعف و لم تخور بل صمدت، أمام كلّ محاولات التّغريب، ما أدّى إلى ضرورة دراستهم الإسلام ولغته فقد:«أصبح

1- الجندي، أنور، الإسلام في عين الخطر، مركز الإسلام العربيّ، ط.1، 1434هـ/2013م،ص221.

2- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، دعوة الحقّ، رجب 1416هـ/العدد، 163، السّنة الرّابعة عشر، ص100.

* أمّا تحت فنطلق مصطلح الفاتحين على الفتوحات الإسلامية فحسب.

3- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص456.

4- المرجع نفسه، ص14.

الإسلام واللّغة العربية موضع عناية بصورة مباشرة وأساسية لبعض اهتمامات الفكر العلميّ الأوروبيّ»[1] كي يفهموا فكر العرب الذّي أوصلهم إلى هذه المكانة.

غير أنّ هذا الاهتمام الأوروبيّ بالإسلام واللغة العربية لم يكن بريئا،ف«تشويه صورة الإسلام بين الأوربيّين كان ضروريّا لتعويضهم عن الشّعور بالتّخلّف» [2] حتّى يذيبوا عقدة الشّعور بالنّقص، والالتفاف على المسلمين الذين طالما اعتبروهم العدوّ اللّدود لهم حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ، حيث يقول غوستاف لوبون «والحقّ أنّ أتباع محمّد ظلّوا أشدّ من عرفته أوربة من الأعداء إرهابا عدّة قرون، وأنّهم عندما كانوا لا يرعبوننا بأسلحتهم، كما في زمن شارل مارتن والحروب الصّليبيّة، أو يهدّدون أوربة بعد فتح القسطنطينية،كانوا يُذلّوننا بأفضلية حضارتهم السّاحقة وأنّنا لم نتحرّر من نفوذهم إلّا بالأمس» [3] فشتّان بين حضارة العرب الرّائدة في ذلك الزّمان،وحضارة الغرب التي كانت في الحضيض في أسفل سافلين، وكما يقول حسّان بن ثابت: [4]

وهَلْ يَسْتَوِي ضَلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ∴ عَمًى وَهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ

ترسّخت جذور الحقد والكره للغرب تجاه الإسلام والمسلمين حتّى «إنّ المستشرقين ليفقدون أعصابهم وينسون مقامهم العلميّ وترتج نفوسهم وتضطرب قلوبهم حينما يشتغلون أنفسهم بالبحوث الإسلاميّة، وأحقاد العصور التي ملأت الصّدور، وأملت عليهم هذا الحقد والغيظ الذي

1- جوراني ألبرت، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهليّة للنّشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ص37.
2- الوزان، عدنان، موقف المستشرقين من القرآن الكريم، ص05.
3- لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص600.
4- بن ثابت، حسّان، ديوان، ص 60.

لم يستطيعوا كظمه في كلّ حالاتهم» [1] فمؤامرتهم تحاك للإسلام جيلا بعد جيل لحجب نوره، وإطفاء شعلته، وتوهين قوّته من أجل الحدّ من توسّعه.

وهذا لسان حالهم يقول: «إنّ مهمّتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتّالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها» [2]، حتى أنّ "إتين دينيه" في كتاب له عن السّيرة النبوية يتساءل: «ليت شعري ما عسى أن يكون منشأ البغض الذي يضمره المسيحيون (الغربيون) للإسلام» [3]، وكأنّهم في ثأر شديد العنف،فهدف الحملة التّغريبية الأساسي هو القضاء على مفهوم الإسلام من حيث كونه إسلاما بوصفه دينا،ومنهج حياة،ونظام مجتمع،ودستور أمّة لضرب العالم الإسلاميّ والإجهاز عليه جملة واحدة.

وحتى بعد ضعف المسلمين وتواري حكمهم بقيت لغتهم عنوان تراثهم وثقافتهم تشكّل غصّة في حلق الغرب «ولمّا أخذت فضائل الصّحراء تضعف،توقفت الحضارة العربية عن النّمو، ولكنّها تركت شيئا وراءها هو اللغة العربية،أشرف إرث تركوه،هذه اللغة ليست إرث العرب وحدهم،بل هي رابط للتّفاعل بين الشعوب لم يكن له من قبل مثيل» [4]،فهي لا تزال تشكّل خطرا على الغرب،تمثّل وحدة المسلمين التي تؤرّقهم ف «صحيح أنّ الوحدة الإسلامية نائمة،ولكن يجب

1- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيّين في القرآن الكريم، ص04.

2- حسين علي أحمد، وسائل الغزو الفكري الاستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية،قسم الشريعة، مجلة جامعة تكريت، المجلّد، 19، العدد،04، نيسان، ص404.

3- طعيمة صابر،أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلاميّ،بحوث حول العقائد الوافدة،عالم الكتب،د.ط،ص99.

4- جواربي ألبرت،الإسلام في الفكر الإسلاميّ،ص35.

أن نضع في حسابنا أنّ النّائم قد يستيقظ» [1]. فالإسلام قوّة لا يمكن الاستهانة بها رغم كيد الكائدين ومكر الماكرين.

أدرك أعداء الإسلام قيمة اللّسان، ومدى تأثيره على الأمّة النّاطقة به، وأنّ «أحكم عروة كانت تربط العالم الإسلامي، على اختلاف ألسنته وأجناسه في قارتي آسيا و إفريقيا، هي لغة العرب التي بها نزل القرآن» [2]. هذه اللغة التي حالت بينهم وبين تحقيق مقاصدهم ومآربهم لذا وجّهوا إليها ضربات عنيفة في صورة غزو جديد هو الغزو الثّقافي.

أكّدت هذه الحملات المسعورة الشّرسة التي تشن ضدّ اللغة العربية النّوايا الخفية التي يبيّنها الاستشراق، فهذه الحرب ليست على اللغة ذاتها من حيث كونها لغة، وإنّما هي حملة ضدّ الإسلام والمسلمين، لتمزيق وحدتهم، وشلّ حركتهم، وتعطيل فكرهم، وبدا جليّا أنّ الدّور التّخريبيّ الذي يقوم به المستشرقون الذي صار بيّنا للعيان باعتراف من المستشرق "ماسينون" (Massignon) الذّي صرّح «لم نبحث في الشرق إلّا عن منفعتنا، لقد دمّرنا كل ما هو خاص بهم، وقد دمّرنا فلسفتهم ولغاتهم وأدبهم»[3]، فهدفهم إذن هو حجب الصّورة المشرقة للإسلام عن نظر العالم .

لقد تآزروا لتدمير لغة القرآن، لغة الإسلام والبيان، هدفهم القضاء على المسلمين فكرا وحضارة وتاريخا، رغم أنّهم شهدوا لها بخصائصها الفريدة: «فلغة القرآن تعرض-من حيث هي أثر لغويّ- صورة فذّة لا يُدانيها أثر لغوي في العربية على الإطلاق، ففي القرآن ولأوّل مرّة في

1- خليل،عماد الدّين،نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله،دار النفائس،لبنان،ط.1، 1420ه/1999م،ص25.

2- شاكر،محمود، أباطيل وأسمار، ص 2004.

3- عللوه،محمد،الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط.1، 2002، ص119.

تاريخ اللغة العربية يُكشف السّتار عن عالم فكريّ تحت شعار التّوحيد لا تعد لغة الكهنة والعرّافين الفريّ المسجوعة إلّا نموذجا واهيا من حيث وسائل الأسلوب ومسالك المجاز في اللّفظ والدّلالة»[1]،فهم على ثقة تامّة من فاعليتها ودورها الأساسي في تكوين العالم الإسلاميّ.

جاء في رسالة بعث بها "شكيب أرسلان" * أمير البيان العربيّ إلى مصطفى صادق الرّافعي «كلّا أيّها الأخ، إنّ هذه الفئة لا تمجّ الفصاحة من حيث هي، ولا تحارب اللغة العربية نفسها، لكنّها تحارب منها القرآن، إنّ هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلاميّة وتريد أن تتبدّل بها كلام الجاهليّين ومن كلام الفصحاء، حتى المخضرمين والمواليد، وكلّ كلام لا يكون فيه مسحة دينية»، ثمّ يضيف «حتى إذا تمّ لهم ما يبتغون من غصن مكانة القرآن في صدور النّاس يكونون قد طعنوا الإسلام طعنة سياسية في أحشائه على حين يزعمون، أنّ الموضوع لغويّ لا دخل له بالسّياسة» إلى أن يقول: «إن هي إلّا حلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود بها الإسلام، لا القرآن من حيث كونه قرآنا، ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة»[2].

ذلك لأنّ قوّة الإسلام كامنة في طبيعته، في بساطته ووضوحه وشموله،عزيز باستعلائه عن العبودية للعباد، بالعبوديّة لله ربّ العباد، ومن ثمّ فإنّه ضامن للنّصر طالما عمر الإسلام القلب والضّمير، وحتّى وإن وقعت الهزيمة الظّاهرة في بعض الأحايين، من أجل كلّ هذا «يحاربه أعداؤه

1- عللوه،محمد،الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين،ص120.

* شكيب أرسلان (1869-1946)، كاتب وأديب ومفكّر عربي لبناني اشتهر بلقب أمير البيان لغزارة كتاباته، من أشهر كتبه:لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟عروة الاتّحاد،حاضر العالم الإسلامي،تاريخ غزوات العرب.

2-ينظر الطويل،السّيد رزق،اللّسان العربيّ والإسلام معا في معركة المواجهة،ص(43/42).

لأنّه يقف حجر عثرة أمام مخطّطاتهم، يعوّقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، كما يُعوّقهم عن الطّغيان والتّأله في الأرض فيطلقون عليه حملات التّشويه،والخداع والتّضليل» [1]،فهم يزعمون أنّ«مصلحة الجنس البشري تقتضي تطهير!!الأرض من المسلمين وأوراقهم المشوّشة(أي القرآن الكريم) باعتبار أنّه مصدر شرور العالم وآثامه» [2]، فالقضاء على الإسلام يقتضي بالضّرورة القضاء على اللغة العربية.

إنّ محاربة اللغة العربية تستهدف أوّل ما تستهدف استئصال الإسلام، والتّشكيك في مصادره بما في ذلك الفقه والحديث، من أجل إحداث جوّ من الاضطراب الفكريّ والنّفسي في المجتمع الإسلاميّ، وهذا ما ذهب إليه العقّاد حين قال: «الحملة على اللّغة في الأقطار الأخرى هي حملة على لسانها أو على آدابها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال، ولكنّ الحملة على لغتنا نحن هي حملة على كلّ شيء يعنينا وعلى كلّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدّينية وعلى اللّسان والفكر والضّمير في ضربة واحدة، لأنّ زوال اللّغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوّماتها غير ألفاظها،ولكنّ زوال اللّغة العربية لا يبقي للعربيّ أو المسلم قِواما يميّزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عُرف ولا معرفة ولا إيمان»[3].

باتت مخططات وأبعاد هذه الحرب الفكريّة واضحة المعالم، بيّنة الأهداف فهي ترمي إلى تمزيق وحدة الأمّة العربيّة، التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية،وبدا فضلها وتميّزها على سائر

1- خضر، عبد العليم عبد الرحمان، الإعلام الغربيّ والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا، ع/1418،182،ص161-بتصرّف-
2- المرجع نفسه، ص177.
3- العقّاد، عبّاس محمود،أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب، ،ص127.

الأمم ذلك أنّ «الدّعوات التي تستهدف هدم الدّين والأخلاق قد تضلّ جيلا من الشّباب، لكنّ الأمل في إنقاذ الجيل القادم يظلّ كبيرا مادام القرآن حيّا مقروءا، ومادام الناس يتذوّقون حلاوة أسلوبه، وجمال عبار اته، أمّا هذه الدّعوة الخطيرة فهي ترمي إلى قتل القرآن نفسه-وهيهات- والحكم عليه بأن يصبح أثرًا ميّتا..» [1]،لذلك فقد اعتمد الغرب أوّل ما اعتمد على محاربة اللّغة العربيّة.

وقد بدا لنا جليّا أنّ«تحامل المستشرقين على الإسلام، فغريزة موروثة وخاصّة طبيعية،تقوم على المؤثرات التي خلّفتها الحروب الصّليبية،بكلّ ما لها من ذيول في عقول الأوربيّين الأوّلين» [2] ولن تخمد هذه الحرب حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فحقدهم الدّفين على الإسلام والمسلمين يحجب عنهم نوره وعطاءه،ولا نملك إلّا﴿أن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ (آل عمران 120).

فأعداء الأمّة الإسلامية يتربّصون بها من كلّ جانب فهم لم ولن يغفلوا عن محاربتها، والكيد لها بشتّى الوسائل والطّرق حتّى وإن كانت تلك الحرب، قد خلعت عنها ثوب المواجهة المسلّحة فهي قد أخذت طابعا فكريّا مختلفا، تنفق فيها الأموال الباهظة، وتبذل فيها الجهود الكبيرة، يحاولون ما استطاعوا إظهار الودّ والتّفاهم لكنّنا ندرك﴿ يقينَوَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾(البقرة 120).

1- الطّويل، السّيد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، ص17.
2- الدّيب،عبد العظيم، المنهج عند المستشرقين، د.ط، ص345.

فمراوغاتهم كلّها تنصب في هدف واحدٍ وهو القضاء على الإسلام وتحقيق ما لم تستطع الحروب المسلحة تحقيقه دون مواجهة واضحة بيّنة،فهذه الحرب على اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم إنّما تهدف إلى:

أوّلا: القضاء على لغة القرآن،دستور المسلمين،ودليلهم إلى الله سبحانه وتعالى،لمحوه من صدورهم، فلا يحسنوا قراءته، ولا يتمكّنوا من فهمه ولا حفظه،فلا يبقى للمسلم دعامة يرتكز عليها، ولا مرجع يعود إليه، ولا قبلة يتّجه نحوها.

ثانيا: عدم فهم التّراث العربيّ، لأنّه مدوّن باللّغة العربيّة وبالتّالي خلق حاجز عميق يحول دون المسلم وتراثه وتوسيع الهوّة بينه وبين الأجيال القادمة.

ثالثا: تشتيت الوحدة العربية من خلال قطع العلاقات بين الدّول العربية،فاتّخاذ العامية يؤدّي بالضّرورة إلى صعوبة فهم كل دولة عامية الدّولة الأخرى،وبالتالي تفرّقهم وتزعزع وحدتهم.

رابعا: ملأ الفراغ الذي تتركه اللّغة العربية، باتّخاذ المدنية الغربية الفاسدة بديلا عنها، من خلال إحلال لغاتها الأجنبية، ومحاولة فرض سيطرتها.

فغايتهم إذن من هذه الدّعوات والافتراءات هو أن تدرس هذه اللّغة المجاهدة في غربة شديدة على نفوس النّاشئة من أهلها فتغدو غريبة في وسطها بين أصحابها ما يستتبعه ضياع وانسلاخ في هوية وثقافة العربيّ المسلم ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (محمّد29-30).

فلا يقول بقصور اللّغة العربيّة واندثارها إلّا ظنين انطوت سريرته على حقد وغلّ دفينين واجتمع قلبه على سريرة لئيمة وجهل سحيق، ولكن هيهات فهذه اللّغة لن تضعف ولن تخور مادام هناك من يتلو القرآن ويدعو إلى الإسلام والهداية.

إنّ الرّوح الغالب على معظم الدّراسات الاستشراقية للغة العربية، هو روح الكراهية والعداء، والدّس عليها وعلى الثقافة العربية الإسلامية بصفة عامّة، باستثناء قلّة من المخلصين دفعتهم غريزة حبّ المعرفة والعلم إلى البحث الموضوعي الهادف.

فقد كان الغرب على يقين تام من أنّ سر قوّة المسلمين وعزّتهم يكمن في دينهم، فجعلوا يحملون معاولهم في حنق وقوّة، ويهجمون بها على حصون الإسلام ليقوّضوها، ويزلزلوا ثقة المسلمين بأنفسهم، ويبثوا فيهم الضّعف والوهن، كانت اللّغة العربية من أهم وأبرز هذه الحصون التّي حاول الاستشراق اقتحامها والنيل منها من خلال غزو فكري سلطانه – الكلمة – .

وبعد، فإنّ هذا العداء السّافر للّغة العربية المجاهدة،لأنّها روح الأمّة الإسلامية ومزاجها، فالقضاء عليها، قضاء على روح الأمّة وإفساده، فحيثما كان الإسلام كانت اللّغة العربية «فمسألة اللّغة العربية هي مسألة الدّين الإسلاميّ بعينه، فإذا فرّط المسلمون في لغتهم الفصحى:لغة القرآن والحديث والشّريعة، أضاعوا دينهم بأقرب ممّا يتطلّب المرسلون المسيحيون منهم»[1]،فما بقي لنا نحن العرب إلّا إحدى اثنتين وهي:أن نكون أو لا نكون،كما قال الرّافعيّ: «وهذه الأمّة الدّينية التي يكون واجبها أن تشرف وتسود وتعتز، يكون واجب هذا الواجب ألّا تسقط ولا تخضع ولا تذلّ»[2]، لأنّها خير أمّة أخرجت للنّاس، أمّة شرّفها الله واصطفاها فرفع قدرها، أمّة العزّة والكرامة.

1- الجندي أنور،الفصحى لغة القرآن، ص132.

2- الرّافعيّ،مصطفى صادق،وحي القلم،ج.03، ص31.

خاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصل اللهم على نور الهدى الناطق بالضاد، وهادي العباد، سيّد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام وعلى أصحابه الأبرار الذين كانوا للحق أفضل منار.

وبعد :

كانت اللغة العربية ولا تزال وثيقة الأواصر بهوية الأمّة ووجودها إنّها الرّوح العربية الأصيلة التي تأبى الرّكون إلى المساعي المزيفة لجوهرها، وباتت طبيعة الصراع القائم حولها واضحة جلية وترتّب عن البحث بعض النتائج:

1 -علاقة العربية المتينة بالقرآن الكريم فهما صنوان لا يفترقان

2 -تتمتع اللغة العربية بخصائص فريدة لا تجاريها فيها لغة أخرى، فهي اللغة العالمية ثابتة في أصولها وجذورها.

3 -تحتل العربية مكانة مرموقة بين اللغات جميعها، وقد شهد لها بذلك أعداؤها فضلا عن أبنائها.

4 -اعترف جمع من المستشرقين بأهمية ومكانة وجمال اللغة العربية فهي التي نقلت الحضارة إلى أروبا في عصورها المظلمة.

5 -لم تكن دواعي اهتمام المستشرقين بالعربية بريئة فقد حملت في طياتها التنصير والاستعمار إلاّ القلة القليلة التي اهتمت بالجانب العلمي الخالص.

6 -بيان حقيقة هؤلاء الأعداء ووضوح نواياهم الخفية المحطمة للوحدة العربية والبعيدة عن هدف الإصلاح اللّغوي كل البعد فهي تستهدف أول ما تستهدف تمزيق الوحدة العربية.

7 -ركز أعداء الإسلام على لغته لأنهم يدركون تماما مكانة اللّغة وأهميتها.

8 -تتساءل دائما لماذا لا يهاجم هؤلاء الأعداء لغة أخرى غير العربية ولكإنها اللّغة الوحيدة في العالم التي تستحق كل هذه الحملات؟ والجواب الأكيد والمحسوم بالنسبة إلينا هو ارتباطها العميق بالإسلام فهي لغة القرآن لغة الكتاب والسنة.

9 -الاتهامات التي وجهت للعربية من تعقيدها وصعوبة نحوها وكذا خطها ما هي إلاّ دعوات هدامة ترمي لبغض اللّغة وتقليص مجالات استعمالها.

10 -إنّ هذه الضّربة تستهدف تحطيم المسلم من داخله، من أعماق أعماقه، تضربه في لسانه ووجدانه، وإذا ما تمّ لها النّجاح والتّفوق فإنها لن تبقى ولن تذر.

11 -بثّ روح التّخاذل والتهاون الدّيني والتشكيك بالتاريخ العربي واللّغة وافتعال الأزمات اللّغوية.

12 -إن اقتران العربية بأهم الثوابت الروحية للأمة العربية التي تتمثل في الدين الإسلامي يجعل الموقف الاستشراقي منها لا يعد وأن يكون موقفا من الإسلام في حد ذاته.

13 -إن أعداء الإسلام يطمعون في غزو المدنية العربية أفكار المسلمين وأرواحهم وهو المسعى الجوهري وراء جهودهم

14 -تكمن جهود المستشرقين في محاولة اقتلاع الأمة العربية الإسلامية من جذورها بالمساس بثوابتها في أعماقها.

15 -لقد كانت حيل المستشرقين ماكرة استطاعت من خلالها كسب ثقة العرب والتسلل إلى المجامع اللّغوية ونشر أفكارهم ومسامعهم.

16 -تأثير المستشرقين البالغ على بعض الدارسين والنقاد العرب الذين ما انفكوا يرددون أفكارهم ومزاعمهم وفي المقابل نهضة وهبة لمفكرين عرب هبوا لنصرة الإسلام والتمكين للعربية والرد على الفريق الأول.

17 -يمكن تلخيص أهداف وأبعاد الحركة الاستشراقية في ترسيخ الشعبية للغرب، وخلق نوازع الاستسلام لقيمه والانقياد له كونه المخلص من أضرار التخلف والتدهور.

18 -واجبنا نحو لغتنا الأم لغة الدين والحضارة والتراث والتاريخ.

19 -أثر القرآن البارز في التمكين للغة العربية وتحصينها.

وختاما فإن اللّغة العربية هي التي وسعت وحي الله تعالى وخلّدت حكمة الفطرة وجرت بالشعر والفن وحوت سر البيان وجلّت مكنونات الفكر فخدمت العلم وسجلت التاريخ وأشادت الحضارة العربية الإسلامية ووضعت معالم التشريع وسارت بركب الإنسانية إلى المجد والخلود.

أما الاقتراحات فهي الاستفاضة في الموضوع والتعمق فيه بالبحث عن جماليات اللّغة العربية ومكنوناتها ومحاولة إدراك البعد الاستشراقي وما يمثله من غزو فكري من أجل مواجته ومجابهته والكف من توغله وسيطرته على العالم الإسلامي.

وبعد فهذا مبلغ جهدي ومنتهى رجائي أن أكون قد وفقت في الوقوف على أهم نقاط هذا البحث وأسأل الله الجليل أن يسدد خطانا ويوفقنا لما فيه الخير والصلاح فله سبحانه الحمد في الأولى والآخرة، هو أهل التقوى وأهل المغفرة وصل اللهم على نبينا محمد الأمين صلاة دائمة أبد الآبدين.

والله ولي التوفيق

فهرس

الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾	**02**	192
﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾	**61**	190 168
﴿ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	**93**	180
﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾	**120**	252
﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾	**124**	48
﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾	**138**	171
سورة آل عمران		
﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾	**07**	171
﴿ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	**119**	252
سورة النساء		
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾	**11**	163
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾	**82**	174
سورة المائدة		
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	**15**	28 245
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾	**57**	210
﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾	**64**	154
سورة الأنعام		
﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾	**54**	168
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾	**59**	28
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾	**153**	195

سورة الأعراف

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ — **175 – 178** — 168

سورة الأنفال

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ — **30** — 169

سورة التوبة

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ — **3** — 48

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ — **32** — 99

سورة يونس

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ — **61** — 28

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ — **69** — 173

سورة هود

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ — **06** — 28

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ ﴾ — **18** — 173

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ — **24** — 80

سورة يوسف

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ — **01** — 28

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ — **02** — 26

سورة الرعد

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ — **37** — 27

سورة إبراهيم

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	01	174
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾	04	25
		28
		42
﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾	46	146

سورة الحجر

		31
		34
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	09	66
		130
		215

سورة النحل

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	43	200
﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴾	103	25
		28

سورة الإسراء

﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾	81	155
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾	82	168
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	88	27
﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ ﴾	108 - 105	167

سورة الكهف

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾	01	167

سورة مريم		
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾	**97**	168
سورة طه		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾	**113**	27 41
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾	**18**	65
سورة النور		
﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾	**40**	182
سورة الشعراء		
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	**02**	28
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	**195 – 193**	26
سورة النمل		
﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾	**01**	28
﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾	**14**	132 170
﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾	**34**	107
﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	**75**	28
سورة القصص		
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	**02**	28
سورة سبأ		
﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾	**03**	28

سورة فاطر

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	**28**	48 137

سورة يس

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ﴾	**69**	167

سورة الزمر

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾	**23**	6
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	**28**	26
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	**53**	168
﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾	**69**	68

سورة فصلت

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	**3**	26
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	**42**	26
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ﴾	**44**	26

سورة الشورى

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾	**7**	27

سورة الدخان

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	**02**	28
﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	**03**	26

سورة الزخرف

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	**02**	28

سورة الأحقاف

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ **12** 27

سورة محمد

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ **30 – 29** 253

سورة الرحمن

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ **4 – 3** 59

سورة الحشر

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ **21** 171

سورة الواقعة

﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ **37** 47

سورة القيامة

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ **19 – 16** 167

فهرس

الأحاديث النبوية

نص الحديث

« .. ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»

المصدر	الصفحة
رواه الترمذي (2907)	9

نص الحديث

«..وكان النّبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامّة»

المصدر	الصفحة
رواه البخاري في صحيحه كتاب: التيمم، رقم 335، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 521، والنسائي في سنن، متاب الغسل والتيمم باب التيمم بالصعيد، رقم 432	30

نص الحديث

«تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي»

المصدر	الصفحة
الحسيني، عبد الله بن محمّد بن الصّديق، الكتر الثمين في أحاديث النّبي الأمين، عالم الكتب، بيروت، ط.02، 1403ه/1983م، رقم الحديث 1427	99

فهرس تراجم

أمم والأعلام

الأعلام	الصفحة
سبيتا W. Spitta	133/127/125 203/149/145
كارل فولرز Karl Vollers	138/127
زيغريد هونكه Sigrid Hunke	86/75/64
فولف ديتريش فيشر Wolfdietrich Fischer	234/233/150
كارل بروكلمان Carl Brockelmann	225/37/21
هنري فليش Henry Fleche	149
نولدكه Nodleke,TR	161/151/50/36
فوك يوهان Fuck, J	149/101/96/82/47 162/155/152
البارون دي ساسي De Sacy S.	117/116
برجشتراسر ي، Bergstrasser	151
ويلكوكس William Willcocks	179/130/129 195/180
بلاشير Blachere	230/225/81
جب هاملتون Hamilton Alexander Roskeen Gibb	231
كارلو ألفونسو نلينو Nallino, C,A	237/230/228
عبد الكريم جرمانوس Germanus, J	240/236/36
ألفرد جيوم A. Guillaume	241
جان شارل زكار	117
رايموند لولوس Raymond Lulle	102
روجر بيكون Roger Bacon	102/92

مكتبة البحث

-القرآن الكريم – رواية حفص عن عاصم –

-الحديث الشريف

المصادر والمراجع:

❖ الأبراشي، محمد عطية، لغة العرب وكيف ننهض بها، دار الكتاب العربيّ، مصر، ط. 1، 1366ه/1947م.

❖ إبراهيم، الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التّعريب، منشورات كلية الدّعوة الإسلامية، طرابلس، ط.1، 2002.

❖ الإبراهيمي، أحمد طالب:

- آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي،ج. 1، (1929-1940)، ط.1، 1997.
- آثار البشير الإبراهيمي، ج. 5، 1954 – 1964 دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1997.

❖ ابن جني، أبو الفتح عثمان:

- الخصائص، تح:محمّد علي النّجار،ج.1، دار الكتب المصريّة، د.ط.
- الخصائص، تح، النجار محمد علي،ج.3، دار الكتب المصرية.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج. 2، القاهرة، 1414هـ/1994م.

❖ ابن سعيد، موسى، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر.

❖ ابن شنب، محمّد،سلسلة محاضرات الملتقى الدّولي محمّد بن شنب والاستشراق المنظّم بولاية المديّة من 07 إلى 10 ديسمبر 2014، شيكو للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2015.

❖ ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، الصّاحبيّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط.1، 1418 ه/1997 م.

❖ ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم،تح.خالد رشيد،لسان العرب،دار الصبح، ج12، بيروت، لبنان، ط،01، 2006/1427م.

❖ أحمد بن نعمان، مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشّهداء وخيانة الخفراء!؟شركة دار الأمة، ط.1،2005.

❖ أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيّين في القرآن الكريم.

❖ أمين عثمان، فلسفة اللغة العربية،محاضرات للتعرف على الفكر الإسلاميّ، قسنطينة، العدد. 4، 1390 ه/1970م.

❖ أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1409هـ/1989م.

❖ أوزون زكريا، جناية سيبويه، الرفض التام لما في النحو من أوهام، رياض الريس للكتب والنشر، ط.1، 2002.

❖ الباتلي، أحمد بن عبد الله، أهمية اللغة العربية ومناقشة دعوة صعوبة النّحو، تق، القرني عائص بن عبد الله، دار الوطن للنّشر،ط.1، 1412ه.

❖ بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.3، 1993.

❖ برجشتراسر، التطوّر النحوي للغة العربية، صح:رمضان عبد التوّاب،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414ه/1994م.

❖ بروكلمان،كارل،تاريخ الأدب العربي،نقله:النّجار عبد الحليم،ج. 1،دار المعارف،القاهرة، ط.5.

❖ بصري أحمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم-دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنّشر،ط.1، 2009، الرّباط.

❖ بن رسلان أبو عبد الله محمّد سعيد، فضل العربية.

❖ البنعليّ، تركي بن مبارك بن عبد الله، العتاب لمن تكلّم بغير لغة الكتاب ، تق: زهير الشاويش، د.ط، 1430ه.

❖ بيومي، سعيد أحمد،أمّ اللّغات،دراسة في خصائص اللّغة العربيّة والنّهوض بها، www.Kotobarabia.com، ط.01، 1423 ه/2002 م.

❖ التّرزيّ ابراهيم، التّراث المجمعيّ في خمسة وسبعين عاما، أكمله وراجعه: سميرة صادق شعلان، جمال عبد الحيّ أحمد،خالد محمد مصطفى، إشراف، كمال بشر، 1428ه/2007م، د.ط.

❖ التّميميّ، ثابت الخطيب، في موكب اللغة الخالدة، عمّان، دار الفاروق، ط. 1، 1429ه/2008م.

❖ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية، ط.2، 1420ه/2000م.

❖ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح.عبد السلام هارون،ج. 3، ط. 07، 1418ه/1998م.

❖ الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مطبعة المدني، القاهرة، ط. 1، 1416ه/1995م.

❖ الجبوري، عبد الله، المجمع العلمي العراقي، نشأته، أعضاؤه أعماله، مطبعة العاني، بغداد، 1385هـ/1965م.

❖ الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، د.ط، د.ت.

❖ الجندي، أنور:

- أخطاء المنهج العربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب، والاجتماع، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني: ط.1، 1974م.
- الإسلام في عين الخطر، مركز الإسلام العربيّ، ط.1، 1434ه/2013م.
- التّبشير والاستشراق والدّعوات الهدّامة، موسوعة مقدّمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلاميّ متكامل، دار الأنصار، القاهرة، المجلّد:05، د.ط، د.ت.
- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ط، 1397هـ/1978.
- الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني، 1402ه/1982م.
- معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرّسالة، د.ط.

❖ جوراني ألبرت، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهليّة للنّشر والتوزيع،بيروت، د.ط.

❖ الجوزيّ، ابن القيّم، الفوائد، دار الكتاب الحديث، د.ط،1433ه/2012م.

❖ جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت، تراث الإسلام،ج.1.

❖ الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج.1، دار المدار الإسلامي، ط.1، 2002.

❖ الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، القريشي الدّمشقي:

- تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة، ج. 1، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 1997، ط.2، 1999.
- تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السّلامة، ج. 2، الفاتحة، البقرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1، 1997، ط.2، 1999.

❖ حسن محمد، خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط.01، 1997م.

❖ حسين حسن، الاشتقاق في اللغة العربية، مجلة المنطق (فكرية إسلامية)، محور اللغة العربية وتحديات العصر، العدد (78و79)،1411ه/1991م، لبنان.

❖ حسين علي أحمد، وسائل الغزو الفكري الاستشراقي في دراسة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، مجلة جامعة تكريت، المجلّد.19، العدد،04،نيسان.

❖ حسين محمد محمد:

- أزمة العصر، الطباعة والنشر.
- حسين محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، د.ط.

❖ حسين، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، استعراض للعداء التّقليدي للإسلام في الغرب، تر: مازن مطبقاني، دار الوعي للنّشر والتّوزيع، ط.1، 1434ه.

❖ حمدان نذير، مستشرقون، سياسيون، جامعيون، مجمعيون، مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية، ط.01، 1408هـ/1988م.

❖ حمدي محمود عبد المطلب، سائح في رياض الفصحى، بحث لغويّ يقوّم اللّسان العربيّ فيصوّب الأخطاء اللّغوية التي شاعت بين النّاس، دار الطّلائع، القاهرة، 2005.

❖ خفاجي، محمّد عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،دار الجيل، بيروت، ط. 1، 1412ه/1992م.

❖ خليل عماد الدين، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله،دار النّفائس، لبنان، 1420ه_/1999م.

❖ داغر، أسعد ، حضارة العرب، تاريخهم، علومهم، آدابهم، أخلاقهم، عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيكي بمصر، 1336ه/1918م، د.ط.

❖ الدّيب، عبد العظيم، المنهج عند المستشرقين،د.ط

❖ الرّافعي، مصطفى صادق:

- تاريخ آداب العرب، ج.1، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421ه/2000م.
- تاريخ آداب العرب، ج. 2، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421ه/2000م.
- تاريخ آداب العرب، ج. 3، مكتبة الإيمان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. 1، 1421ه/2000م.
- تحت راية القرآن- المعركة بين القديم والجديد- المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423ه/2002م.
- وحي القلم، المكتبة العصرية، د.ط، ج.3، 2002.

❖ رضا أحمد، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، مجلّد 03، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378ه/1959م.

❖ روى، سي. هجمان، اللّغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة وتقديم: داوود أحمد السّيد، عالم الكتب، القاهرة، ط.2، 2000.

❖ الزّجاجيّ، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تح :مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط.3، 1399ه/1979 م.

❖ الزرقاوي، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، دار الكتاب العربي، ط.1، 1415هـ/1995م.

❖ زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

❖ زكريا سعيد، نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، دار النشر والثقافة، الإسكندرية، ط.1، 1383ه/1964م.

❖ السّباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، دار الورّاق، د.ط، د.ت.

❖ سرى طارق، المستشرقون ومنهج التّزوير والتّلفيق في التّراث الإسلامي، مكتبة النّافذة، ط.1، 2006.

❖ سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج. 4، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1996.

❖ سعيد ادوارد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط.6، 2003.

❖ سلامة موسى:

- البلاغة العصرية واللغة العربية، هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط.
- اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ط.1، 1928م.

■ أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د،ط.

❖ سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ط، 2001.

❖ السيد محمود، التّمكين للغة العربية: آفاق وحلول، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 83، ج.2.

❖ الشافعي، المطلبيّ محمّد بن ادريس، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر،مصطفى الحلبيّ وأولاده بمصر،ط.1، 1357ه/1938م.

❖ شاكر محمود، أباطيل و أسمار،مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزءان 1و2، ط.3، 2005.

❖ شاهين، عبد الصبور، عربية القرآن، مكتبة الشباب، د.ط، 2009.

❖ الشرقاوي، محمود، الإسلام وأشده في الثقافة العالمية، رابطة العالم الإسلامي، ربيع الآخر 1416هـ، ع.160.

❖ شوق، شاكر عالم، ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها،دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلّد،04، ديسمبر 2007م.

❖ شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما 1934 – 1984م.

❖ الصاحبي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1418هـ/1997م.

❖ صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2004.

❖ الصاوي، محمد سعيد إسماعيل، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، الأبعاد التربوية والسياسية.

❖ الصّيادي محمد منحي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.

❖ طعيمة صابر، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلاميّ، بحوث حول العقائد الوافدة، عالم الكتب، د.ط.

❖ الطّناجي، محمود محمّد،في اللغة والأدب دراسات وبحوث، المجلّد الثّاني، دار الغرب الإسلاميّ، ط.1، 2002.

❖ الطّويل، السيّد رزق، اللّسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة، دعوة الحقّ، العدد. 60، 1407ه/1986 م.

❖ عبد التواب، رمضان:

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الخانجي، ط.3، 1417 هـ/1997م.
- فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 06، 1420ه/1999م.
- بحوث ومقالات في اللغة، الخانجي – الرفاعي، ط.1، 1403هـ/1982م.

❖ عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام، مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية، ج.6، ط.1، 1415ه/1994م.

❖ عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرّسالة الحديثة، ط.1، 1401ه/1981م.

❖ عبد العليم مصطفى أحمد،خصائص العربيّة بين القديم والحديث، د.ط، د.س.

❖ عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد، الغارة التّنصيرية على أصالة القرآن الكريم، د.ط، د.س.

❖ عبد المحسن عبد الرّاضي محمّد،ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، الرّياض، ط. 1، 1427ه/2006م.

❖ عدنان محمد وزان، الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، د.ط.

❖ العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط. 1، 1466هـ/2002م.

❖ عطار، أحمد عبد الغفور، الزحف على لغة القرآن، بيروت 1385هـ/1965م، ط.1.

- عفيفي، فوزي سالم، جامع الخط العربي، تح، ناجي هلال.
- عفيفي، أحمد، اللغة وصراع الحضارات،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة، د.ط، د.س
- العقاد، عباس محمود:
  - اثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار النهضة، مصر، طبعة خاصة، 1998.
  - أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب،دار المعارف، القاهرة، ط.06، د.ت.
  - اللّغة الشاعرة، نهضة مصر، د.ط،1995.
- العقيقي نجيب، المستشرقون،دار المعارف، القاهرة، ج.03، ط.4، د.ت.
- عللوه، محمد، الغزو الفكري والرّد على افتراءات المستشرقين، دار الأقصى، دمشق، ط. 1، 2002.
- علي عبد الواحد، وافي:
  - فقه اللغة، نهضة مصر، ط.03، 2004.
  - اللغة والمجتمع، دار عكاظ، ط .4،1403 ه /1983م.
- عمارة، محمد، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط.2، 408 هـ/1988م.
- عمايرة إسماعيل أحمد:
  - المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدّراسات العربية، عمان، دار حنين، ط. 2، 1992م/1412ه.
  - المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، دار البشير، الأردن،ط.1، 1417ه/1996م.
  - المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان،ط.2، 1992م.

- بحوث في الاستشراق واللّغة، دار البشير،الأردن، ط.1، 1417ه/1996م.
- المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية،بحث في الجذور التّاريخية للظّاهرة الإستشراقية، دار حنين، ط.2، 1412ه/1992م.

❖ عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن.

❖ عميرة عبد الرّحمان، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التّبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت، د.ط.

❖ العناني علي، محرز ليون، الأبراشي محمد عطية، كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها، المطبعة الأميرية، ط.1، 1354هـ/1935م.

❖ عوض، لويس، دراسات أدبية، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط.1، 1989م.

❖ عوض، إبراهيم، دفاع عن النّحو والفصحى، الدعوة إلى العاميّة تطل برأسها من جديد، شبكة الألوكة، مكتبة زهراء الشرق، د.ط.

❖ عيسى، بريهمات، الترجمة والتّأويل، المجلّة الحامعية،المركز الجامعي، الأغواط، العدد 01، ماي 2003م، المجلّد.03.

❖ العيسى سالم، التّرجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، د.ط، 1999م.

❖ فتاوى كبار الكتّاب والأدباء، تقديم: بنكراد سعيد، مستقبل اللّغة العربية،نهضة الشرق العربيّ وموقفه إزاء المدنية الغربية، وزارة الثقافة والفنون، قطر، 2013.

❖ فليش هنري، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللّغوي، تح:شاهين عبد الصّبور، مكتبة الشّباب، د.ط.

❖ فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة، 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط.

❖ فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، لبنان، 1998م.

❖ فوك يوهان:

- الدراسات العربية حتى مطلع القرن العشرين، نق:سعيد حسين بحيري، محسن الدّمرداش، زهراء الشرق القاهرة ط.1، 2006.
- العربية دراسات في اللغة والأساليب، تر: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخاجي، مصر، 1400ه/1980م.
- تاريخ حركة الاستشراق، الدّراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين،نقله عن العربية، عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط.1، 2001.

❖ فولفديتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، تر:بحيري سعيد حسن،المختار، للنّشر، القاهرة، ط.1، 1422ه/2002م،ص 126

❖ الفيصل، سمر روحي، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، د.ط، د.س، دار النشر.

❖ قميحة جابر، أعداء الإسلام ووسائل التضليل والتّدمير، دار التّوزيع والنّشر الإسلامي، مصر، ط.1، 1423ه/2002م.

❖ لطيمات غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس، ط.2، 2000.

❖ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر.عادل زعتر، هنداوي، د،ط، د،س.

❖ مجمع فؤاد الأول للغة العربية، مؤتمر المجمع سنة 1944، تيسير الكتابة العربية، مطبعة الأميرية بالقاهرة، 1946.

❖ مجموعة من الكتاب، أبحاث عربية في الكتاب التّكريمي للمستشرق الألماني فولفديتريش فيشر.

❖ محاسن بنت أحمد بن محمود مولوي قربان، آراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، جامعة أم القرى، 1430/1429هـ.

❖ محمّد إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنّشر والتّوزيع، ط. 1، 1421ه/2000م.

❖ محمد الخضر حسين، في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط.02، 1380ه/1960م.

❖ محمد أمين حسن محمّد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل، الأردن، ط. 01، 2004م.

❖ محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان.

❖ محمود شاكر، أباطيل وأسمار، ج(21) في مجلد واحد، مكتبة الخانجي، ط.3، 2005.

❖ المطغي، عبد العظيم إبراهيم محمد، افتراءات المستشرقين على الإسلام، عرض...ونقد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.01، 1413ه/1992م.

❖ معالقي، منذر، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط.1، 1418ه/1997م.

❖ المعتوق أحمد محمّد، الحصيلة اللغوية، أهميّتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، د.ط.

❖ منصور، خيري، الاستشراق والوعي السالب، د.ط، د.ت

❖ موسوعة تراث الخط العربي، تح: هلال ناجي، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، مصر، ط.1، 2002.

❖ المؤلفون، خفاجي محمّد، الأدب الإسلامي- المفهوم والقضية، دار الجيل، ط. 1، 1412ه/1992م.

❖ الميداني، عبد الرّحمان حسن حبنكة، أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، التّبشير، الاستشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط.8، 1420-2000.

❖ نجا فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، لبنان، ط. 1، 1413هـ/1993م.

❖ الندوي، السيد أبي الحس الحسيني، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون، إعداد سيد عبد الماجد الخوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط.01، 1423هـ/2002م.

❖ النشواتي، محمد نبيل، الإسلام يتصدى للغرب الملحد، دار القلم، دمشق، ط. 01، 1431ه/2010م.

❖ هلال، عبد الغفار حامد، أصل العرب ولغتهم من الحقائق والأباطيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1996م.

❖ هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.5، 1401 ه/1981 م.

❖ الوزان، عدنان، موقف المستشرقين من القرآن الكريم.

المجلات والدوريات:

- البحرة، نصر الدين، لغة الضاد في معاركها مع العامية.
- الجندي، أنور، عالمية الإسلام، مجلّة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، تصدر كلّ شهر.
- الجندي، أنور، عطاء الإسلام الحضاري، دعوة الحقّ، رجب 1416ه، العدد. 163، السّنة الرّابعة عشر.
- الجندي، أنور، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة)في ضوء الإسلام، دراسات في الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الدّينية، العدد:165، 1394ه/1974م.
- خضر عبد العليم عبد الرّحمان، الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في إفريقيا ع/ 182، 1418ه.
- خلاطي، محمد مزعل، اللغة العربية المعاصرة بين الطموح والتحدي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، قسم اللغة العربية، العدد الثاني عشر.
- خليف، عبد الرحمان، اللسان العربيّ بين الانتشار والانحسار، رابطة العالم العربي، عدد. 101، 1410ه/1990م.
- زيدان أشرف محمد،مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم، جامعة ملايا، ماليزيا، مجلة مداد الآداب، العدد.01.
- عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، ج.3، ط.1، 1997.
- قاسم مولود، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، قسنطينة، العدد: (17-18)، 1394ه/1974م.
- مجلّة اللّسان العربي، الرّباط، العدد.01، صقر 1384ه/1964م.

❖ المشرق، مجلة كاثوليكية، تحوي مباحث علمية دينية وفنيّة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1898م، ج.1

❖ النّدوي، عبد الله عبّاس، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطوّر فهمه عند الغرب، دعوة الحقّ، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة، 1417ه/العدد، 174، السّنة الخامسة عشر.

الدّواوين والمتون:

- إبراهيم، حافظ، ديوان، ج.1، د.ط، د.ت.
- ابن أبي بكر المقري، ديوان، مطبعة نخبة، 1305هـ.
- حسّان بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1414ه/1994م.
- الرافعي، مصطفى صادق:
  - الدّيوان، شرحه محمد كامل الرافعي، الإسكندرية، د.ط، 1323هـ، ج.01.
  - الدّيوان، شرحه:محمد كامل الرّافعي، الإسكندرية، د.ط، 1323ه، ج.02.
- العربي، حامد كمال عبد الله حسين، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، ط.1، 1466هـ/2002م.
- العمريطيّ، شرف الدين يحيى، متن الدّرة البهية، نظم الأجرومية، دار عمر بن الخطاب، مصر، ط.1، 1422هـ/2007م.

فهرس المخطوطات

شكر

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل..... 6

الفصل الأول: مكانة اللّغة العربيّة في وسطها التّداوليّ

المبحث الأوّل: تجليات اللّغة على الفرد والمجتمع.....10

المبحث الثّاني: اللّغة العربيّة في البيئة الجاهلية.....19

المبحث الثالث: القرآن عنوان الثبات والبقاء..... 25

المبحث الرّابع: أثر القرآن وفضله على اللغة العربيّة.....33

3 -من منظور الثقافة العربيّة الإسلاميّة..... 33

4 -من المنظور الاستشراقيّ.....36

المبحث الخامس: خصائص العربية ومكانتها بين اللّغات.....43

3 -قدم اللّغة العربيّة..... 43

4 -النّحو..... 45

سعة المفردات..... 49

الخطّ العربيّ..... 52

مكانتها..... 58

3 -من منظور الثّقافة العربيّة الإسلاميّة..... 58

4 -من منظور استشراقي..... 62

الفصل الثّاني: طبيعة الفهم الاستشراقي للغة العربيّة

مفهوم الاستشراق..... 68

لمحة حول نشأة الاستشراق..... 71

المبحث الأول: نظرة المستشرقين للغة العربية..... 73

مفهوم الصراع اللغوي..... 77

المبحث الثاني: دواعي اهتمام المستشرقين باللغة العربية..... 79
5 -الدواعي الحضارية..... 80
6 -الدواعي العلميّة..... 87
7 -الدواعي التنصيرية..... 96
8 -الدواعي الاستعمارية..... 106
محاربة الاستعمار الفرنسي للعربية في الجزائر: -أنموذجا-..... 111
المبحث الثالث: معارك المستشرقين مع اللغة العربية..... 123
5 -الدعوة إلى العامية..... 123
6 -دعوى صعوبة النحو..... 135
7 -مزاعم إصلاح الخط العربي..... 140
8 -إنشاء المجلات..... 143
المبحث الرابع: رؤى استشراقية منصفة..... 148
المبحث الخامس: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم: أساليبهم وأهدافهم..... 158
منهج الغرب في ترجمة القرآن الكريم..... 170

الفصل الثالث: آثار الحركة الاستشراقية وأبعادها

المبحث الأول: انعكاسات دعوات المستشرقين الغرب على المثقفين العرب..... 177
4 -الدعوة إلى العامية..... 179
1/سلامة موسى..... 179
2/لويس عوض..... 183
3/أنيس فريحة..... 187
4/أحمد لطفي السيد..... 190
5/سعيد عقل..... 193
6/عيسى اسكندر المعلوف..... 195
3 -دعوى تيسير النحو..... 197

أ -الفريق الأول 197
ب -الفريق الثاني..... 198
4 -إصلاح الخط العربي..... 201
ت -اقتراح عبد العزيز فهمي..... 201
ث -من نتائج استعمال الحروف اللاتينية..... 209
5 -وعي المخلصين العرب..... 215
المبحث الثاني: نفوذ المستشرقين إلى المجامع اللغوية العربية.....222
2 -المجمع العلمي بدمشق..... 223
4 -المجمع العلمي بالقاهرة..... 234
5 -المجمع العلمي العراقي..... 239
المبحث الثالث: أبعاد الحركة الاستشراقية..... 245
خاتمة..... 256
فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية
فهرس لتراجم أهم الأعلام
مكتبة البحث
فهرس المحتويات
ملخص

ملخص

تعرضت اللّغة العربية لمحاولات الغزو والتّغريب الّتي قاومتها حركة اليقظة، تحاول هذا البحث الكشف عن المخططات الاستشراقية الّتي استهدفت اللّغة العربية، بالإساءة إليها، وتشويه صورتها، من أجل تقويض المجتمع الإسلاميّ مبرزا المحاولات الّتي قامت بها الدّعوات المختلفة القديمة المتجدّدة، ومبيّنا طريقة وطبيعة دراسة المستشرقين للغة العربية وخصائصها مع الرّد على افتراءاتهم وأباطيلهم، وبقي صوت الاعتدال والإنصاف خفيضا أسيرا لأهوائهم كما يشخص البحث الحالة الّتي وصلت إليها ثقافتنا اليوم حيث تعاني مخططات عدائية على قيمتها وأهدافها ومسيرتها وهويتها محاولا تتبع مسار هذه المؤامرة وأبعادها وآثارها .

تجيء محاولة هذا البحث ردّة فعل طبيعية على قوى الغزو لرفع الغشاوة، ومنازلة هذه الإستراتيجية الفكرية ولتخلص إلى استنتاج أكيد يتمثّل في أنّ أنماط الفكر وأساليب العمل هي الّتي فرضت هذا النّوع من الصّراع .

Résumé

La langue Arabe a été exposé tout le temps à des tentations d'invasion et d'occidentalisme qui ont été combattu par le mouvement de vigilance donc cette recherche essaye à découvrir les stratégies des orientalistes qui visent à briser la langue Arabe et défigure son image ainsi que l'image de la société musulmane en générale en démontrant la méthode et la nature des études orientalismes de la langue Arabe et de leur caractéristiques en démentant les mensonges des orientalistes car la voix d'équité est restée basse selon leurs désirs.

Cette recherche aussi diagnostique l'état de notre culture d'aujourd'hui qui souffre des tentatives d'évangélisation sur leurs valeurs, leurs objectifs, son identité et son parcours en essayant de suivre (son) le chemin de cette conjuration, leurs objectifs et leurs effets.

Alors cette recherche est une réaction naturelle sur les forces de cette invasion pour enlever le voile et combattre cette stratégie intellectuelle contre l'Islam et la langue Arabe, cette stratégie qui a fait des mains et des pieds pour éteindre la lumière de l'Islam.

En conclusion on voit que les types de pensées et les méthodes de travail ont exigé ce genre de conflit.